

وزارة التعليـــم العــــالي والبحث العلــــــمي

جامعـــة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قســم التاريخ

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط

الهجرات الأندلسية وإسهاماتها الحضارية في المغرب الأوسط ما بين القرنين 6-10هـ/12-16م

إعداد الطالب:

طيبي عبد العالي

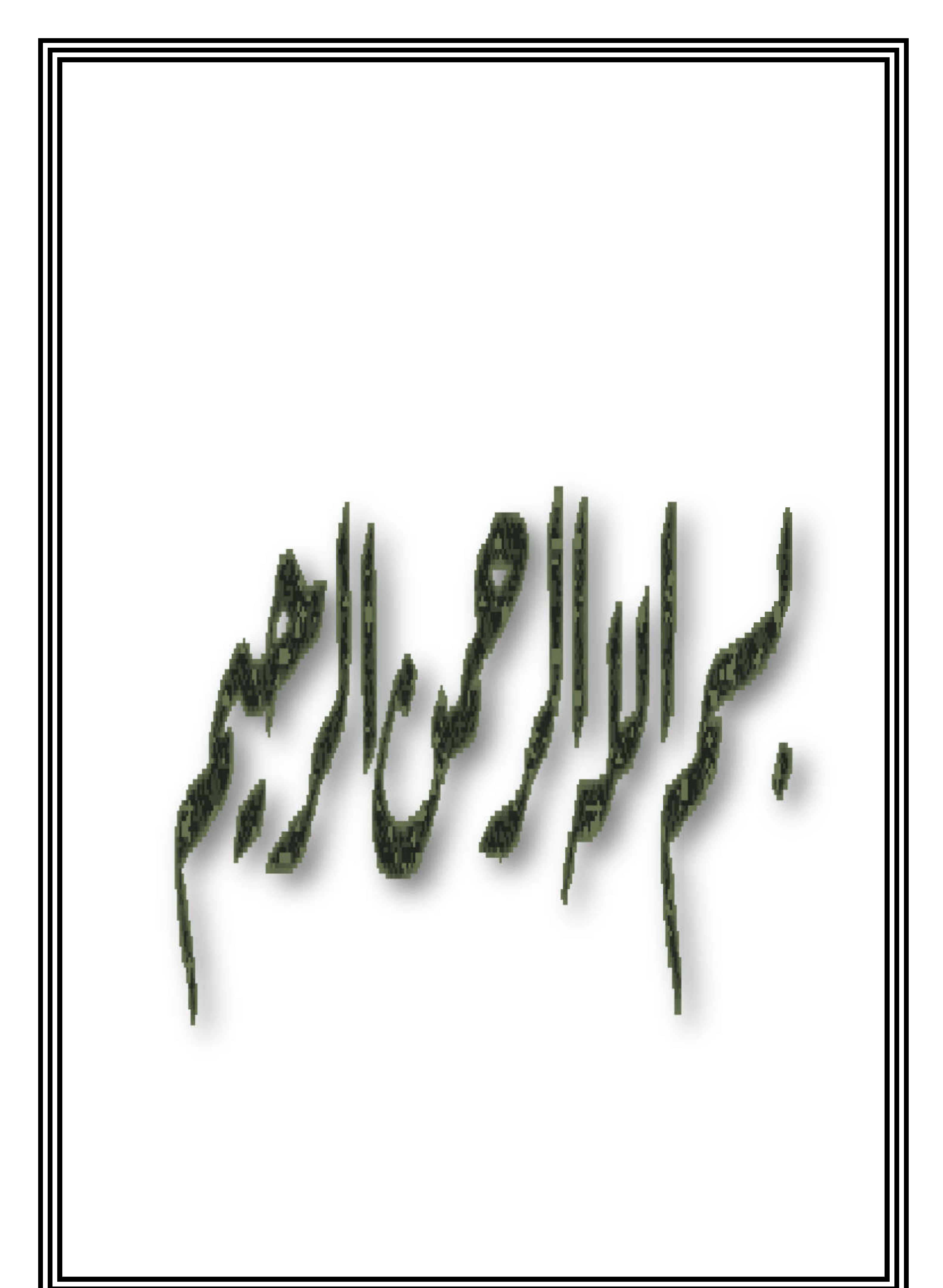
إشراف الأستاذة الدكتورة:

نبيلة عبد الشكور

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د الحـــــاج العيفة	أستاذ التعليم العـالي	جامعة الجزائر2	رئيسا
أ.د نبيلة عبـد الشكور	أستاذة التعليم العالي	جامعة الجزائر2	مقرر
أ.د سامية أبوعمـــران	أستاذة التعليم العالي	جامعة الجزائر2	عضوا
أ.د غـرداوي نور الدين	أستاذ التعليم العـالي	جامعة الجزائر2	عضوا
أ.د جميلة بن موسى	أستاذ التعليم العالي	المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة	عضوا
د. حميدي مليكة	أستاذ محاضر -أ-	جامعة االبليدة 2	عضوا

السنة الجامعية:1439-1440هـ/2018-2019م


بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد الشاكرين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وهاجر للحفاظ على دينه رغم المشاق وأقرّه طريقا للنجاة وسعة الحياة، مصداقا لقوله تعالى:"وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأرض مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً". سورة النساء الآية 100.

شكر و عرفان

أشكر العلي القدير على ما أنعم به علي ووفقني في إنجاز هذا العمل فله الحمد والشكر كما ينبغي لجلاله وعظيم سلطانه .

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذتي الفاضلة الدكتورة نبيلة عبد الشكور لقبولها الإشراف على هذه الأطروحة ومساعدتها لي في إنجازها وتصويبها وسعة صدرها.

إلى كل الأساتذة الذين درسوني أشكر لهم كل المجهودات التي بذلوها.

إلى أعضاء لجنة المناقشة،وإلى كل الزملاء الذين لم يبخلوا علي بمساعداتهم.

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما.

إلى إخوتي الأعزاء.

إلى بوحانة ونور الهدى خصوصا

إلى الزوجة الكريمة التي سهرت معي وكانت خير معين لي.

إلى بناتي سارة وحنان وآية وابني محمد المصطفى

إلى الأخ الفاضل بن تاج مفتاح

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي.


مقدمة

إن دراسة حضارة بلاد المغرب الإسلامي بمعزل عن الأندلسيين ودورهم الكبير الذي لعبوه وأسهموا بفضله في تطوير هذه البلاد يعتبر إجحافا بحقهم وإنكارا للمجهودات التي بذلوها، ذلك أن هذه الجالية كانت السباقة والرائدة في عديد المجالات الحضارية، وقد تجلى دورها الكبير ببلاد المغرب بعد الهجرات المتتالية بداية من سقوط المدن الإسلامية بيد النصارى وصولا إلى سقوط غرناطة وما تلاها من عمليات الطرد، وفي كل مرحلة من هذه المراحل كان لكل فئة منهم الدور الكبير والفعال في مساعدة أهل هذه البلاد بعدما انخرطوا معهم في جميع مناحي الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية حتى صارت بصماتهم واضحة جلية، وقد شكل المغرب الأوسط الملاذ الآمن للكثير من الأندلسيين بفضل الاهتمام الكبير الذي أولاه سلاطين الدولة بحقهم وتعويضهم عن كل ما فقدوه ببلادهم، فكان عطاؤهم كبير بقدر ذلك الاهتمام.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

لعل إغفال العديد من الدراسات التاريخية للجانب الحضاري واهتمامها بشكل كبير بالجانب السياسي جعل هذا الموضوع جدير بالدراسة لأنه يكتسي أهمية كبرى فهو يسلط الضوء على هجرة الأندلسيين والمأساة التي عاشوها ويبحث في الأسباب والمسارات، إضافة إلى المدن التي استقروا بها وإسهاماتهم الحضارية بها، كما يتعرض لأهم الأعلام الذين زخرت بهم هذه الفترة من تاريخ الأندلس والذين كانت لهم بصمات حية ببلاد المغرب الأوسط.

الإشكالية:

نعالج في هذا البحث:

- الهجرات الأندلسية وإسهاماتها الحضارية في المغرب الأوسط ما بين القرنين6-10هـ/12-16م

ومدى التأثير الذي أوجدته على العباد والبلاد، ومنه تفرعت مجموعة من التساؤلات:

- ما هي الأسباب والظروف التي ساعدت في هجرة الأندلسيين عن بلادهم واختيارهم المغرب الأوسط موطنا لهم؟

- ما هي مواقف الدول الإسلامية من مأساة المهاجرين الأندلسيين وما مدى التجاوب مع محنتهم؟

- ما هي الانعكاسات الاقتصادية لهجرة الأندلسيين على اسبانيا

- ما هي المناطق التي تمركز فيها الأندلسيون ببلاد المغرب الأوسط وكيف كانت معاملة الأهالي لهم؟

- ما هي المجالات الحضارية التي أسهم فيها المهاجرون الأندلسيون في كل من المغرب الأوسط؟

الدراسات السابقة:

من بين الدراسات الحديثة التي تناولت الموضوع:

أطروحة الطالب محمد سعداني الموسومة بالأندلسيين وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط من القرن 7-9هـ/13-15م، وكذلك رسالة الماجستير للطالب عمارة سيدي محمد بعنوان: "هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن 7هـ-13م ودورهم الثقافي"، ورسالة أخرى للطالبة بوعامر مريم الموسومة بـ:"الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأدنى ودورها في الازدهار الحضاري ما بين القرنين 7-9هـ/ 13-15م".

منهج البحث

للإجابة عن هذه الأسئلة اتبعنا المنهج التاريخي الإحصائي الذي تمثل في تراجم الكثير من الأعلام مع التقصي والتدقيق في الحقائق التاريخية وتحليلها عبر قراءة متأنية للعديد من كتب السير وجمع ما أمكن جمعه من أعلام تلك الفترة من الدراسة.

صعوبات البحث:

رغم أن الدراسات ذات الطابع العلمي والحضاري فيها من الصعوبة ما يحتاج من صاحبها بذل الجهد الكبير لإنجازها، إلا أن الدفعة التي قدمتها لي الأستاذة الفاضلة نبيلة عبد الشكور أسهمت بشكل كبير في تشجيعي على خوض البحث، وقد واجهتني عدة صعوبات في انجاز هذه الدراسة لعل أبرزها طول الفترة الزمنية المدروسة، إضافة إلى أن العديد من المصادر لا زالت عبارة عن مخطوطات متواجدة في اسبانيا والمغرب وبعض دول أوربا، الأمر الذي حال دون الوصول إليها.

خطة البحث:

اعتمدت في انجاز هذا البحث على الخطة التالية:

مقدمة ومدخل وثلاث فصول، تضمن المدخل هجرة الأندلسيين وأهم المراحل التي مرت بها الأندلس منذ سقوط أول حاضرة إلى الطرد النهائي لهم.

أما الفصل الأول فقد تطرقت فيه إلى:"**الهجرات الأندلسية إلى بلاد المغرب الأوسط**" قسمته إلى خمسة مباحث:

المبحث الأول:"أسباب الهجرة الأندلسية"، المبحث الثاني:"مواقف الدول الإسلامية من العدوان النصراني على المسلمين"، المبحث الثالث :"العوامل المساعدة في استقرار

المهاجرين بالمغرب الأوسط"، المبحث الرابع:"معاناة الأندلسيين بالمهجر"، المبحث الخامس:"انعكاسات الهجرة على الأندلس في المجال الاقتصادي والثقافي الاجتماعي".

والفصل الثاني بعنوان:"**الإسهامات الحضارية للمهاجرين الأندلسيين ببجاية**" وقد قُسم إلى ستة مباحث:

المبحث الأول:"العائلات الأندلسية التي هاجرت إلى بجاية ودورها الحضاري"، المبحث الثاني:"إسهامات المهاجرين الأندلسيين في المجال السياسي"، (الحجابة والكتابة والوزارة والجيش والقضاء)، المبحث الثالث:"إسهامات المهاجرين الأندلسيين في المجال الثقافي" (العلوم النقلية والعقلية والتصوف)، المبحث الرابع:"إسهامات المهاجرين الأندلسيين في المجال الاقتصادي"(الصناعة والزراعة والتجارة)، المبحث الخامس:"إسهامات المهاجرين الأندلسيين في المجال الاجتماعي"(اللباس والأكل واللغة)، المبحث السادس:"إسهامات المهاجرين الأندلسيين في المجال الفني"(العمران والموسيقى والخط).

وفي الفصل الثالث تناولت:"**الإسهامات الحضارية للمهاجرين الأندلسيين بتلمسان**" وقد قُسم إلى ستة مباحث:

المبحث الأول:"العائلات الأندلسية التي هاجرت إلى تلمسان ودورها الحضاري"، المبحث الثاني:"إسهامات المهاجرين الأندلسيين في المجال السياسي"، المبحث الثالث:"إسهامات المهاجرين الأندلسيين في المجال الثقافي"، المبحث الرابع:"إسهامات المهاجرين الأندلسيين في المجال الاقتصادي"، المبحث الخامس:"إسهامات المهاجرين الأندلسيين في المجال الاجتماعي"، المبحث السادس:"إسهامات المهاجرين الأندلسيين في المجال الفني".

المصادر والمراجع

يعتبر موضوع البحث المحدد الرئيسي لنوعية المصادر التاريخية التي يجب على الباحث الاعتماد عليها، ومن هذا المنطلق يمكن تحديد الأولويات بخصوص بحثنا هذا كالآتي: موضع هذه الرسالة يتتبع حياة المشاهير من المهاجرين الأندلسيين وإسهاماتهم ببلاد المغرب فمن الطبيعي أن تكون كتب التراجم هي الأكثر اعتمادا.

كتب التراجم والطبقات

- **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية** لصاحبه أبي العباس أحمد الغبريني(ت 704هـ-1304م): وتكمن أهميته في أنه اختص بذكر علماء وفقهاء أهل الأندلس الذين استقروا ببجاية أو مروا بها إضافة لأهل المغرب، وقد أبرز العديد من نشاطاتهم بهذه المدينة وهو بذلك يقدم لنا قيمة علمية كبيرة أفادتني كثيرا في بحثي هذا.

- **التكملة لكتاب الصلة** لصاحبه محمد بن عبد الله بن أبي بكر المعروف بابن الأبار القضاعي(ت 659هـ-1261م): استوفى فيه صاحبه تراجم للعلماء الأندلسيين وغيرهم ممن كانت لهم صلة بالأندلس، وهو يغطي معظم الفترة قيد الدراسة ويعطي فكرة قيمة عن الأوضاع السياسية بالأندلس ومدى تأثير هذه الأوضاع على هجرة الأندلسيين كما يتطرق إلى المدن التي استقروا بها والأشغال التي زاولها بعد نزوحهم لبلاد المغرب.

الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لمحمد بن عبد الملك المراكشي (ت703هـ-1404م): والذي تناول فيه صاحبه تراجم أهل الأندلس خاصة في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي وهو يسهب بشكل مفصل في ذكر تفاصيل كل الأحداث المتعلقة بالأندلسيين الذين تركوا بلادهم وانتقلوا للمغرب وبعض البلاد

العربية الأخرى، وهو بطبيعة الحال لا يخلو من أولئك الذين هاجروا من الأندلس واستقروا ببجاية وتلمسان.

الحلة السيراء لصاحبه محمد بن عبد الله بن أبي بكر المعروف بابن الأبار القضاعي(ت659هـ-1261م): وهو من أحسن كتب ابن الأبار وأعظمها فائدة والذي ضمنه تراجم للكثير من أهل العلم والسياسيين من أهل الأندلس.

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لصاحبه شهاب الدين أحمد بن علي الشهير بابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ- 1448م): وهو من أهم الكتب التي ترجمت لرجال الأندلس في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، وهو من المصادر الرئيسية التي تطرق فيها صاحبها لهجرة الأندلسيين والأشغال التي مارسوها .

درة الحجال في أسماء الرجال لصاحبه أحمد بن محمد المكناسي المعروف بابن القاضي (ت 1052هـ- 1616م): ورغم أنه من كتب التراجم المتأخرة إلا أن الاستفادة منه كانت كبيرة لأنه ترجم كثيرا لأهل الأندلس والمغرب.

نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي (ت1036هـ-1627م): والذي ترجم لكوكبة من العلماء والفقهاء.

البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لصاحبه محمد بن مريم (ت1025هـ-1616م): والذي ترجم فيه للكثير من أهل العلم خاصة منهم أهل الأندلس الذين استقروا بتلمسان.

غاية النهاية في طبقات القراء لصاحبه محمد بن محمد ابن الجزري (ت 833هـ-1430م):وفيه ذكر للعديد من الأندلسيين الذين تمرسوا في إقراء القرآن وتجويده، وبذلك فهو يسلط الضوء على فئة كبيرة من أهل الاختصاص خاصة أولئك الذين انتقلوا إلى بلاد المغرب.

عيون الإنباء في طبقات الأطباء لصاحبه موفق الدين أحمد بن القاسم الخزرجي المعروف بابن أبي صبيعة (ت668هـ- 1270م): تطرق فيه لأهم الأطباء الأندلسيين في العصر الوسيط وقد عاصر الكثير منهم.

شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بنمحمجد بن عمر بن قاسم مخلوف (ت1360هـ-1941م) والذي يعتبر جامع لكل طبقات العلماء المالكية منذ عهد الصحابة والتابعين وصولا إلى الفترة التي عاش بها المؤلف، ورغم أن الكتاب يصنف في المراجع إلا أن الاستفادة منه كانت كبيرة جدا على اعتبار أن المذهب المالكي هو السائد ببلاد المغرب والأندلس.

كتب الرحالة والجغرافيا

رحلة القلصادي لأبي الحسن علي بن محمد القرشي القلصادي (ت891هـ-1486م) والمسماة تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب: والذي عرّف من خلاله بالشيوخ والأعلام الذين التقى بهم منذ بداية رحلته من الأندلس إلى المغرب فتلمسان - التي مكث فيها طويلا- مرورا ببجاية ووصولا للبقاع المقدسة.

وصف إفريقيا لصاحبه ليون الإفريقي الشهير بالحسن الوزان (ت957هـ-1550م): خاصة الجزء الخاص ببلاد المغرب ومصر والسودان والذي أفادني في تتبع الحياة الاجتماعية والنشاط الاقتصادي والعلمي لأهل المغرب.

رحلة العبدري لصاحبه محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود العبدري البلنسي: وهي الرحلة التي ركز فيها العبدري على وصف الأماكن التي مر بها، لكن أهميته تكمن خصوصا في المجال العلمي الذي طغى على غيره من المجالات حيث ترجم للكثير من أهل العلم والأعيان.

معجم البلدان لصاحبه ياقوت بن عبد الله الحموي (ت626هـ- 1229م): والذي يعتبر من الكنوز النادرة التي اختصت في مجال الجغرافيا التاريخية، وذلك من جهة التعريف بالمدن بشكل شامل يتعرض فيه لكل الخصائص والأجناس وغيرها من مظاهر الحياة.

كتب التاريخ العام

ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر لصاحبه عبد الرحمان ابن خلدون (ت808هـ-1406م): والذي تكمن أهميته في أن صاحبه عايش الكثير من الأحداث التاريخية في العدوتين وكان في الكثير منها شاهدا عليها ومن صناعها، وقد أفادني في ضبط التطورات التاريخية وصيرورتهافي كل من المغرب والأندلس خاصة في جزئيه السادس والسابع.

المقدمة لعبد الرحمن بن خلدون، والتي تعتبر من الروافد الأساسية التي لا غنى لأي باحث عنها، ذلك أن صاحبها قد فصل في الكثير من العلوم وامتدح روادها خاصة من أهل الأندلس.

الإحاطة في أخبار غرناطة لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني الغرناطي الأندلسي الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (ت776هـ-1374م): والذي يعد من المصادر الهامة التي لا يمكن الاستغناء عنها في دراسة تاريخ الأندلس، ذلك أن صاحبه كان من معاصري الأحداث هناك ومن المشاركين في صناعتها زيادة على ما يحتويه من تاريخ عام، فإنه يترجم للكثير من أهل العلم والحكم بالأندلس وتلمسان وهو بذلك يقدم لنا خدمة مزدوجة في التاريخ العام والتراجم.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب لصاحبه أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت1048هـ- 1639م): والذي يعتبر من

المصادر الهامة من ناحية تخصصه في تاريخ الأندلس بل هو موسوعة لتراجم علماء المغرب و الأندلس خاصة منهم أولئك الذين هاجروا إلى بلاد المغرب.

بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد لصاحبه أبي زكريا يحي بن خلدون (ت780هـ-1378م): خاصة الجزء الأول منه والذي ترجم فيه للكثير من الأندلسيين بتلمسان.

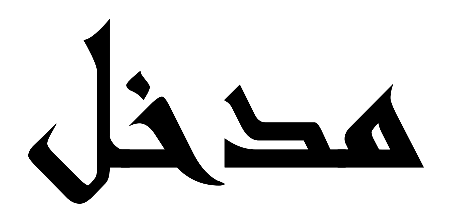
المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي (ت 647هـ- 1249م): الذي يعتبر واحد من الذين كانوا شاهدين على تاريخ دولة الموحدين وبذلك فشهادته فيها من الأصالة والدقة ما يجعلها من الأهمية بمكان.

نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب لمؤلف مجهول: والذي يبدو من خلال الدراسة أن صاحبه كان من المشاركين في حرب النصارى أيام حصار غرناطة، وقد استفدت منه كثيرا خاصة في الفترة الأخيرة قبيل سقوط المدينة وهجرة من بقي بها إلى بلاد المغرب والوجهات التي استقروا بها.

إضافة إلى بعض المراجع التي أغنت البحث توجيها وتوضيحا ومنها كتاب الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16- 17م لمحمد رزوق: وكتاب دراسات أندلسية مظاهر التأثير الأيبيري والوجود الأندلسي لناصر الدين سعيدوني.

والله الموفق والمستعان والهادي إلى سواء السبيل

طيبي عبد العالي


مدخل

تعتبر الهجرات الأندلسية من أهم الأحداث التي عرفها المسلمون في العصور الوسطى و حتى بداية العصر الحديث، حيث بدأ هذا النزوح في فترات متقدمة ثم ما لبث أن ازدادت وتيرته نتيجة الأوضاع السيئة التي عاشها المسلمون جراء الزحف والاعتداء الصليبي على الأندلس والتي نجم عنها سقوط المدن الإسلامية.

بدأت هذه الهجرات تأخذ شكل جماعات تفاوتت أعدادها وأماكنها منذ سقوط طليطلة عاصمة الثغر الشمالي سنة 479هـ-1085م والتي كانت أول ما أخذ الكفار من المدن العظام بالأندلس[1]، ومع توالى سقوط الحواضر الإسلامية نتيجة الضعف الذي أصاب المسلمين بفعل اشتداد وطأة حروب الاسترداد عليهم، بدأت أفواج المهاجرين تتدفق على المدن الداخلية التي لا تزال بيد المسلمين أو الهجرة الخارجية إلى بلاد المغرب، ثم تسارعت الأحداث في القرن السابع الهجري إثر سقوط مدن الشرق كلها، لتبدأ الهجرة المكثفة ليقين أهلها بأن الأمور قد خرجت عن سيطرة حكامها الذين لم يستطيعوا الدفاع عنها، ومن خلال المصادر التاريخية التي عايشت تلك الفترة مثل كتاب نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب و أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، وكذلك كتاب نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب و كتاب ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر لعبد الرحمان بن خلدون يمكن تتبع مراحل هذه الهجرات ومعايشة أهم وأدق التفاصيل التي مرت بها الجاليات الأندلسية خلال كل مسارات الهجرة والتنكيل الذي مورس بحقهم بهدف دفعهم إلى ترك البلاد أو التنصير، وقد مرت هذه الهجرات بثلاث مراحل كبرى هي:

---

[1] المقري أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت1988، ج4، ص447

المرحلة الأولى

تبدأ هذه المرحلة مع حروب الاسترداد المسيحي للمدن الأندلسية إثر الضعف الذي أصاب الأمة بفعل فرقتها وتنافرها حيث يبين لنا ابن الخطيب ذلك بقوله: "ثم إنهم ضعفوا واختلفوا ولو شاء الله ما اختلفوا، فثارت الثوار وكثرت الغوار واشتعلت للفتن النار وضوت البلاد طي برود الكفار"[1]، فتوالت انهزامات المسلمين حتى جاءت الفاجعة الكبرى في معركة حصن العقاب سنة (609هـ-1212م) التي كانت آخر معول في كيان الدولة الموحدية، والبداية الكبرى لخروج الكثير من أهل الأندلس إلى بلاد المغرب في شكل جماعات كبرى يصفها ابن خلدون : "وأما المغرب فقد انتقل اليه منذ دولة الموحدين من الأندلس خلق كثير من أهلها طوعا أو كرها"[2]، وبعد هذه الموقعة سارت الأمور بغير ما تشتهيه الأنفس وبدأت الهجرة من جديد ولكن بشكل مغاير لما سبق حيث يصور لنا أبو إسحاق إبراهيم بن الدّباغ الإشبيلي معلقاً على موقعة العقاب[3] **(609 هـ - 1212 م)**:

وقائلة أراك تطيل فكـــرا كأنك قد وقفت لدى الحساب
فقلت: أفكر في عقـــاب غدا سببا لمعركة العقـــــاب
فما في أرض أندلس مقام وقد دخل البلا من كل بـــاب[4].

هذا الانهيار الذي لم تعرف له البلاد مثيلا أرغم الكثير من المسلمين على ترك البلاد والهجرة خوفا من الاضطهاد الذي مارسته السلطات الاسبانية والكنيسة بحق المسلمين، حيث بدأت هجرة العوائل والأسر إلى البلاد التي كانت لا تزال تحت سيطرة المسلمين،

---

[1] ابن الخطيب لسان الدين السلماني، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق: ليفي برفنسال، ط2، دار المكشوف، بيروت لبنان1956، ص270

[2] ابن خلدون عبد الرحمان، مقدمة، تحقيق وتعليق: عبد السلام الشدادي، ط1، بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء 2005، ج2، ص225

[3] موقعة العقاب هي التي أحرز فيها القشتاليون نصرهم الساحق على الجيوش الموحدية بقيادة الخليفة محمد الناصر ولد المنصور.عنان محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، القسم الأول، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة 1990، ص28

[4] المقري، المصدر السابق، ج4، ص464

في حين فضل البعض الآخر الهجرة إلى بلاد المغرب، وقد ميز هذه الفترة أنها كانت هجرة أسر وجيهة وأعلام أندلسية بارزة قال عنها ابن خلدون: "فلما تكالب الطاغية على الدولة والتهم ثغورها واكتسح بسائطها، وأشف إلى قواعدها وأمصارها ، أجاز أهل الأعلام وأهل البيوت إلى أرض المغربين وإفريقية" [1]، وهنا ظهر مصطلح الجالية أو الجماعة الأندلسية أو الجالية الأندلسية بفعل الاستقرار المكثف لها بالبلاد المغربية.

مع توالي سقوط الحواضر الإسلامية بشرق الجزيرة منتصف القرن السابع الهجري أصبحت الجزيرة تواجه شبح الفناء بفعل هذه الهجرة[2]، تلا ذلك هجرة كبرى بعد هزيمة المسلمين في موقعة طريف[3] التي قضى فيها خلق كثير من المسلمين والتي كانت نقطة اللاعودة للأندلسيين الذين رأوا في المدن المغربية الملاذ الآمن لهم من خطر النصارى[4]، بعد أن ضاقت بهم غرناطة آخر معاقل المسلمين بالأندلس.

المرحلة الثانية

مع توالي الهزائم ضد المسلمين الذين تركوا المبادرة للنصارى في الدفاع عنهم عبر تحالفهم معهم ضد إخوانهم استولى النصارى على بقي من مدن إلى أن سقطت آخر إمارة بشبه الجزيرة الأيبيرية سنة 897هـ- 1492م، واستيلاء الملكين الكاثوليكيين على كل البلاد، حيث عمل الأحبار على سحق الطائفة المحمدية بإسبانيا والضغط على من بقي من هم بإجبارهم على التنصير أو مواصلة الهجرة إلى بلاد المغرب[5].

عرفت هذه المرحلة هجرة واسعة مقارنة بما سبقها من الهجرات، فمع سقوط غرناطة بدأ الحكام الجدد في نقض العهود والتنكيل بالمسلمين، الذين بدؤوا في الهجرة من جديد

---

[1] ابن خلدون عبد الرحمان ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر، ضبط ومراجعة: خليل شحادة و سهيل زكار، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان1981، ج6، ص438

[2] عنان، المرجع السابق، ع4، ط4، ص21

[3] طريف: جزيرة على البحر في أول المجاز المسمى بالزقاق، ويتصل غربيها ببحر الظلمة، وهي مدينة صغيرة بينها وبين الجزيرة الخضراء ثمانية عشر ميلاً. الحميري محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت 1984، ص392

[4] يحياوي جمال ، آثار الهجرة الأندلسية على تلمسان، مجلة الوعي، عدد مزدوج 3-4، الجزائر2011، ص91

[5] رزوق محمد ، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17، ط2، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء 1998، ص57

إلى بلاد المغرب، وكان نصيب المغرب الأوسط من هذه الهجرة كبير بفضل المساهمة التي قدمتها البحرية العثمانية بقيادة الأخوين عروج وخير الدين في إنقاذ ونقل العديد منهم إلى السواحل، حيث تم إنقاض ما لا يقل عن سبعين ألف أندلسي تم حملهم إلى الجزائر، ومما يلاحظ على هذه الفئة أن أغلب المرحلين فيها كانوا خليط من جميع الطبقات الميسورة والمتوسطة والفقيرة إلا أن جلهم كان من الفلاحين وأصحاب المهن والصنائع والتجار والقليل منهم كان له حظ في العلم أو نصيب في الثقافة، وقد اتسمت هذه الفترة من الهجرة بأنها ذات بعد إنساني بفعل الأعداد الكبيرة التي خرجت من الأندلس.

المرحلة الثالثة:

بدأت هذه المرحلة مع قرارات الطرد المتتالية للموريسكيين حتى عهد الملك فليبي الثالث الذي كانت شخصيته ضعيفة ما جعل الكنيسة ترغمه على القبول بالمقترحات التي كان أسلافه يتحفظون عليها، فقد اقترح المطران ريبرا بأن يُقضى على الموريسكيين بالرق بحيث يُؤخذون إلى البلاد البعيدة بالهند حتى يتم إفناؤهم هناك لكن الفكرة رفضت في وقتها[1]، لينتهي الأمر بوجوب نفيهم إلى بلاد المغرب لأنهم يشكلون خطرا على النصارى بسبب خيانتهم ومروقهم على الدولة[2]، ومع عدم إبداء الأندلسيين لأي رغبة في الاندماج في المجتمع النصراني صدرت الأوامر بإخراج المسلمين من جميع البلاد الاسبانية، لأنهم كفرة متعنتون يستحقون القتل، وأن كل وسيلة للرفق بهم فشلت، وأن إسبانيا تتعرض من جراء وجودهم بها إلى أخطار كثيرة[3]، فكان ابتداء هذه المحنة سنة ثمان عشرة وألف، وآخر من خرج منهم كان عام عشرين وألف[4].

---

[1] عنان، المرجع السابق، ع4، ص394

[2] نفسه، ع4، ص396

[3] نفسه، ع4، ص395 .

[4] الحجري أحمد بن قاسم ، ناصر الدين على القوم الكافرين، تحقيق وتقديم وترجمة: شورد فان كوننكز فلد وقاسم السمرائي وخيرارد فيخرز، الوكالة الاسبانية للتعاون الدولي، دت، ص45

"ولما أجلاهم العدو عن جزِرة الأندلس خرجت ألوف منهم بفاس وألوف أخر بتلمسان ووهران وخرج جمهورهم بتونس"[1]، هذه الموجات الكبيرة من المهاجرين تركوا وراءهم أموالهم وأملاكهم إلا ما سمح لهم بأخذه وقد ضاقت بهم الشوارع، واستقر الكثير منهم بالمدن الساحلية، فكانت وهران نقطة الوصول ومنها انتقلوا إلى تلمسان وفاس ومستغانم وندرومة واستقرت جاليات أخرى في بجاية والمدن المجاورة لها في حين استقر الجزء الأكبر في الوسط، وهناك أسسوا مدنا كبرى مثل القليعة والبليدة وكان نصيب مدينة الجزائر (جزائر بني مزغنة) النصيب الأكبر لبروز معالم الدولة بها، ولكونها أصبحت الحصن المنيع الذي يلتجئ إليه المهاجرون الأندلسيون[2].

[1] الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة المرينية، تحقيق: جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء1997، ق2، ج4، ص106

[2] سعيدوني ناصر الدين ، دراسات أندلسية مظاهر التأثير الأيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، ط2، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ص40، التميمي عبد الجليل ، رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني سنة 1541، المجلة التاريخية المغربية، العدد3، تونس 1975، ص39

الفصل الأول:

الهجرات الأندلسية إلى بلاد المغرب الأوسط

المبحث الأول: أسباب الهجرة الأندلسية

المبحث الثاني: مواقف الدول الإسلامية

المبحث الثالث: العوامل المساعدة في استقرار المهاجرين بالمغرب الأوسط

المبحث الرابع: معاناة الأندلسيين بالمهجر

المبحث الخامس: انعكاسات الهجرة الأندلسية على إسبانيا

104 -8

المبحث الأول: أسباب الهجرة الأندلسية

لم يكن الأندلسيون ليتركوا بلدهم لولا الأحداث التي توالت عليهم بسبب فقدانهم لمدنهم التي سقطت بيد المسيحيين الإسبان، لذلك سنحاول معرفة أهم الأسباب التي أدت بهم إلى الهجرة.

أولا- حروب الاسترداد وسقوط المدن

منذ فجر التاريخ وحتى يومنا هذا اقتضت سنة الله في الأمم والحضارات أن تقوم على ما التزمت به من قواعد تضبط بها مسيرة الحياة الإنسانية والشعوب، ثم تسقط إن هي حادت عنها، والدولة الإسلامية بالأندلس ليست استثناءا، فحين أخذت بأسباب القيام قامت وحين زوت عنها حدث الضعف ثم السقوط[1]، وقد ساهمت الأوضاع السياسية التي آلت إليها البلاد في هجرة الأندلسيين من بلادهم بعد سقوط الخلافة الأموية وظهور ما عرف بدول الطوائف سنة 422هـ-1030م، حيث بلغت فيه الأندلس من الضعف والفرقة والترف مبلغا عظيما أثر على وجود الدولة ككل لولا أن مكن الله لهذه الأمة من يذود عنها لحين، إذ دخل المرابطون بعد أن استنجد بهم ملوك الطوائف وعلى رأسهم المعتمد بن عباد[2] لما كان يمثله من رمزية بين قومه وبين ملوك الطوائف، فكتبوا لزعيم الملثمين بالمغرب كتابا جاء فيه: "أما بعد فإنك إن عرضت عنا نسبت إلى كرم ولم تنسب إلى عجز، وإن أجبنا داعيك نسبنا إلى عقل ولم ننسب إلى كرم، وقد اخترنا لأنفسنا أكرم نسبتيك، فاختر لنفسك أكرم نسبتيك، فإنك بالمحل الذي لا يحب أن تسبق فيه إلى مكرمة، وإن في استبقائك ذوي البيوت من دوام لأمرك وثبوت والسلام"[3].

---

[1] راغب السرجاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط1، القاهرة 2011، ج2، ص716

[2] المعتمد بن عباد: صاحب إشبيلية وقرطبة وما والاهما من جزيرة الأندلس. ابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1978، ج5، ص21

[3] نفسه، ج7، ص 114

وقد أتبعوا كتابهم هذا باستصراخ جاء فيه: لما كان نور الهدى أيدك الله دليلك، وسبيل الخير سبيلك، ووضحت في الصلاح معالمك، ووقفت على الجهاد عزائمك، وصح العلم بأنك لدولة الإسلام أعز ناصر، وعلى غزو الشرك أقدر قادر، وجب أن تستدعي لما أعضل الداء، وتستغاث فيما أحاط بالجزيرة من البلاء[1].

لبى ابن تاشفين دعوة إخوانه وأجاز للعدوة بجيشه فلما رأوا منه ما يرضيهم ويهدئ ما في نفوسهم من خوف على عروشهم بعد أن كانت له صولات وجولات حقق خلالها الانتصارات على النصارى، وأعاد الاطمئنان للأنفس عاد ملوك الطوائف إلى فرقتهم منتشين بأضغاث الأحلام التي يقول فيها الشاعر أبو الحسن بن رشيق[2]:

ما يزهدني في أرض أنـــدلس سماع مقتدر فيها ومعتضــــــد

ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد[3].

استغل الإسبان الذين كانت تغذيهم النزعات القومية وتحريض رجال الدين لهذه الأوضاع وذلك بتدخلهم في شؤون الممالك مقدمين المساعدة لكل من يطلبها على حساب إخوانه من المسلمين، وحين تجلى لهم الضعف باديا بدأوا في الاعتداء على المدن الإسلامية مستغلين في ذلك الفرقة التي كانت قائمة بين زعمائها واستولوا على أولى المدن التي كانت تمثل ثغور الإسلام بالشمال .

[1] مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار و عبد القادر زمامة، ط1، توزيع ونشر دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء 1979، ص34

[2] يذكر ابن خلدون ان قائل هذه الأبيات هو ابن شرف في حين ذكرت المصادر الأخرى أنه ابن رشيق القيرواني(ت463هـ-1071م) صاحب كتاب العمدة في صناعة الشعر. ابن خلدون، مقدمة، ص195، العكري ابن العماد شهاب الدين ابي الفلاح عبد الحي ابن أحمد ابن محمد الحنبلي الدمشقي، شذرات الذب في أخبار من ذهب، تحقيق وتعليق: عبد القادر الأرناؤوطي ومحمد الأرناؤوطي، ط1، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1989، مج5، ص237

[3] المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق وتعليق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة 1994، ص73

تدخل المرابطون ثانية سنة 481هـ لما رأوا بلاد الإسلام محاصرة فدفعوا عنها الحصار وقضوا على ملوك الطوائف وأخضعوا الأندلس لحكمهم، ومع نهاية هذه المرحلة دانت الأندلس كلها للمرابطين، لكن التحرشات لم تنته بوجودهم، فقد استطاع المسيحيون استرجاع بعض المدن الكبرى فكانت بذلك البداية لما أطلق على تسميته بحروب الاسترداد، ثم تسارعت الأحداث بعد ذلك مع ظهور الموحدين في بلاد المغرب وقضائهم على المرابطين لتبدأ الفتن بالأندلس ويعود الولاة ويستبد كل منهم بضبط بلده، وكادت الأندلس تعود إلى سيرتها الأولى بعد انقطاع دولة المرابطين[1].

تدخل الموحدون من جديد، في إنهاء الصراع وضبط الأمور، وقد كانت لهم صولات دفعوا خلالها العدوان عن أرض الإسلام، لكن الأمور تسارعت بعد ذلك إثر انهزامهم في معركة حصن العقاب سنة (609هـ-1212م)[2] التي شكلت البداية الفعلية لنهاية المسلمين بالجزيرة، لتتوالى الأحداث بعد ذلك بسقوط مدن الشرق الكبرى تلتها في فترة لاحقة مدن الوسط فالغرب، و أصبحت الأندلس كلها تُحاول الدفاع عن أراضيها، والناس لا حولا لهم ولا قوة إلا بالله.

هذا الوضع الذي أصاب المسلمين يصوره لنا الشاعر بقوله:

يأهل أندلس حثوا مطيكـــــم فما المقام بها إلا من الغلـــط

الثوب ينسل من أطرافـه وأرى ثوب الجزيرة ينسل من الوســط

ونحن بين عدو لا يفارقنـــــا كيف الحياة مع الحيات في سفط[3]

وفيما يلي استعراض لسقوط أهم المدن الأندلسية:

---

[1] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص177

[2] نفسه، ص265

[3] ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط 4، دار المعارف، القاهرة (دت)، ج2، ص21

أ – سقوط طليطلة (478هـ–1085م)

بعد انتهاء حكم الأمويين الذي تميز في أخر أيامه بالضعف وسيطرة الوزراء على الولاة في التعيين والخلع، وفي ظل هذه الأحداث السياسية اتفق أهل طليطلة – المدينة الكبيرة التي يتّصل عملها بعمل وادي الحجارة من أعمال الأندلس– على تأسيس إدارة تقوم على تسيير شؤون المدينة إلى حين استتباب الأمور وانتهاء الفتنة، ليبدأ فصل جديد في حكم البلاد تميز باعتلاء القاضي محمد بن يعيش[1] كأول حاكم للمدينة، لكن مدة حكمه لم تطل كثيرا فصارت الأمور من بعده للظافر إسماعيل بن ذي النون[2]، الذي ينتمي إلى قبيلة هوارة البربرية التي استقرت بالأندلس مع بداية الفتح الإسلامي، والتي كان لها شغف وتمسك بالجهاد ضد النصارى لذلك استعملهم الأمراء الأمويون ومنحوهم العطايا والقلاع لسبقهم في هذا المجال، فزادت قوتهم وكبرت شوكتهم مع ضعف الخلافة، وبسقوطها استقل بني ذي النون بالحكم بطليطلة[3].

لكن الأمور تعقدت بوفاة الظافر الذي ورثه ابنه يحي الذي دخل في صراع مع عمه أرقم بن عبد الرحمان، لتبدأ بذلك مرحلة الصراع بين الحكام الجدد من أجل السلطة والتوسع على حساب الآخرين، وفي ظل هذا الوضع وجد كل منهما نفسه في حاجة ماسة إلى الاستنجاد بالنصارى، لتكون معركة وادي الحجارة بين ابن هود[4]، وابن ذي النون والتي انهزم فيها الأخير أول ثمار هذا التعاون بين المسلمين والنصارى، حيث فاوض ابن ذي النون فرناندوا على دفع الضرائب مقابل تقديم العون ضد ابن هود، فاشتعلت بذلك الحرب بين الطرفين وبدأ ابن ذي النون بالتعرض لأراضي ابن هود

---

[1] من أهل طليطلة يكنى أبا بكر، كانت له عناية كبيرة بالعلم، وتولى الأحكام ببلده، ثم صار إليه تدبير الرياسة به، الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان1993، ج28، ص474

[2] إسماعيل بن ذي النون أمير طليطلة. ابن الأبار، التكملة ، ج4، ص114، ابن سعيد، المصدر السابق، ص11

[3] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص177

[4] ابن هود صاحب شرق الأندلس، الذهبي، المصدر السابق ج33، ص16

وإفسادها. الأمر الذي حتم على ابن هود الدخول في تحالف مع النصارى ضد ابن ذي النون، فقام النصارى بمهاجمة ثغر طليطلة.

لم تنته هذه التحرشات إلا بوفاة ابن هود والصلح الذي طلبه أهل طليطلة، ليتحول نظر ابن ذي النون إلى بلنسية التي كان أميرها في حالة من الضعف فقام بخلعه منها سنة سبع وخمسين وأربعمائة[1]، ومع وفاة يحي بن ذي النون بدأت الدولة في الضعف خاصة مع تولي القادر لمقاليد السلطة وهو الذي عاش حياة الترف والنعيم، حيث تميزت فترة حكمه بالثورة خاصة بعد مقتل وزيره ابن الحديدي[2]، الأمر الذي أدى بالقادر لطلب العون من ألفونسو، لكن هذا الإجراء الذي اتخذه عاد عليه بالنقمة من أهل طليطلة الذين ثاروا عليه فصارت المدينة لابن الأفطس صاحب بطليوس[3]، فما كان من القادر إلا أن طلب العون ثانية من ألفونسو الذي كان يتحين للانقضاض على المدينة وقد جاءته الفرصة التي كان ينتظرها.

دخل ألفونسو السادس المدينة على حين غفلة من أهلها وحكامها واسترجع للقادر ملكه لكنه كان منقوصا فقد أصبح خاضعا لإملاءاته التي تجلت في مطالبه التي أثقلت كاهل أهل المدينة ولم يستطيعوا تلبيتها، فاشتدت الفتن وكثرت الأطماع حتى لم يعد للقادر من قوة يدفع بها عن نفسه جور ألفونسو الذي بدأ بحصار المدينة، بعد أن عقد حلفا مع المعتمد بن عباد أمير إشبيلية وأقوى ملوك الطوائف، أطلق بموجبه يده في محاربة جيرانه من المسلمين على أن لا يعترض على احتلال طليطلة[4].

---

[1] ابن الأبار، الحلة السيراء ، تحقيق وتعليق: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة1985، ص129

[2] ابن الحديدي: يحي ابن سعيد ابن أحمد أحد علماء طليطلة المشهورين وكانت له مكانة عند المأمون يحي ابن ذي النون. ابن بشكوال، الصلة، تحقيق: شريف أبو العلاء العدوي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة2008، مج2، ص304

[3] ابن الأفطس ملك بطليوس وأعمالها، ويابرة، وشَنْتَرين، والأشبونة. ابن خلدون، العبر، ج4، ص205، ابن سعيد، المصدر السابق، ج2، ص12

[4] حومد أسعد ، محنة العرب في الأندلس، ط 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت1988، ص418

وبعد حصار دام أكثر من تسعة أشهر سلمت المدينة دون قتال ولا مقاومة سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، فتم خلع القادر ونفيه إلى بلنسية بعد أن اشترط على ألفونسو أن يملكه إياها فوفى له بشرطه وأدخله إليها قهرا[1].

وتكون بذلك مدينة طليطلة أول وأكبر مدن الأندلس التي سقطت بيد النصارى وكان سقوطها بمثابة الزلزال الذي هز كيان الدولة ككل، فقد جعلت من ملوك الطوائف في مرمى ألفونسو وأحلافه وتيقنوا بأن سقوط المدينة ما هو إلا بداية لنهاية حكمهم، وبذلك تنتهي مرحلة من مراحل الحكم الإسلامي للمدينة الذي استمر من سنة(92ه إلى 478ه)(711م الى1085م).

ب- سقوط سرقسطة (512ه-1118م):

تزعمت رياسة مدينة سرقسطة المدينة البيضاء بشرق الأندلس أسرة بني هود[2] التي قال عنها ابن الأبار: "غلبت عليهم دون ملوك الطوائف الشجاعة والشهامة"[3]، حيث بدأوا حكمهم بالصراع مع ابن ذي النون صاحب طليطلة حول مدينة وادي الحجارة التي سبق التفصيل فيها عند ذكر مدينة طليطلة والتي لم تنته إلا بموت ابن هود الذي قسم مدن البلاد بين أولاده الخمسة[4]، الذين دخلوا في صراع مرير فيما بينهم تمكن فيه المقتدر حاكم سرقسطة من الاستحواذ على كل الأراضي التي كانت تخضع لسيطرة إخوته، وهكذا زادت أطماعه تجاه بلنسية التي لم يجد حاكمها بدا من الاستنجاد بألفونسو السادس فدخل في حمايته، لكن أكثر ما أصاب ابن هود بالحسرة هي تلك

[1] المراكشي ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج س كولان و ليفى بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت لبنان، ج3، ص304

[2] بني هود ملوك سرقسطة من الطوائف.ابن خلدون ، العبر، ج4، ص209

[3] ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص246

[4] ابن عذارى ، المصدر السابق، ج3، ص222

المأساة التي نزلت بمدينة برشير[1]، التي فعل بها النصارى الأفاعيل[2].

وبوفاة المقتدر الذي أعاد نفس الخطأ الذي قام به والده، بحيث قسم البلاد بين ولديه الذين دخلا في حرب دروس فيما بينهما مستعينين على بعضهما بالنصارى، فقد استعان المؤتمن بالقشتاليين في حين استعان المنذر بمملكة أرغون ووقعت الحرب بين الأخوين وحلفاؤهما وانهزم فيها المنذر[3]، لكن هذا النصر كانت له تداعيات كبرى على المؤتمن فقد علا شأن حلفائه في بلاط سرقسطة واشتد نفوذهم عليه فصار لا يبرم أمرا من أعماله إلا بمشاورتهم، وغدا جيشهم الموجود في المدينة يحسب له ألف حساب[4]، وبقيت الأمور على حالها حتى وفاة المؤتمن الذي خلفه ابنه أبو جعفر أحمد الملقب بالمستعين سنة 478هـ-1085م وهي السنة التي سقطت فيها أولى قلاع المسلمين طليطلة، لتكون سرقسطة هي الوجهة التالية لألفونسو الذي بدأ حصاره لها، لكن قدر الله كان قد أخر سقوطها فقد دخل المرابطون للأندلس ما اضطر ألفونسو لرفع حصاره عنها[5].

وبعد معركة الزلاقة[6] عاد المستعين إلى أطماع من سبقه فولى وجهه صوب مدينة بلنسية محكما حصاره في حين سار ألفونسو إلى مدينة سرقسطة لإخضاعها، ووقعت بين الطرفين معركة قتل فيها المستعين سنة ثلاث وخمسمائة[7]، وورثه ابنه الحاجب عماد الدولة الذي اشترط عليه أهل سرقسطة أن لا يستخدم الروم ولا يلابسهم، لكنه سرعان ما نكث بعهده لما استشعر ميل الناس

---

[1] برشير: مدينة عظيمة في شرق الأندلس، وقد صارت للروم في صدر سنة 452هـ. الحموي أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار صاب، بيروت 1977، مج1، ص 370 ج3، ص225

[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص225

[3] شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار المراكشية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان (د ت)، ج3، ص53

[4] عنان، المرجع السابق، ع3، ص286

[5] نفسه، ع3، ص287

[6] الزلاقة: أرض بالاندلس بقرب قرطبة كانت عندها وقعة في أيام أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين مع الأدفنش ملك الإفرنج.الحموي، المصدر السابق، مج3، ص146

[7] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص248

للملثمين[1]، فانتهى في عهده حكم عائلة بني هود للمدينة ودخلت في طاعة المرابطين، حيث عاشت فترة كبيرة من الاستقرار إلى أن بدأت أحوال المرابطين تسوء بمراكش ما اضطرهم إلى تركها من غير حاكم، الأمر الذي جدد في نفس ألفونسو الرغبة في حصارها، وقد كان له ذلك حين طوقها بقوات كبيرة استطاعت أخذها من أيدي المسلمين سنة اثنتي عشرة وخمسمائة بعد أن حاصرها تسعة أشهر، فنيت فيها الأقوات ومات أكثر الناس جوعا، فاجتمعوا إلى ألفونسو الأول لوقف القتال إلى أجل، فإن لم يأتهم من ينصرهم أخلوا البلاد وأسلموها له، فعاهدهم على ذلك، وقضي الأجل ودفعوا إليه المدينة وخرجوا عنها[2] سنة 512هـ-1118م.

ج - سقوط بطليوس(626هـ-1227م):

نشأت مملكة بطليوس المدينة الكبيرة بالأندلس مع أفول الخلافة الأموية في حكم بنو الأفطس بعد أن غدروا بحاكمها سابور الفارسي، حين استأثروا بالحكم نيابة عن ولديه الذين لم يبلغا الحلم بعد وحصلا على ملك بلاد غرب الأندلس كلها[3]، لكن المملكة سرعان ما دخلت في حروب مع جارتها إشبيلية، لكن الغلبة كانت فيها لابن عباد حينا ولابن الأفطس أحيانا أخرى، وبانتهاء هذه الحرب قامت الثورة في الشمال على يد ابني الوالي سابور الذين كانت تغذيهما فكرة العودة إلى العرش، وما أن هدأت الأمور بالمدينة حتى بدأ عدوان ابن ذى النون عليها.

هذه الأحداث المتتالية أفشلت الدولة وزادت من أطماع النصارى عليها حيث استغل فرناندو الأول تطور الأحداث التي مرت بها المدينة ومدى التأثير الذي خلفته على أهلها لينقض على مدن الشمال وذلك ليقينه بعدم قدرة ابن الأفطس على الدفاع عنها، وبعد سقوط بعض مدن الشمال التي عاث في أهلها فسادا واستولى على حصونها

[1] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص248

[2] الحميري، الروض المعطار، ص317، ابن أبي زرع علي الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1972، ص163

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص236

واصل زحفه إلى قلمرية[1] التي سقطت بيده سنة ست وخمسين وأربع مائة[2]، لتبدأ سياسة طرد المسلمين من سائر الأراضي الواقعة بين نهري دويرة ومنيو[3].

ومع كل المصائب التي مرت بها المملكة والحروب التي وقعت فيها لم يتعض حكامها من كثرة الدم الذي سال والأراضي التي فقدت واستولى عليها العدو، حيث دخل أبناء المظفر بن الأفطس يحي وعمر بعد وفاته في حرب جديدة أتت على كل شيء حتى كادت تنهي وجودهم، ولم تنتهي إلا بوفاة يحي وتولى عمر للحكم متلقبا بالمتوكل[4] الذي عاشت في ظله الدولة فترة رخاء وازدهار لم تشهده من قبل، لكن سقوط مدينة طليطلة بيد الفونسو السادس هز مشاعر ملوك الطوائف أمام هذا الحدث الذي لم تستطيع أيا من القوى الموجودة على الارض من دفعه، فكان الاستنجاد بالمرابطين الحل لما أصابهم ، وقد كان المتوكل مع ابن عباد من المتحمسين للأمر.

لبى المرابطون الدعوة وعبرت الجيوش إلى العدوة ودفعت العدوان عن أهل الأندلس لكن أحوال البلاد سرعان ما ساءت وعادت الأمور إلى ما كانت عليه، عندها جهز يوسف بن تاشفين جيشه وعبر إلى الأندلس وقضى على ملوك الطوائف، ما دفع بالمتوكل إلى طلب العون من ألفونسو السادس ضد المرابطين مقابل التنازل عن بعض المدن مثل شنترة[5] وشنترين[6] ولشبونة[7]، فثار عليه أهل بطليوس بعدما استدعوا سير بن بن أبي بكر[8] الذي خلّفه يوسف بن تاشفين بالاندلس بعد عودته للمغرب، فدخلها سنة485هـ- 1059م وقضى على ابن الأفطس وولديه[9] وأضحت المدينة كلها تابعة

---

[1] قلمرية: مدينة بالأندلس وهي اليوم بيد الإفرنج. الحموي، المصدر السابق، مج4، ص391

[2] نفسه، ج3، ص239

[3] عنان، المرجع السابق، ع2، ص86

[4] نفسه، ص88

[5] شنترة: مدينة من أعمال لشبونة بالأندلس ملكها الإفرنج سنة 543 للهجرة. الحموي، نفسه، مج3، ص367

[6] شنترين: مدينة متصلة بأعمال باجة في غرب الأندلس ثم غربي قرطبة. نفسه، ص367

[7] لشبونة: مدينة بالأدلس يتصل عملها بأعمال شنترين، وهي مدينة قديمة قريبة من البحر الغربي لقرطبة، نفسه، ص16

[8] سير بن أبي بكر: أحد رؤساء اللمتونيين وهو الذي حاصر إشبيلية حتى استولى عليها. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص102

[9] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص128

للمرابطين، وبذلك ينتهي حكم بنو الأفطس لبطليوس، وبقيت الأحوال بها على أحسن حال حتى دب الضعف في الدولة المرابطية مع ظهور دعوة الموحدين بالمغرب وانقطاع دولتهم بالأندلس[1]، وسار الموحدون بالجهاد في البلاد مدافعين عن ثغورها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا وقد عرفت البلاد كلها في عهدهم استقرارا كبيرا ميزه الازدهار الثقافي والعلمي والعمراني [2]، لكن هذا الاستقرار سرعان ما بدأ يتلاشى مع تحالف النصارى ضدهم لتكون معركة حصن العقاب بداية النهاية لعصر الموحدين ودولتهم، وتبدأ بعدها المدن الأندلسية بالسقوط الواحدة تلوى الأخرى.

بقيت بعدها المدينة بيد المسلمين لفترة قصيرة استطاع البرتغاليون بقيادة ألفونسو التاسع من الاستيلاء عليها سنة 626هـ-1227م[3].

د- سقوط قرطبة(633هـ-1236م)

كانت من أعظم مدن الأندلس وليس بالمغرب ولا بالجزيرة والشام ومصر شبيه يدانيها في كثرة أهل وسعة رقعة وفسحة، كان بها ملوك بني أمية معدن الفضلاء ومنبع النبلاء إلى أن صار مصيرهم القتل والتنكيل، حين"مشى البريد في الأسواق والأرباض بأن لا يبقى أحد بقرطبة من بني أمية ولا يكفنهم أحد"[4]. بهذا الخطاب تم إعلان نهاية الخلافة الأموية فكثرت الفتن وتمادت وانزوى كل واحد في موضعه واستبد رؤساء الأندلس وثوارها فيما في أيديهم من البلاد والمعاقل وبغى بعضهم على بعض[5]، وأعلن الوزير أبو الحزم ابن جهور[6] أن شؤون تسيير البلاد أضحى بيد زعمائها ووزرائها، فظلت المدينة بيده يدبر شؤونها لأكثر من اثني عشر عاما حتى توفي سنة 435هـ

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج4، ص105

[2] الحجي عبد الرحمان علي ، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة، ط2، دار القلم، دمشق بيروت 1981، ص 498 498

[3] عنان محمد عبد الله، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة1997، ص445

[4] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص139

[5] ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص152

[6] أبوحزم جهور ابن محمد ابن جهور رئيس الجماعة أيام اتلفتنة بقرطبة. ابن خلدون،العبر، ج4، ص204

وتوارث ابنه ومن بعده أحفاده الحكم حتى عهد عبد الملك الذي غزته جيوش يحي بن ذي النون التي لم يستطع مقاومتها فاستنجد بالمعتمد محمد بن عباد صاحب اشبيلية الذي أرسل جيشه لنجدته فانسحب ابن ذي النون، لكن ابن عباد استغل الفرصة وقضى على عبد الملك وعائلته لينتهي بذلك حكم ابن جهور للمدينة وتصبح من أعمال اشبيلية بعد أن ندب لها ابنه سراج حاكما عليها، هذا الأخير سرعان ما قضى عليه ابن ذي النون واستولى على المدينة، لكن ابن عباد أعاد المدينة إلى حكمه وقتل واليها وولى عليها ابنه المأمون.

هذه الأحداث أضعفت ملوك الطوائف أمام جموح الطاغية الذي استطاع استرجاع بعض المدن مثل طليطلة و إدخال الرعب في نفوسهم، ما دفع بفقهاء المدينة وزعمائها لطلب النجدة من المرابطين الذين لبوا النداء وكانت لهم صولات أبانوا فيها قدرتهم على دحر العدو وهزيمته في معركة الزلاقة سنة 479هـ-1086م، لينتهي بعدها حكم ابن عباد للمدينة مع دخول المرابطين لها وقتل ابنه المأمون سنة 484هـ-1091م، وتطوى صفحة ملوك الطوائف ويبدأ حكم المرابطين الذين اتخذوا من المدينة عاصمة لهم، فدخلت المدينة في هدوء إلى أن ظهرت دعوة الموحدين بالمغرب والتي استفحل خطرها على المرابطين في العدوتين فانهارت الدولة وسلمت المدينة للموحدين سنة 543هـ-1148م[1].

عاشت المدينة فترة من الهدوء والرخاء إلا أن عادت التحرشات القشتالية من جديد تهدد المدينة لكن حزم الموحدين وهزيمتهم للقشتاليين في معركة الأرك سنة 591هـ-1195م[2] أبعد الخطر عن المدينة ودخلت البلاد كلها في هدنة طلبها ملك قشتالة، لكن هذا الهدوء سرعان ما تبدد مع اتحاد جيوش قشتالة وأرغون وليون والبرتغال في مستهل سنة 609هـ-1212م لتبدأ الحرب بين الموحدين والنصارى، حيث استطاع هذا

1 ابن خلدون، العبر، ج4، ص191
2 نفسه، ص228

التحالف هزيمة الموحدين في معركة العقاب[1]، فكانت هذه الهزيمة بداية لنهاية دولتهم بالمغرب والأندلس، وبدأت الثورة بقرطبة ضد حاكمها الموحدي.

استغل ملك قشتالة هذا الوضع وسيطر على معظم حصونها ثم رابط على أحوازها مشددا الحصار عليها، في الوقت الذي كانت فيه قوات ابن هود غير بعيدة عن المدينة لكنها لم تقدم لها النجدة لانشغالها بتحركات ابن الأحمر وبقيت المدينة محاصرة لستة أشهر لم يأتيها المدد، ما دفع بأهلها بعد أن أنهكهم الحصار والجوع إلى مفاوضة فرناندو الثالث على تسليم المدينة التي دخلها الطاغية سنة 633هـ-1236م، ليغادرها معظم أهلها إلى المدن التي لا زالت تحت حكم المسلمين من بلاد الأندلس[2].

هـ - سقوط بلنسية 636هـ-1238م

تعاقب على حكم بلنسية - قاعدة الأندلس - منذ سقوط الخلافة الأموية: الكثير من الأقوام إلى أن ضمها ابن ذي النون إلى أعمال طليطلة، وبقيت على هذه الحال حتى سقوط المدينة سنة 478هـ-1085م بيد ألفونسو السادس ملك قشتالة، الذي وعد حاكمها القادر حفيد ابن ذي النون بمساعدته على حكم بلنسية ليقينه بأنها ستبقى تابعة له يجبي رعيتها ويستغلها حاضرة وبادية، وقد استضعف ملكها[3]، لكن شاءت الأقدار أن يأتي العون مع عبور المرابطين للأندلس ويقتل القادر ويخلفه ابن جحاف[4] الذي قاد الثورة ضده.

استغل النصارى الأمر و طالبوا بالثأر لابن ذي النون أو إخراج الجنود المرابطين من بلنسية وقد كان لهم ما أرادوا، فاشتد بلاءهم على المدينة وضاق الحال على أهلها

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج4، ص240

[2] عنان، دولة الأندلس، ع3، ص424

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج4، ص31

[4] ابن جحاف: أبو محمد عبد الله بن عبيد الرحمن بن جَحَّاف المعافري من أهل بلنسية وقاضيها، ابن خلدون العبر، ج6، ص248، ابن الأبار، تحفة القادم، تعليق: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1969، ص55

وعظم أمرهم واستأسد العدو عليهم مانعا الدخول إلى المدينة أو الخروج منها[1]، ولما بلغ بأهلها ما بلغ من الجوع وأيقن من فيها بالهلكة وغلب اليأس عليهم بعد أن عاث فيهم العدو وشدد عليهم وكثر شرّه على من حولهم وطال حصاره لأكثر من عشرين شهرا، اجتمع أهلها بقاضيهم ليعقد مع الطاغية ميثاق التسليم سنة 487هـ-1094م، وبذلك تسقط مدينة بلنسية ويحرق رئيسها ابن جحاف[2] وتسوء حالها ويعيش أهلها ويلات الهزيمة التي صورها لنا الشاعر في هذه الأبيات بقوله:

عاثت بساحتك الظبـا يا دار ومحا محاسنك البلى والنار

فإذا تردد في جنابك ناظــــر طال اعتبار فيك واستعبار

أرض تقاذفت الخطوب بأهلها وتمخضت بخرابها الأقدار[3].

ارتجت الأندلس كلها لما جرى لأهل بلنسية وقد بلغ خبرها يوسف ابن تاشفين[4] الذي سير لها جيشا حاصرها حصارا شديدا دفع بمغتصبها إلى الخروج منها، لتعود المدينة لحكم المرابطين سنة 495هـ-1102م[5].

بزوال حكم المرابطين دخلت المدينة في ثورة ضد الموحدين دامت ربع قرن لا تعترف بحكمهم عليها[6]، ثم ما لبثت أن دانت لهم حتى عهد أبو جميل زيان بن مردنيش[7] الذي بدأ عهده بالانتقام لما فعله النصارى من تخريب للمدن مستغلا في ذلك انشغالهم في حروبهم بالثغر الشرقي، وبعد أن هدأت العاصفة حشد العدو ما يمكن حشده من الجنود وجماعة الفرسان الداوية ومباركة البابا، وبدأ الزحف نحو المدينة التي سقطت

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج4، ص33

[2] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص168

[3] المقري، المصدر السابق، ج4، ص455

[4] يوسف ابن تاشفين ملك المغرب من الملثمين، الحموي، المصدر السابق، مج5، ص181

[5] ابن الأبار أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان 1995، ج2، ص302

[6] عنان، دولة الإسلام، ع3، ص393

[7] ابن مردنيش: أمير شرقي الأندلس الذي ظهر عليه الموحدون. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، مج5، س8، ص413

كل قلاعها وبقيت من دون حماية ليبدأ حصاره لها، عندها لجأ حاكمها إلى الاستنجاد بالحفصيين الذين كانوا يمثلون القوة الإسلامية الناشئة، وقد انشد في ذلك ابن الأبار شعرا قال فيه:

أدرك بخيلك خيل الله أندلســـــــــــا إن السبيل إلى منجاتها درســــــا

وهب لها من عزيز النصر ما التمست فلم يزل منك عز النصر ملتمسا

إلى أن يقول:

وفي بلنسية منها وقرطبـــــــــة ما ينسف النفس أو ما ينزف النفسا

مدائن حلها الإشراك مبتسمـــــا جذلان وارتحل الإيمان منبئســــــــــا[1].

لكن الأمور لم تكن في صالح البلنسيين فقد تأخر وصول المدد إليها بسبب تشديد الحصار الذي دام أكثر من خمسة أشهر ليدخلها الطاغية من جديد وتسقط المدينة بيده سنة (636هـ- 1239م)[2].

وهو ما نقف عليه في قول ابن الابار: ثم ملكها الروم ثانية، بعد أن حاصرها الطاغية جاقم البرشلوني من يوم الخميس من شهر رمضان سنة خمس وثلاثين وست مائة إلى يوم الثلاثاء السابع عشر من صفر سنة ست وثلاثين، وفي هذا اليوم خرج أبو جميل زيان بن مدافع بن يوسف بن سعد الجذامي من المدينة وهو يومئذ أميرها[3].

و- سقوط إشبيلية (646هـ 1248م):

بعد الفتن والصراعات التي أعقبت انهيار الخلافة الأموية سار أمر أهل إشبيلية المدينة الكبيرة التي ليس لها بالأندلس أعظم منها، وبها قاعدة ملك بنو عبّاد إلى ثلاثة

---

1 ابن خلدون، العبر، ج6، ص386

2 عنان، دولة الإسلام ع3، ص449

3 ابن الآبار، الحلة السيراء، ج2، ص127

من أهلها، أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي[1] والثاني الفقيه أبو عبد الله الزبيدي[2] والثالث الوزير أبو محمد عبد الله بن مريم[3]، لكن القاضي محمد بن عباد سرعان ما تخلص من هذا المجلس وعمل على توسيع نفوذه بالتحالف مع الإمارات المجاورة لإشبيلية ليبدأ في التوسع على حساب الإمارات الصغرى، ولم تدم ولاية حكمه طويلا لظهور هشام المؤيد[4]، ثم خلفه ابنه عباد الذي لقب بالمعتضد بالله[5] الذي عرف بالفظيع لما كان يقوم به من أعمال بحق مناوئيه وجيرانه، فقد كانت له خزانة بجوف قصره أكرم لديه من من خزائن الجوهر يحتفظ فيها برؤوس من أبادهم بسيفه في خزانته منهم ابن خزرون[6]... وقد بقيت عنده ثاوية تجيب سائلها اعتبارا[7].

ارتبط اسمه بكل الأحداث التي وقعت في الأندلس لما كان له من بطش، فقد سارع إلى التوسع على حساب الإمارات الصغيرة بالغرب فأتيح له من الظفر عليهم ما حاز به أملاكهم وضمها إلى جملة أعماله، ثم مد يده إلى القاسم بن حمود[8]، صاحـــــب

[1] محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي قاضي إشبيلية ورئيسها؛ يكنى أبا القاسم. كان من أهل العلم، وتولى القضاء بإشبيلية ثم انفرد برياستها وتدبير أمورها. ابن بشكوال أبي القاسم، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، تحقيق: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس2010، مج2، ص152

[2] محمد بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن المعتصم اللخمِي من أهل إشبيلية يعرف بالزبيدي ويكنى أبا عبد اللَّه كان فقيها حسن السمت والهيئة، عبد الملك المراكشي الذيل والتكملة، مج4، س6، ص 92، ابن الأبار، التكملة، ج2، ص95

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص314

[4] هشام الؤيد ابن الحكم المستنصر خليفة قرطبة فر أيام الفتنة ورفض الملك وأخفى نفسه واستقر في قرية من قرى إشبيلية. نفسه، ج3، ص198، 199

[5] أبو عمر عباد ابن القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي صاحب إشبيلية، ولي بعد أبيه وكان شهما مهيبا صارما داهية. العكري، المصدر السابق، مج5، ص270

[6] ابن خَزْرُون: عبدون بن خزرون الزناتي أمير بني يرنيّان من زناتة، في عهد ملوك الطوائف بالأندلس، وثب على مدينة أركش فأنشأ فيها إمارة لم تطل مدتها. وضم إليها شذونة وكان مواليا للمعتضد بن عباد صاحب إشبيلية، ثم انحرف بدافع العصبية البربرية إلى موالاة باديس بن حيوس صاحب غرناطة، فدعاه المعتضد لزيارته فلما جاءه قبض عليه وسجنه مكبلا ثم قتله، ووجد رأسه بعد مدة في صندوق رؤوس الملوك الذين قتلهم المعتضد، بقصره. ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص206، الزركلي خير الدين ، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط15، دار العلم للملايين، بيروت لبنان2002، ج4، ص179

[7] ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص206

[8] القاسم بن حمود بن ميمون الإدريسي الحسني، الملقب المأمون الثاني ثاني ملوك الدولة الحمادية بقرطبة ولاه سليمان بن الحكم الأموي على الجزيرة الخضراء. الزركلي المرجع السابق، ج5، ص175

الجزيرة الخضراء[1] وفي ظل هذه الأحداث ثار عليه ابنه الذي فشلت ثورته وسارت في غير ما كان مخططا لها فقبض عليه وعلى المجموعة التي كانت تساعده ونفذ فيهم حكم المعتضد بالقتل[2].

ومع كل هذه القسوة كان المعتضد مسالما مع النصارى بل ويدفع لهم الجزية حتى وفاته عام 461هـ- 1069م، فأفضى الأمر من بعده لولده المعتمد[3] الذي بدت في حكمه بوادر الخلاف مع مملكة قرطبة التي حاصرها المأمون ابن ذي النون فتدخل المعتمد لنجدتها، ومع وصول الجند الذين نزلوا بربضها الشرقي وأقاموا بها يحمون حماها، أخذ المأمون في الرحيل عنها ليدخلها جيش المعتمد ويفتك بحاكمها ابن جهور[4] وينهي سلطانه عليها[5]، لتتجه أطماعه بعدها إلى غرناطة بعد أن اشترى سكوت سكوت ألفونسو بالمال، لكن الأمور لم تكن في صالحه بعد أن تحالف بعض خصومه مع ألفونسو حليف المعتمد.

يبدو أن الدور الذي كان يلعبه ألفونسوا هو إفشال الطرفين وإضعافهم لما هو قادم، فقد أعطى سقوط مدينة طليطلة زخما في نفسية ألفونسو جعلته يتحرش بقواعد المسلمين الواحدة تلوى الأخرى، فلم يجد المعتمد من بد في الاستعانة بالمرابطين الذين كانوا يمثلون القوة الإسلامية الأكبر في وقته والتي باستطاعتها الوقوف في وجه الخطر النصراني وقد كان له ما أراد، حيث أجاز ابن تاشفين إلى العدوة وقطع الطريق أمام ألفونسو الذي أخذته العزة بالإثم فرأى في ابن تاشفين ما كان يراه في ملوك الطوائف

---

[1] الجزيرة الخضراء: ابن عذاري، المصدر السابق، ص213

[2] نفسه، ص ص247،248

[3] المعتمد ابن عباد صاحب قرطبة وإشبيلية وما والاهما من جزيرة الأندلس. العكري، شذرات الذهب، مج5، ص161، ابن خلكان، المصدر السابق، مج5، ص21

[4] محمد بن جهور بن محمد بن جهور الأمير أبو الوليد ابن أبي الحزم رئيس قرطبة ومدبر أمرها توفّي معتقلا في سجن ابن عباد. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان2000، ج2، ص233

[5] ابن عذارى، المصدر السابق، ص ص258،257

وأرسل إليه برسالة وهو يحاصر إشبيلية جاء فيها: " كثر بطول مقامي في مجلسي الذبان، واشتد عليّ الحر فأتحفني من قصرك بمروحة أروح بها عن نفسي وأطرد بها الذباب عن وجهي"، فوقّع له ابن عباد بخط يده في ظهر الرقعة:" قرأت كتابك وفهمت خيلاءك وإعجابك، وسأنظر لك في مراوح من الجلود اللمطية تروح منك لا تروح عليك إن شاء الله"[1]، وقد كان الذي وعد به المعتمد فقد انهزمت جيوش النصارى شر هزيمة في معركة الزلاقة سنة 479هـ–1086م[2]، لكن الأمور سرعان ما عادت إلى ما كانت عليه من فرقة بين ملوك الطوائف الذين عادوا لسابق عهدهم من الفرقة والصراع

وعادت هجمات النصارى على المدن الإسلامية فكان العبور الثاني والثالث الذي قضى فيه ابن تاشفين على ملوك الطوائف ودانت البلاد للمرابطين[3]، و في ذلك يقول ابن تاشفين:" إنما كان غرضنا في ملك هذه الجزيرة أن نستنقذها من أيدي الروم، لما رأينا استيلاءهم على أكثرها، وغفلة ملوكهم وإهمالهم للغزو وتواكلهم وتخاذلهم وإيثارهم الراحة، وإنما همة أحدهم كأس يشربها، وقَيْنة تُسمعه، ولهو يقطع به أيامه، ولئن عشت لأعيدن جميع البلاد التي تملكها الروم عليهم خيلا ورجالا لا عهد لهم بالدعة ولا علم عندهم برخاء العيش ، وإنما همّ أحدهم فرس يروضه ويستنفره، أو سلاح يستجيده أو صريخ يلبي دعوته"[4].

مع ظهور دعوة الموحدين جعلوا من المدينة قاعدة الحكم وغدت في عهدهم أعظم حواضر الجزيرة وأزخرها عمرانا وأجملها تخطيطا[5].

لكن أعين ملك قشتالة كانت على إشبيلية التي عانت من الولاءات، فمن الثورة ضد الموحدين إلى مبايعة ابن هود بعد ثورته في شرق الأندلس، ثم تحالف أبو مروان

---

[1] المقري، المصدر السابق، ج4، ص358

[2] مجهول، الحلل الموشية، ص64

[3] نفسه، ص73

[4] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق ، ص226

[5] عنان، دولة الإسلام ع3، ق2، ص487

الباجي[1] مع ابن الأحمر[2] ضد ابن هود وبعد هزيمته غدر ابن الأحمر بابن الباجي وقتله ليثور عليه أهل إشبيلية منادين بطاعة ابن هود، ثم عادوا عنه لبيعة الموحدين من جديد[3]، لتنتهي بيعتهم للحفصيين سنة 643هـ-1245م، لكن سرعان ما ساءت الأمور بين الطرفين ليتدخل ملك قشتالة في حصار المدينة بمساعدة ابن الأحمر الذي ساهم في إقناع من كان في الحصون بتسليم أنفسهم[4].

وجاءت مساعدة ابن الأحمر في محاصرة المدينة على رأس قوة من فرسانه انتقاما من أهل المدينة لما فعلوه معه سابقا، وذلك ما يشير إليه ابن خلدون بالقول هذا التصرف المشين من جانب الأمير المسلم ابن الأحمر الذي كان يرمي بمعاونته النصارى على هذا النحو الانتقام من اشبيلية لأنهم خذلوه ونكلوا عن طاعته وأخرجوه من المدينة[5]، وبسقوط هذه الحصون أصبحت المدينة من دون حماية حيث ضُرب عليها حصار شديد أرهق أهلها لما يزيد عن خمسة عشر شهرا استنجد فيها أهل اشبيلية بالمغرب وسائر الأمراء لكن ما من مغيث لهم، وبعد أن فتك الحصار بها اتفق أهلها على تسليمها للعدو، فكان ذلك سنة 646هـ-1248م[6]، ليبدأ بعده أهل المدينة في تصفية شؤونهم والهجرة إلى العدوة المغربية ولم يبق من الأندلس التي كانت تغطي أكثر من ثلثي الجزيرة الأيبيرية إلا الجنوب ممثلا في غرناطة وما حولها، حيث يصور لنا الشاعر أبو البقاء الرندي[7] ما حل بالبلاد وكيف سقطت حواضرها فيقول[8]:

دهى الجزيرة أمر لا عزاء لـــــه هوى له أحد وانهد نهـــلان

---

[1] أبو مروان أحمد الباجي من أعقاب أبي الوليد وأبو عمرو بن الجد بويع بإشبيلية وتسمى بالمعتضد. ابن خلدون العبر، ج6، ص392

[2] محمد بن يوسف بن نصر السلطان أبو عبد الله بن الأحمر صاحب الأندلس. الصفدي، الصدر السابق، ج8، ص202

[3] عنان، دولة الإسلام، ع3، ق2، ص470

[4] نفسه، ع3، ق2، ص474

[5] عنان، دولة الإسلام، ع3، ق2، ص480

[6] الحميري، الروض المعطار، ص60

[7] أبو البقاء الرندي صالح بن يزيد بن صالح بن شريف الرندي، وتختلف كنيته بين أبي البقاء وأبي الطيب، من أهل رندة من جَزِيرَة الأندلس من الأدباء المجيدين. الصفدي، المصدر السابق، ج16، ص160

[8] المقري، المصدر السابق، ج4، ص487

أصابه العين في الإسلام فامتحنت حتى خلت منه أقطار وبلدان
فاسأل بلنسية ما شأن مرسيـــــة وأين شاطبة أم أين جيـــان
وأين قرطبة دار العلوم، فكـــــم من عالم سما فيها له شـــان
وأين حمص وما تحويه من نـــزه ونهرها العذب فياض ومـــلآن
قواعد كن أركان البلاد فمـــــا عسى البقاء إذا لم تبق أركان
تبكي الحنيفية البيضاء من أسف كما بكى لفراق الإلف هيمان
على ديار الإسلام خاليـــــــة قد أقفرت ولها بالكفر عمـران.

ي - سقوط ألمرية 895هـ-1490م

ألمرية من البلاد الهامة في أقصى جنوبي الأندلس، على البحر المتوسط، وهي باب الشرق ومفتاح الرزق[1]، ولعل عصر ابن صمادح[2] أزهى عصورها، لكنه مثل باقي باقي ملوك الطوائف كانت له أطماع في أملاك جيرانه فقد سعى لانتزاع وادي آش[3] وبسطة[4]، ودخل في نزاع مع ملك غرناطة فساءت الأحوال وكثرت الأطماع وضعفت الهمم ولحق بالبلاد العار بعد أن أذلهم العدو، ولم يكن هناك من بد إلا الاستعانة بالمرابطين الذين لبوا النداء وكانوا خير عون لإخوانهم من أهل الأندلس، لكن ملوك الأندلس وبعد دحر عدوهم عادوا لما كانوا عليه من شقاق ونزاع ما عجل بنهايتهم فبدأ المرابطون بحصار غرناطة ثم قرطبة ومنها إلى ألمرية، التي أوصى ملكها ابنه وولي عهده بقوله: إذا بلغك أن ابن عباد جرى عليه شيء من قبل هؤلاء أصحاب اللثام فاركب البحر إلى بلاد بني حماد[5]، وما هي إلا شهور حتى خلع المرابطون ابن عباد صاحب اشبيلية وقد كان وقتها من أعظم ملوك الطوائف، فلما رأى صنيع المرابطين به

[1] ابن سعيد ، المصدر السابق ، ج2، ص193
[2] ابن صمادح صاحب المرية وبجاية والصمادحية من بلاد الأندلس، ابن خلكان، المصدر السابق، مج5، ص39
[3] آش: مدينة الأشات بالأندلس قريبة من غرناطة. محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار، ص604
[4] بسطة: مدينة بالأندلس من أعمال جيان. الحموي، المصدر السابق، مج1، ص422
[5] يقصد بها بجاية. ابن عذارى، المصدر السابق ، ج3، ص168

كتب إلى المنصور ابن الناصر صاحب قلعة بني حماد يستأذنه في الوصول إلى بلاده فأذن له[1].

شهدت البلاد في عهد المرابطين الكثير من المعارك ضد النصارى خاصة في الثغر الشرقي والتي استنزفت كل قواهم، ومع الضعف الذي أصابهم ظهرت دعوة الموحدين بالمغرب وهي الدعوة التي استغلها أهل الأندلس في الثورة على المرابطين مستعينين عليهم بجيوش قشتالة و البرتغال[2]، ثم دخلت البلاد كلها في فلك الموحدين لكن أمورها ساءت كثيرا عندما ثار أهلها واستغلوا ضعفها في القرصنة والإغارة على المدن المسيحية.

استغل ملك قشتالة الملقب بالسليطين هذه الاعتداءات وبدأ في حصار المدينة بجيوشه ثلاثة أشهر حتى نفذت الأقوات وانهارت القوى واضطر أهلها إلى تسليمها لألفونسوا السابع الذي دخلها سنة (542هـ–1147م)، ولما استتبت الأمور للموحدين في الجنوب قاموا بمحاصرة المدينة وإعلنوا الجهاد بها فسقطت في أيديهم ثانية سنة(552هـ–1157م)، لكن المدينة كانت قد تغيرت محاسنها وخربت ديارها ولم يبق منها شيء، وقد تعاقب على حكمها العديد من أمراء المسلمين، عرفت من خلالهم مدا وجزرا حتى سقوط مالقة سنة(892هـ–1487م) وبقيت المدينة المنفذ الوحيد الذي تصل إليه الإمدادات والأقوات من المغرب إلى الأندلس، حينها أدرك فرناندوا أهميتها بالنسبة لأهل غرناطة ككل، فكرس كل جهوده في حصارها حتى سقوطها سنة (895هـ–1490م)[3].

---

[1] بن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص168

[2] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية 1984، ص92

[3] نفسه، ص105

ش- سقوط غرناطة (897هـ-1492م)

تعتبر مملكة غرناطة **رمّانة** عجم الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها[1] الاستثناء فيما جرى للمالك الأخرى بالأندلس على اعتبار أنها الوحيدة التي صمدت في وجه العاصفة التي أطاحت بالجميع، حيث استطاع أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر[2] أن يصمد أمام جيوش إسبانيا النصرانية ويؤسس جيشا من المسلمين ومملكة بالجنوب مؤخرا في ذلك سقوط الأندلس لأكثر من قرنين من الزمن، حيث توالى على حكم هذه المملكة ما يزيد عن العشرين سلطانا تميزت فترات حكمهم بالقوة أحيانا وبالضعف أحيانا أخرى، وقد كان للمرينيين الدور الكبير في نجدتهم كل ما حل بهم خطب أو اشتد عليهم حصار النصارى وفي ذلك يقول المقري: ..."ولم يزل ملوك بني مرين يعينون أهل الأندلس بالمال والرجال[3]"، لكن سرعان ما دب الخلاف في البلاد فحيكت المؤامرات وقتل الملوك وكثرت الأطماع وأرغم الحكام عن التنازل على العرش، وساءت العلاقات مع المرينيين الذين كانوا يرسلون المدد والمعين إلى أن جاءت موقعة طريف التي تجهز لها الأندلسيون والمرينيون من جهة والقشتاليون ومن معهم من جهة أخرى، وكان النصر حليف القشتاليين الذين هزموا المسلمين، وبالجملة فهذه الواقعة من الدّواهي المعضلة الداء ... التي تضعضع لها ركن الدّين بالمغرب، وقرّت بها عيون الأعداء حيث قتل جمع كثير من أهل الإسلام ولمة وافرة من الأعلام[4]، وقد زادت الأمور ضعفا بوصول أبي الحسن علي بن سعيد بن إسماعيل المعروف بمولاي الحسن إلى سدة الحكم، وهو الذي عرف بالاستهتار والميل للملذات وترك الجهاد في الوقت الذي اشتد فيه تكالب النصارى على غرناطة، حيث يقول ابن

---

[1] الحموي، المصدر السابق، مج4، ص195

[2] محمد بن يوسف بن نصر أمير المسلمين وسلطان الأندلس يلقب بالغالب بالله . ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تصحيح: محب الدين ابن الخطيب، المطبعة السلفية القاهرة 1347هـ، ص30

[3] المقري، المصدر السابق، ج5، ص385

[4] نفسه، ج5، ص15، العكري، المصدر السابق، مج8، ص225

الخطيب: "كان صاحب غرناطة السلطان أبو الحسن قد استرسل في الملذات وركن إلى الراحات وأضاع الأجناد واسند الأمر إلى بعض وزرائه، واحتجب عن الناس ورفض الجهاد والنظر في الملك"[1].

شكل سقوط جبل طارق الذي كان يمثل المنفذ الوحيد للعبور وإمداد الغرناطيين من العدوة المغربية بيد القشتاليين، ثم انهيار الدولة المرينية سنة (869هـ-1464م) النقطة الفارقة التي سرعت في اتحاد مملكة قشتالة وارغون لغزو المدينة سنة (884هـ-1479م) من اجل القضاء على ما بقي من المسلمين في إسبانيا، وكان وقتها الأمير أبو عبد الله الصغير آخر ملوك العرب في الأندلس ، الذي خاض الحرب ببسالة في بدايتها لكن تشاء الأقدار أن يؤسر ويخلفه عمه محمد بن سعيد المعروف بالزغل[2] الذي واصل كان خير خلف لابن أخية في ميدان المعركة،

وبعد نهاية الحرب خرج الملك الصغير من الأسر وقد صاحبه الكثير من الانقسام في صفوف المسلمين، ليدخل مع عمه في صراع انتهى بتقسيم غرناطة بينهما.

هذا الانقسام شجع كثيرا ملك قشتالة على تشديد ضرباته وحصاره للمدن الصغيرة التي تحيط بعاصمة الدولة، فاحتل بلش[3] ومالقة[4] رغم كل الاستبسال الذي أبداه أهلها في الدفاع عنها بقيادة الزغل الذي اضطر في الأخير إلى عقد الصلح مع الإسبان والهجرة إلى تلمسان[5]، لتبقى المدينة بيد الملك الضعيف أبو عبد الله الصغير[6] الذي غدر به الملك فرناندوا مطالبا إياه بتسليم المدينة، حينها فقط علم بالخديعة التي أوقعه فيها فقام إلى الدفاع عنها، لكن الأمور كانت قد ساءت بعد أن حوصرت المدينة وقطع عنها

---

1 العكري، لمصدر السابق، مج4، ص512

2 الزغل: تعني الرجل الباسل.عنان ، دولة الإسلام، ع4، ص192

3 بلش: بالفتح وتشديد اللام والشين معجمة: بلد بالأندلس . الحموي، المصدر السابق، مج1، ص484

4 مالقة: مدينة بالأندلس عامرة من أعمال رية بين الجزيرة الخضراء وألمرية، نفسه، مج5، ص43

5 عنان، دولة الأندلس ع4، ص102

6 أبو عبد الله الصغير آخر ملوك العرب بالأندلس.كحالة عمر رضا، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان(د ت)، ج12، ص305

المدد من كل ناحية ولم يبقى إلا التسليم، فبادر أهلها إلى ملكهم لدراسة أمر المدينة التي فقدت كل مقومات الدفاع والمقاومة فوافقوا على التسليم عدا رجل واحد هو القائد موسى بن أبي الغسان[1] الذي اعترض على ذلك قائلا: انه خير لي أن أحصى بين الذين ماتوا دفاعا عن غرناطة، من أن أحصى بين الذين شهدوا تسليمها[2]، وبذلك يسقط آخر حصن إسلامي في شبه الجزيرة الأندلسية.

يقول المقري: "وكان الاستيلاء على مدينة غرناطة آخر مابقي من بلاد الأندلس للإسلام في محرم عام سبعة وتسعين وثمان مائة"[3] وينتهي بذلك الوجود الإسلامي كليا بهذه البلاد.

وبالمجمل فإن الأمور كانت قد خرجت من أيدي المسلمين عندما خضعوا للعدو وجعلوا مصيرهم بيده، وهو الذي استغلهم ضد بعضهم مقويا طرفا على الآخر حتى تمكن منهم جميعا، فساءت أحوالهم وتنافروا فيما بينهم حتى أصبح صريخ أحدهم لأهل الإسلام لا يغني ولايسمن من جوع، فكان الشعراء ينشدون القصائد المؤثرة يطلبون فيها النصرة والمؤازرة في مساجد القاهرة وتونس والقيروان ومراكش، فيستمع الناس لذلك ويجهشون بالبكاء، ثم يكفكفون دمعهم وينصرفون إلى بيوتهم ولا يستجيب لداعي الجهاد غير نفر يسير فقير[4]، وحتى عندما تم الإمضاء على وثيقة التسليم التي كان من بين شروطها أن يترقب المسلمون سبعون يوما عسى أن يأتيهم المدد من الخارج، لكن لم تكن هناك

---

[1] موسى بن أبى الغسان سليل إحدى الأسر العريقة التي تتصل ببيت الملك فارس غرناطة. لا توجد له ترجمة في المصادر العربية وكل ما كتب عنه جاء به المؤرخ الإسباني كوندى، عنان، نفسه، ع4، ص237

[2] الذنون عبد الحكيم ، آفاق غرناطة، ط1، دار المعرفة، للنشر والتوزيع والطباعة والترجمة، دمشق1988، ص51

[3] المقري، المصدر السابق، ج6، ص22، المقري شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، أزهار الرياض في أخبار عياض، ضبط وتحقيق: مصطفى السقا و إبراهيم الأبياري و عبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1939، ج1، ص66

[4] أحمد رائف، وتذكروا من الأندلس الإبادة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر 1991، ص37

أي دولة إسلامية قادرة على تقديم العون للغرناطيين وتخليصهم من مصيرهم المحتوم[1].

والحقيقة أن الأندلسيين امتازوا بالعقلية الانهزامية قبل سقوط مدنهم، ففي الوقت الذي ألهبت العواطف الدينية نصارى إسبانيا الذين رأوا في أنفسهم المخلص لأوربا من الوجود الإسلامي، تجلى الضعف في المسلمين من خلال صرخاتهم التي طلبوا بموجبها النجدة من أخوانهم من أهل المغرب الذين كانوا يرون فيهم خزانا بشريا يلجأون إليه كلما دعت الحاجة لذلك، وقد أثبتت الأيام بأنهم لا طاقة لهم للدفاع عن الأرض التي أصبحت في نظر الكثير منهم ليست أرضهم بل أصبحوا أجانب عنها ومن ذلك أقوال العديد من الشعراء:

فما في أندلس مقـــــــام وقد دخل البلا من كل باب

يا أهل أندلس حثوا مطيكم فما المقام بها إلا من الغلط

لذلك من ينتظر غيره أن يحرر له بلده لا يمكن أن يكون أهلا لهذه الأرض.

2- ضغط الجماعات الدينية والكنيسة ومحاكم التفتيش

أ- ضغط الجماعات الدينية والكنيسة

أدرك النصارى منذ البداية أهمية العامل الديني في حشد القوى والطاقات من أجل استرداد أرض الأجداد، معتبرين في ذلك بما كان عليه العرب أنفسهم عندما فتحوا بلاد الأندلس وكيف كان لهذه الجماعات (الربط) الدور الكبير في الدفاع عن الأندلس، ذلك أن العامل الديني هو المحفز الكبير في عملية الحشد ضد العدو، لذلك تنافس ملوك أوربا واسبانيا على تأسيس العديد من الجماعات الدينية بمساعدة رجال الدين المسيحيين فكان من أهم ما ظهر في هذه الفترة من تاريخ اسبانيا النصرانية:

[1] محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت1982، ص250

الحركة الكارتوزية

تأسست سنة 477هـ-1084م من طرف الكاهن برونو الكولوني بمدينة كارتوزيا قرب غرونوبل بفرنسا[1]، ورغم البعد الجغرافي إلا أنها أسهمت بشكل كبير في تسخير كل طاقاتها للتنكيل بالمسلمين بالأندلس.

حركة السترشيان

أنشئت سنة 492هـ-1098م من طرف صاحب دير موليم الكاهن روبرت الذي كان أكثر تحمسا من غيره في الدعوة لشن الحرب ضد المسلمين الأندلسيين، ثم أسست لها فرعا في إسبانيا سنة544هـ-1149م[2] كان هدفه القيام بالواجب المقدس، ورغم أن هذه الحركة أساسها ديني إلا أن كل أعمالها كانت أعمال حربية أثرت بشكل كبير في الاسبان الذين سرعان ما استلهموا العزيمة من هؤلاء الرهبان وأسسوا جماعات خاصة بهم.

جماعة فرسان القنطرة

تأسست بتشجيع من ملك قشتالة ريمونديس سنة 547هـ-1152م في حين يرى أشباخ أنها تأسست سنة 551هـ-1156م بفضل تعاون فارسان (سويرو و جومز) مع أحد النساك، حيث أقاموا حصنا حول دير سانت جوليانوس ليلتجئ إليه المحاربون الذين وهبوا أنفسهم لقتال أعداء الدين المسيحي[3]، وكان اسمها سنت جوليان (خوليان) دل بيريرو، وقد كان لها نشاط كبير في دعم الجبهة النصرانية والاستيلاء على الثغور الإسلامية، ومع استيلاء هذه الجماعة على قلعة القنطرة سنة 615هـ-1218م شرع

---

[1] البشري سعد بن عبد الله ، جماعات الفرسان الدينية الإسبانية وحروبها مع المسلمين في الأندلس، مجلة جامعة أم القرى، العدد 7، 1413هـ- 1992، ص188

[2] نفسه ص188

[3] يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة وتعليق: محمد عبد الله عنان، ط 2، مكتبة الخانجي، القاهرة 1996، ج2، ص14

فرسان القديس جوليان في الانتقال إليها، ثم تسموا باسمها فأصبحوا يعرفون باسم جماعة فرسان القنطرة[1]، وفي سنة (619 هـ-1221 م) استولى فرسان القنطرة على قاعدة بلنسية الإسلامية[2]

جماعة فرسان قلعة رباح

أسسها ريموند وهو أحد رجال الدين و صاحب دير فتيرو بالتعاون مع أحد الرهبان الذي يدعى دياجيو بعد هزيمة فرسان الداوية الذين كانوا يقيمون على حماية قلعة رباح ومع بقاء القلعة دون حماية طلبت الجماعتان من ملك قشتالة أن يعهد لهما بحمايتها وقد كان لهما ذلك، فقاما على جمع الكثير من المتطوعين للدفاع عنها، وبعد استرجاعها اتخذوا منها قاعدة لهم[3]. وتعتبر هذه الجماعة من أعظم الجمعيات الدينية المحاربة بإسبانيا حيث كان تدخلهم في كثير من الأحيان من عوامل النصر والإنقاذ للجيوش النصرانية[4]

جماعة القديس ياقب

تأسست سنة 556هـ-1161م وشعارها محاربة أعداء الدين المسيحي، وأصل هذه الجماعة من الغوغاء والهمج وقطاع الطرق الذين منحتهم الكنيسة الغفران ليهبوا أنفسهم في حماية الحجاج الذين يقصدون زيارة قبر القديس ياقب لذلك سميوا باسمه[5]. وسرعان ما نمت واشتد ساعدها واضطلعت بدور بارز في الصراع بين إسبانيا النصرانية وإسبانيا المسلمة.[6]

---

[1] عنان، دولة الإسلام ع3، ص340، البشري، المرجع السابق، ص198، هشام أبو رميلة، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، ط1، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان الاردن1984، ص304

[2] عنان، المرجع السابق، ع3، ص340

[3] أشباخ، المرجع السابق، ص15،16

[4] محمود شيت خطاب، قادة فتح الأندلس، ط1، مؤسسة علوم القرآن ومنار للنشر والتوزيع، بيروت دمشق2003، مج2، ص131

[5] أبو رميلة، المرجع السابق، ص304، أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص17

[6] عنان، دولة الإسلام، ع3، ص520

جماعة فرسان القديس يوحنا

تأسست هذه الجماعة بالبرتغال سنة 1162م وسميت بالجماعة المحاربة حيث ترأسها بيدرو أخ الملك، وبعد استيلائهم على قلعة يابرة سنة 1166م غيروا اسمهم لفرسان يابرة، لتستقر على اسم جماعة فرسان آفيش سنة 1211م[1].

جماعة الداوية أو فرسان المعبد

فرسان المعبد من أشهر الجماعات الدينية التي قامت في بداية الحروب الصليبية، وتعرف بجماعة الداوية والتي أنشأت في بيت المقدس عقب سقوطها في يد الفرنج وذلك لحماية الحجاج إلى قبر المسيح، وأفرد لهم ملك بيت المقدس جناحاً في قصره، ثم سلم إليهم المعبد المجاور له، ومنه اشتقوا اسمهم فرسان المعبد ونمت هذه الجماعة بسرعة، واشتد ساعدها بمن انضم إليها من النصارى من سائر الأمم، ولعبت دوراً هاماً في حوادث الحروب الصليبية، واستمرت قائمة عصوراً انتقل فرع منها إلى بلاد الأندلس بعد سعى الملك ريدموند الرابع لتوطين العديد من أعضائها في برشلونة، وأسس لهم دير ومنحهم حصن جرانينا القريب من لاردة[2] وذلك في مسعى منه للاستيلاء عليها لاحقا[3].

رغم أن معظم الجماعات الدينية كانت من خارج بلاد الأندلس إلا أنه كان لها شأن كبير من خلا تأسيس فروع لها بالداخل وذلك بفضل الدعم الذي كانت تتلقاه من فرنسا خصوصا، ولعل خطاب أريان الثاني الشهير الذي أعلن فيه أن العالم مقبل على حرب لم يشهدها من قبل، قد تجلت في مساهمة فرسان فرنسا وألمانيا وإيطاليا بشكل كبير في إسقاط طليطلة عاصة المسيحيين[4]، أما في بلنسية فقد كان لجماعة فرسان الداوية

[1] أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص18

[2] لاردة مدينة مشهورة بالأندلس شرقي قرطبة. الحموي، المصدر السابق، مج5، ص7

[3] عنان، دولة الإسلام ع3، ص501-502

[4] بشتاوي، المرجع السابق، ص ص 62، 63

السبق في إسقاط المدينة بيد بيدرو الثاني[1]، ليظهر الدور الكبير لهذه الجماعات في تقديم الخدمات لملوك إسبانيا بعد سيطرتهم على المدن الإسلامية والحصون، وذلك من خلال حراستها وحمايتها من خطر المسلمين.

ومن ذلك ما قام الملك ألفونسو حين استولى على قلة رباح حيث أوكل أمر تأمينها وحمايتها لفرسان الداوية لأنها من الجماعات المستقلة التي لا تخضع للتقلبات السياسيين بل ولاؤها للكنيسة أكبر ومهمتها الأساسية الذود عن الدين المسيحي[2]، وفي المجمل كانت هذه الجماعات تقدم خدمات لملوك إسبانيا تحت غطاء الكنيسة ومباركتها، وقد كان لها الدور الكبير في إحياء النزعة القومية لمحاربة المسلمين.

عملت الجماعات الدينية بمباركة من الكنيسة على أخذ زمام المبادرة في التصدي لأعداء الدين المسيحي بعد أن ساءت أحوال المجتمع الأوربي الذي أحدقت به الأخطار من كل جانب، فقامت الأديرة على نشر روح الحماس الديني في المجتمع في الوقت الذي قامت فيه الكنيسة بإصدار المراسيم التي تسهل لهم تحركاتهم، فكان من أهم ما عملت الكنيسة على إقراره حينما اندلعت الحرب بين المسلمين والنصارى بالمشرق أنها أصدرت مرسوما تمنع بموجبه مشاركة الإسبان في هذه الحرب على اعتبار أن الخطر الماثل بها أكبر من ذلك الموجود في الأرض المقدسة، وهي مهددة من الداخل أكثر ما هي مهددة من الخارج[3]، ليتواصل دعم الكنيسة للمحاربين والجماعات الدينية بمباركة كل الأعمال التي يقومون بها ضد المسلمين، ومن ذلك الغفران الذي منحه البابا للفرسان الفرنسيين الذين ذهبوا للقتال بالأندلس أو ما عرف وقتها بالحرب العادلة والتي أقر فيها بمنح الأراضي التي تصادر من المسلمين لمن يحررها من أيدي

---

[1] عنان، الدولة الإسلامية، ع3، ص ص 604، 605

[2] أشياخ، المرجع السابق، ص ص 13، 14

[3] عنان، دولة الإسلام ع2، ص402

الوثنيين(يقصد المسلمين)[1]، كما كانت تعطى الصبغة الدينية لكل الأعمال العدائية ضد المسلمين، ففي عهد البابا غرغوري السابع وهو أكبر وأهم من تولى منصب البابوية في التاريخ الكنسي كله، وهو مؤسس فكرة الحملات الصليبية الشهيرة على العالم الإسلامي حيث منح اسم جيش المسيح للمقاتلين وصرفت الأموال الطائلة للمحاربين من أجل مواصلة قتال المسلمين واستئصال شوكتهم من الأراضي المسيحية مهما كان الثمن[2]، ليبرز دور الكنيسة أكثر في سنة 512هـ-1118م حين حضر المطارنة الفرنسيين والإسبان لاجتماع المجلس الكنسي في تولوز برئاسة البابا غيلاسيوس الثاني، الذي تقرر إثره تنظيم الحملة العسكرية ضد مدينة سرقسطة ووعد المشاركون في الحملة بالغفران، وبذلك تجمعت الحشود من كل حدب وصوب[3]، وعند نهاية الحرب قامت البابوية في روما بمنح بيدرو الثاني الشارات الملكية وأسبغت عليه دروع الفروسية واحتفل به في كنيسة القديس بطرس، ونظير ذلك تعهد بحماية الكنائس وامتيازاتها، وأن يطارد الكفرة (المسلمين) من بلاد الأندلس[4].

ولم تكتفي الكنيسة عند هذا الحد من استغلال نفوذها وتأثيرها بل سعت إلى التحريض والدعوة لقتال المسلمين كلما سنحت لها الفرصة بذلك، ففي معركة حصن العقاب استغلت وفاة الخليفة الموحدي أبو يوسف يعقوب وتسلم ابنه من بعده للحكم وكانت تدرك مدى الضعف الذي عليه هذا الأخير، فقام البابا أنوصان الثالث بدعوة الأمم الأوربية كافة وأساقفة جنوب فرنسا خاصة، حاضا إياهم على السير بأنفسهم وأموالهم

---

[1] إدوارد بروي وآخرون، تاريخ الحضارات العام (القرون الوسطى)، تعريب: يوسف أسعد داغر وفريد محمد داغر، ط2، منشورات عويدات، بيروت باريس1986، ج2، ص312، أحمد جميات، دور البابوية والهيئات الدينية في إنهاء الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية، مجلة كان التاريخية، العدد29، سبتمبر 2015، ص79

[2] الشطشاط علي حسن ، نهاية الوجود العربي في الأندلس، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة2001، ص91

[3] بشتاوي عادل سعيد ، الأندلسيون المواركة، ط 1، انتر ناسيونا برس، القاهرة 1983، ص ص 57،58

[4] عنان، دولة الإسلام ع2، ص ص603،604

لمؤازرة ملك قشتالة في حربه ضد المسلمين، وأن كل من يلبي نداء الكنيسة يمنح له الغفران التام[1]، ومع نهاية المعركة بانهزام المسلمين قامت الكنيسة بتخليد هذه الذكرى التي انتصر فيها الصليب على الهلال، وذلك بأن جعلت من هذا اليوم (انتصارها بالعقاب) يوما من أيام الكنيسة تحتفل به كل عام احتفالا عظيما تحت شعار ظفر الصليب[2].

وعندما أرادت إيزابيلا القضاء على الوجود الإسلامي نهائيا في الجزيرة عملت على أن يكتسي هذا الإجراء صبغة دينية، حيث أرسلت إلى البابا سيكستوس الرابع رسالة تعرض فيها خطتها لهذا الغرض، فأبدى البابا سعادة كبيرة بذلك، وأصدر إرادة بابوية خاصة بشأن هذه الحملة تضمنت بالأساس السماح لإيزابيلا وزوجها فرناندو بتحصيل ضريبة الجهاد ضد المسلمين، وذلك من أجل تأمين المال الكافي للقتال، ولم يكن البابا سيكستوس وحده في هذا المجال فقد تبعه خلفه أنوصان الثامن في تجديد هذه الإرادة سنويا حتى سقطت غرناطة[3]، وبهذا السقوط الذي أنهى الوجود الإسلامي من شبه الجزيرة الأيبيرية دقت أجراس الكنائس في كل أوربا ابتهاجا بهذا النصر، وأقام بابا روما صلاة شكر خاصة على اعتبار أن الأندلس كانت الدولة الأولى التي استعادها الصليبيون من المسلمين[4].

ولعل أحسن تعبير على نفوذ الكنيسة في اسبانيا تلك الرسالة التي بعث بها الملك فرناندو للبابا بعد النصر الذي حققه على المسلمين في غرناطة حيث يقول: "ولدك المطيع المخلص ملك قشتالة وليون وأرغون وصقلية وغرناطة... يبشرك بأن الرب قد أنعم علينا بالنصر المبين على أندلسيي غرناطة أعداء ديننا الكاثوليكي الطاهر"[5].

---

[1] عنان، دولة الإسلام، ع3، ص288

[2] الشطشاط، المرجع السابق، ص ص91،92

[3] بشتاوي، المرجع السابق، ص68

[4] نفسه، ص59

[5] نفسه، ص68

وحين قرر شارل الخامس التخلص من التسامح تجاه المسلمين بإسبانيا، طلب من البابا المغفرة لنقض العهود التي أخذها على نفسه بعدم إزعاج بقايا المسلمين بأراغون وبلنسية، فمنحه البابا هذا الغفران وأصبح بذلك في حل من كل التعهدات التي أبرمها، لتبدأ حملة التعميد أو مغادرة البلاد دون الأملاك[1]، لأن ذلك كان يعتبر في نظر الإسبان من الأعمال المقدسة التي يجب تنفيذها ضد المسلمين المتبقين بعد سقوط غرناطة، وهو ما يصوره لنا المقري بقوله: فلما رأى الطاغية أن الناس قد تركوا الجواز وعزموا الاستيطان والمقام في الوطن، أخذ في نقض الشروط التي اشترط عليه المسلمون أول مرة، ولم يزل ينقضها فصلا فصلا إلى أن نقض جميعها، وزالت حرمة المسلمين وأدركهم الهوان والذّلة[2].

ب- محاكم التفتيش:

ظهرت محاكم التفتيش في القرن الثالث عشر ميلادي مع تزايد غطرسة الكنيسة الكاثوليكية واجتهادها في مراقبة ضمائر الناس في الدول التي كانت تحت سيطرتها فعذبت أجيالا كاملة من المفكرين والعلماء في أنحاء أوربا، وفي سنة 882هـ-1478م أصدر البابا مرسوما يقضي بإنشاء محكمة التفتيش بإسبانيا، وهكذا تكونت محاكم التفتيش الكاثوليكية الإسبانية والتي تجمع بين الصفتين الدينية والقومية والتي ذاق منها المسلمون بعد ذلك صنوفا من العذاب والإذاية والظلم[3].

مع سقوط آخر معاقل المسلمين بالأندلس سنة(897هـ-1492م) لم تكن لتنتهي معاناتهم بعد هذا الانهيار بل زادت مأساتهم أكثر، بحيث بدأ صراع الوجود وصراع العقيدة، فلم يكن للفائز من حرج في القضاء على المنهزم بكل ما أوتي من قوة، فكانت البداية من الصفة التي ألصقها بهم وليس نهاية بالقتل والنفي، فقد اعتبر المسلمون

---

[1] كارداياك لوي ، الموريسكيون الأندلسيون و المسيحيون المجابهة الجدلية 1492-1640، تعريب وتقديم: عبد الجليل التميمي، منشورات المجلة التاريخية المغربية و ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، تونس1983، ص113

[2] المقري، أزهار الرياض، ج1، ص ص69،68

[3] الكتاني علي المنتصر، إنبعاث الإسلام في الأندلس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان2005، ص ص 65-68

الذين بقوا بإسبانيا بعد الهزيمة بالموركسيون وهو اسم له من الدلالة ماله، فهو يحمل في ثناياه معنى الاحتقار لهم والتصغير من شأنهم ومعناه المسلمون الصغار[1]، ولم تمض فترة طويلة عن سقوط غرناطة حتى بدأ الملكان الكاثولكيان في نقض بنود معاهدة سقوط غرناطة التي أبرموها مع الملك أبو عبد الله الصغير لإجبار من بقي من المسلمين على التنصر، وكان أول إجراء قاما به هو دعوة الموركسيين للخروج من المدينة وهم الذين أُعطوا الأمان للبقاء فيها ما شاءوا، ثم فرضت عليهم الضرائب دون سواهم من أهل المدينة حتى ساءت حالهم، وهنا يقول صاحب نبذة العصر: فرضت عليهم الفروضات وثقلت عليهم المغارم وقطع لهم الآذان من الصوامع وأمروا بالخروج من المدينة إلى الأرباض والقرى[2].

وفي سنة 907هـ-1502م أصدرت الملكة إزابيلا مرسوما خير بموجبه الموركسيون بين التنصير أو الرحيل، لأنه من واجب أهل قشتالة أن يطردوا أعداء الدين المسيحي من مملكتهم، وقد أسهم هذا المرسوم في هجرة الكثير إلى بلاد المغرب[3].

ومع كثرة نزوح المسلمين إلى العدوة المغربية عادت السلطات لاستصدار المراسيم من جديد لمنع الموركسيين من التنقل إلى بلنسية التي كانت دائما طريقهم المفضل للخروج من إسبانيا، ولاحقا منعت الهجرة ككل وذلك لما كانت تسببه من فراغ للأرض التي كانت تشكل خطرا كبيرا على الإسبان، ذلك أن الأتراك ومن معهم من المسلمين كانوا يهاجمون البلاد منها وكادت الحقول التي تركت بلا عمل أن تحدث كارثة اقتصادية في البلاد[4]، ليبدأ فصل جديد أكثر قسوة من سابقيه فقد أكره الناس على التنصير بالقوة ومن لم يتنصر تكون عاقبته التنكيل والقتل.

---

[1] الحجي، المرجع السابق، ص569

[2] مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب ، ضبط وتعليق: ألفريد البستاني، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد 2002، ص44

[3] بشتاوي، المرجع السابق، ص119

[4] حتاملة محمد عبده ، التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملك فليب الثاني، ط 1، الجامعة الأردنية، الأردن 1982، ص 94

يصور لنا المقري المصاعب التي كابدها المسلمون مع حكام إسبانيا الجدد فيقول: أن قطر الأندلس نظر الله إليه وعاد بنوره عليه، طرق أهله خطب لم يجري في سالف الدهر، وذلك أنهم أكرهوا بالقتل إن لم يقع منهم النطق بما يقتضي في الظاهر الكفر ولم يقبل منهم الأسر ... ونقض الطاغية اللعين عهوده ونشر بمحض الغدر بنوده من غير معذرة لفقها ولا كذبة في معرض العذر نمقها إلا أعجازا من الكفر وصدورا من الغيظ والمكر وخالص الغدر[1]، ليصل بالقول وهو يوصف لنا ما صنع الطاغية بالمسلمين من العذاب المهين فيقول: "فلو رأيتم ما صنع الكفر بالإسلام بالأندلس وأهليه لكان كل مسلم يندبه ويبكيه ... ولو حضرتم من جبر بالقتل على الإسلام وتوعد بالنكال والمهالك العظام، ومن كان يعذب في الله بأنواع العذاب، ويدخل به من الشدة في باب ويخرج من باب، لأنساكم مصرعه وساءكم مفضعه، وسيوف النصارى إذ ذاك على رؤوس الشرذمة القليلة من المسلمين مسلولة، وأفواه الذاهلين محلولة، وهم يقولون ليس لأحد بالتنصير أن يمطل ولا يلبث حينا ولا يمهل، وهم يكابدون تلك الأهوال، ويطلبون لطف الله في كل حال[2].

لكن رغم المآسي تمسك المسلمون بدينهم وعقيدتهم ولغتهم، الأمر الذي جعل السلطات الإسبانية تعمل على استصدار المزيد من القرارات والمراسيم التي تقيد بموجبها من حركتهم وحرياتهم، وفي سنة 913هـ-1508م أصدرت الحكومة مرسوما يحول دون استخدام الموريسكيين لأبسط وسائل الحياة اليومية، فمُنعوا من استعمال الملابس العربية والإسلامية، وعدم استعمال الكتب العربية وأن يعالجوا طريقة الذبائح على ما

[1] المقري، أزهار الرياض، ج1، ص 69
[2] نفسه، ص ص70،71

هي عليه عند النصارى، من أجل طمس الهوية العربية الإسلامية التي تمثلت في الخصائص الثقافية والدينية للموركسيين[1].

ولعل الرسالة التي بعث بها الموركسيون إلى السلطان العثماني بايزيد الثاني(1481-1512م) والتي يصفون فيها حالهم ومعاناتهم مع محاكم التفتيش والضغوط التي تمارس بحقهم، خير دليل على القسوة التي انتهجها النصارى ضدهم والتي جاء فيها:

سلام عليكم من شيوخ تمزقت شيوبهم بالنتف من بعد عـــــزة
سلام عليكم من وجوه تكشفت على حملة الأعلاج من بعد سترة
سلام عليكم من بنات عـــواتق يسوقهن اللباط قهرا لخلـــــــوة
سلام عليكم من عجائز أُكرهت على أكل الخنزير ولحم الجيفـــة

إلى أن يقول:

فلما دخلنا تحت عقد ذمـــــامهم بدا غدرهم فينا بنقض العزيمـــة
وخان عهودا كان قد غرنا بهـــا ونصرنا كرها بعنف وسطـــــوة
وأحرق ما كانت لنا من مصاحف وخلطها بالزبل أو بالنجاســـــة
وكل كتاب كان في أمر ديننـــــا ففي النار ألقوه بهزء وحقــــــرة
ومن صام أو صلى ويعلم حالــه ففي النار يلقوه على كل حالـــة
ومن لم يجيئ منا لموضع كفرهم يعاقبه اللباط شر عقوبـــــــــة
ويلطم خديه ويؤخذ مالـــــــــه ويجعله في السجن في سوء حالة
وفي رمضان يفسدون صيامنـــا بأكل وشرب مرة بعد مـــــــرة
وقد أمرونا أن نسب نبينـــــــا ولا نذكره في رخاء وشـــــــــدة

ليصل بالقول إلى:

ومن جاءه الموت ولم يحضر الذي يذكرهم لم يدفنوه بحيلـــة

[1] جمال الدين عبد الله محمد ، المسلمون المنصرون أو الموركسيون الأندلسيون صفحة مهملة من تاريخ المسلمين في الأندلس، ط1، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة 1991، ص47

ويترك في زبل طريحا مجـــــدلا كمثل حمار ميت أو جيفة

إلى غير هذا من أمور كثيـــــرة قباح وأفعال غزار رديـــة[1].

وعندما لم تنجح كل هذه الأساليب في إرغام المسلمين على التنصر عهد الملك إلى خمينيس دي سيستيروس وهو من الرهبان المتعصبين بتنفيذ ما لم تستطع السلطات القيام به، حيث أوكلت إليه مهمة إجبار الموركسيين على التنصر بشتى الطرق، فقد قام بجمع أعيان المدينة وفقهاءها طالبا منهم أن يتنصروا حتى يكونوا بمثابة العبرة لغيرهم من المسلمين، وقد كان له ذلك بعد التعذيب والوعيد، حيث تنصر البعض وتبعهم العامة من الناس، وبعد ذلك قام بملاحقة الذين أسلموا من النصارى وأرغمهم على الكفر بالإسلام والعودة إلى الدين المسيحي، ليصل في غلوه إلى الضغط على بعض المسلمين ممن كان أجدادهم من النصارى وأسلموا مطالبا إياهم بالعودة إلى المسيحية، ما أثار بعض الأهالي من مدن البيازين وبلفيق وأندراش الذين رفضوا ذلك وثاروا على الكاردينال[2].

وعندما بدأت الثورة تدخل الملك بجموعه وأحاط بهم من كل مكان حتى أخذهم عنوة بعد قتال شديد، فقتل رجالهم وسبي نساؤهم وصبيانهم وأموالهم[3]، واتخذت الذرائع بسبب ثورة أهل المدينة للتنصل من كل العهود متذرعين في ذلك بأن الأمر قد خرج من يد الملك لأنه من قام على الحاكم فليس له إلا الموت إلا أن يتنصر فينجو من ذلك[4].

بعدها عفى الملك عن الثوار شريطة أن يعتنقوا المسيحية أو أن يغادروا البلاد تاركين وراءهم كل شيء، فهاجرت أعداد كبيرة منهم إلى فاس ووهران وبجاية[5].

---

[1] المقري، أزهار الرياض، ج1، ص ص110-112

[2] جمال الدين، المرجع السابق، ص ض35،36

[3] مجهول، نبذة العصر، ص45

[4] المقري، نفح الطيب، ج4، ص527

[5] جمال الدين، المرجع السابق، ص37

وما كان الملك ليسمح لهؤلاء بالهجرة إلا لأنهم كانوا يمثلون خطرا عليه يمكن أن يقتدي به غيرهم من الموركسيين المستضعفين فكان استئصالهم من البلاد بطردهم أحسن الحلول، ثم بدأت بعد ذلك حملة من الإجراءات التعسفية بداية بمنع الناس من حمل السكاكين الصغيرة فضلا عن غيرها من الحديد[1]، ثم إصدار مرسوم ملكي يتم بموجبه تصحيح كل الممتلكات التي كانت بحوزة الموركسيين في مملكة غرناطة مهما كان نوعها وحالتها لتصبح ملكا لجلالة الملك، هذه الإجراءات التعسفية دفعت بالموركسيين إلى إخفاء كل مدخراتهم في الكهوف والأراضي البعيدة، وعندما تفطنت السلطات لذلك شرعت في حملة إحصاء للممتلكات والضغط على الأهالي من أجل الإبلاغ عن المخابئ التي استحوذوا عليها[2]، وبعدها جمع كبار السن والأطفال وتم إرسالهم إلى مدن الداخل من أجل طمس هويتهم، لكن لم يصل منهم إلا القليل أما البقية فقد تم قتلهم أو بيعهم كعبيد أو ماتوا من شدة الجوع والتعب[3].

ورغم كل هذه الإجراءات المشددة التي فرضت على الموركسيين لم تستطيع الحكومة الإسبانية تنصيرهم، وهو ما جاء على لسان أسقف غرناطة الذي أوكلت له هذه المهمة حين رفع تقريرا للسلطات جاء فيه: إن الموركسيين لم يتراجعوا عن إسلامهم، وإذا لم تتدارك السلطات الأمر فإن الخوف سيكون على مسيحيي غرناطة وبلنسية من دخولهم الإسلام[4].

بعدها أخضع الجميع لمحاكم التفتيش التي كانت بعيدة عن غرناطة عند تأسيسها من طرف إزابيلا وفرناندو، وأخذت مباركة البابا لتبدأ في عملية التطهير رافضة كل تسامح ديني، آخذة الناس بالشبهات، فكل من تبدو عليه مظاهر التدين أو يضبط متلبسا بأداء شعيرة أو أي عادة من عادات المسلمين أو تكلم العربية أو استحم أو حجب النساء أو

1 المقري، نفح الطيب، ج4، ص 528

2 حتاملة، المرجع السابق، ص 93

3 حومد، المرجع السابق، ص323

4 عطيات أحمد محمد ، الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش، ط 1، أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، عمان 2012، ص178

لبس اللباس الإسلامي يحاكم ويؤخذ صغار أولاده ويعهد بها للكنائس ليكبروا فيها وهم لا يعلمون شيئا عن دينهم ولا عقيدتهم ولا لغتهم[1].

أما المتهمون فتمارس بحقهم شتى أصناف العذاب، بداية من إرغامهم على أكل لحوم الخنازير وشرب الخمر، ثم يرموا في الزنازين التي تعج يكل الحشرات والأفاعي ويتركوا هناك لمدة، ومن نجا منهم يحاكم من جديد، ومن مات فهي الرحمة من الله له حسب ما كانوا يعتقدون، ولم يسلم من ذلك حتى الأموات حيث تنبش قبورهم وتصدر في حقهم الأحكام وتصادر أموالهم ويحرم أهلهم من الوظيفة[2].

هذه الأعمال الشنيعة التي قامت بها محاكم التفتيش كانت من السوء أن أنكرها بعض المؤرخين مثل غوستاف لوبون الذي يقول بحقها يستحيل علينا أن نقرأ دون أن ترتعد فرائضنا من قصص التعذيب والاضطهاد التي قام بها المسيحيون المنتصرون بحق المسلمين المنهزمين، فقد عمّدوهم عنوة وسلموهم لدواوين التفتيش التي أحرقت منهم ما استطاعت من الجموع، ولا يسعنا سوى الاعتراف بأننا لم نجد بين وحوش الفاتحين من يؤخذ على افترائه مظالم قتل كتلك التي اقترفت ضد المسلمين[3].

3- ترف الأمراء والدور السلبي للعلماء

أ-1 – ترف الأمراء

منذ أن وطئت أقدام الفاتحين الأوائل من المسلمين أرض الجزيرة يسر الله لهم الفتح حتى وصلوا إلى أواسط أوربا، ثم ما لبثوا أن تداعت قواهم وساءت أحوالهم بانحرافهم عن المنهج الرباني وانغماسهم في ملذات الحياة الدنيا التي أبعدتهم عن جادة الصواب وجوهر الوجود الذي جاء به من سبقهم لهذه البلاد التي عظم شأنها مع الفاتحين الأوائل وساءت أحوالها مع من فرط فيها، "ولأن طبيعة الملك تقتضي الترف

[1] علي مظهر، محاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال وغيرها، المكتبة العلمية، مصر 1947، ص37
[2] عطيات، المرجع السابق، ص ص 172-174
[3] غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، طبع بمطبعة عيسى الباني الحلبي وشركاه، (دت)، ص272

والدعة، وهما مفسدان للخلق بما يحصل من النفس من ألوان الشر، فتتضعضع أحوال الدولة وينزل بها المرض وتقبل على الهرم"[1].

لقد نسي الكثير من المسلمين فضائلهم التي جاءوا بها مع الفتح وركنوا إلى الدعة وحب الدنيا ومالوا إلى المرح وحب الشهوات[2]، و ألقوا بأنفسهم في أحضان النعيم وناموا في ظل من الغنى والحياة العابثة والمجون وما يرضي الأهواء من ألوان الترف الفاجر، فذهبت أخلاقهم كما ماتت فيهم الحمية وغدا التهتك والإغراق في المجون والاهتمام بالنساء والخمر أكثر ما يقبلون عليه[3]، حتى أصبح معيار التنافس فيما بينهم يقاس بمدى الانحطاط الأخلاقي في تلك الحواضر التي أصبحت مرتعا لأهواء الأمراء والملوك، حتى قيل إذا كنت تريد راقصة فعليك بقرطبة وإذا أردت اللهو والغناء فعليك بإشبيلية، وهكذا دواليك فشاع شرب الخمر بين العامة والخاصة، ولم تكن مجالسهم لتخلوا منه لقول الشاعر:

جفوتني من بعد ذاك الرضا والليْل يأتي في عقيب النهار

وصار أنسي وحشة منكــم والخمر لا بد لها من خمــار

ويقول لأيضا:

هذا النهار أضـــــــحى يبكي لفقد المـــــــــــدام

فانهض لنبديه بالكـــــــأ س في اتصال ابتســـــــام[4].

و تناسى الناس أمور دينهم وصغروا في نظر عدوهم الذي رأى فيهم من الضعف ما يستوجب الطرد، وقد كان له ذلك فالأمم تأخذ بأسباب القيام فتقوم فإذا حادت عن ذلك يحدث لها الضعف ويتبعه السقوط وفي هذا يقول الشاعر:

فإن قلنا العقوبة أدركتهــم وجاءهم من الله النكيـــــر

---

[1] ابن خلدون، مقدمة، ص ص212،211

[2] علي محمد الصلابي، فقه التمكين عند دولة المرابطين، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة 2002، ص73

[3] علي محمد الصلابي، دولة الموحدين، دار البيارق للنشر، عمان، ص294

[4] ابن سعيد، المصدر السابق، ص428

فإنا مثلهم وأشد منهـــــــم نجور وكيف يسلم من يجور

أنأمن أن يحل بنا انتقـــام وفينا الفسق أجمع والفجـــور

إلى أن يقول:

يزول الستر عن قوم إذا ما على العصيان أرخيت الستور[1].

وفي أبيات أخرى يقول ابن العسال[2]:

لولا ذنوب المسلمين وأنهـــم ركبوا الكبائر ما لهن خفاء

ما كان ينصر للنصارى فارس أبدا عليهم فالذنوب الــداء[3].

وهذا شأن أهل الأندلس الذين فسدت أخلاقهم بمعاقرة الخمر ومجالس الطرب ومغازلة الغلمان وحب الدنيا، ففي مجلس المأمون بن ذى النون حاكم طليطلة (435هـ-467هـ) الذي كان يبالغ في معاقرة الخمر، حتى أنه وإكراما لزواره من الأمراء ورجال دولته الذين حضروا لشهود فرحته والتنعم بلهوه والاستماع للأغاني في مجلسه كان يحضر لهم في مجلسهم جميع آلات الأنس، فلما استوى بالقوم مجلسهم وأشربوا إلى الأخذ في شأنهم قرب إليهم أطعمة طيورية ثم ما لبثوا أن انثنوا إلى الشراب حتى طربوا وطرب المأمون معهم[4].

لم تكن أي إمارة لتخلوا من هذا اللهو والمجون إلا ما ندر، فهذا ابن مردنيش الجذامي[5] الذي بالغ في الترف والإسراف وفي تبذير المال والفحش حيث كان له يومان في كل جمعة، الاثنين والخميس يشرب مع ندمائه فيهما ويتخلل ذلك من اللهو والمجون ما

---

[1] المقري، نفح الطيب، ج4، ص484

[2] عبد الله بن فرح الغزلوني أبو محمد اليحصبي الطليطلي كان خبيرا بالنحو واللغة والتفسير وكان شاعرا مفلقا . الذهبي، تاريخ الإسلام، ج33، ص212

[3] الحميري أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، نشر وتعليق: ليفي بروفنصال، ط2، دار الجيل ، بيروت لبنان1988، ص41

[4] الشنتريني أبي الحسن علي بن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان 1979، ق4، مج1، ص ص136،135

[5]

يجعله يفرق المال على ندمائه، ولم يسعه ذلك مما فعل بأهل بلده فتحالف مع النصارى وبذل لهم من العطايا وابتنى لجنودهم منازل معلومات وحانات للخمور[1]. واتخذ لنفسه جملة من الجواري فصار يراقد منهن جملة تحت لحاف واحد وانهمك في حب القيان والزمر والرقص[2]

أما المعتضد فجميع أفعاله غريبة بديعة مثله مثل غيره من حكام البلاد وأكثر فقد ساءت أخلاقه وفسدت طبائعه وتمادى في فعل المنكرات، حيث كان ذا كلف بالنساء فاستوسع في اتخاذهنّ، وخلّط في أجناسهنّ فانتهى في ذلك إلى مدّى لم يبلغه أحد من نظرائه[3]، وقد بلغ به من الولع بالغناء مبلغا عظيما حتى وهو على فراش الموت فكانت نفسه تتوق للاستئناس بالطرب، فحين أصابته علّة الذبحة، التي لم تطل مدتها، استدعى الصقلي المغني يغنيه، وقد كان مطلع جلسة الطرب تلك هذا البيت:

نطوي الليالي علما أن ستطوينا فشعشعيها بماء المزن واسقينا[4].

ولم يكن المجون من خصال الأمراء وحدهم بل زادهم الوزراء والعمال وأصحاب المال، فكان لهم في المجون و الولع بالمغنيات حظ كبير حتى أن الواحد منهم كان يصاب بالهيجان فيقوم على تقطيع ثيابه من كثرة السكر وعذب الألحان، فهذا الوزير أبو محمد عبد الرحمان بن مالك المعافري وهو والي على غرناطة عهد المرابطين كان يجالس مجالس اللهو والطرب وعند سماعه للمغنيات كان يعمل على شق ثيابه وهو ينشد قائلا:

لا تلمني إذا طربت لشـــدو يبعث الأنس فالكريم طروب

ليس شق الجيوب حقا علينا إنما الحق أن تشق القلـــوب[5].

---

[1] ابن الخطيب لسان الدين ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط 1، مكتبة الخانجي، القاهرة 1974، ج2، ص122

[2] نفسه، ج2، ص123

[3] العكري، المصدر السابق، ج5، ص271

[4] نفسه، ج5، ص272، ابن الأبار ، الحلة السيراء، ج2، ص54

[5] ابن سعيد، المصدر السابق، ص117

ولما كانت الفترة الأخيرة من حكم المرابطين ترك الناس الجهاد في سبيل الله وانشغلوا عنه بترف الحياة، حيث يصور لنا المراكشي ذلك بقوله: فأما أحوال جزيرة الأندلس فإنه لما كان أخر دولة أمير المسلمين أبي الحسن علي بن يوسف بن تاشفين اختلت أحوالها اختلالا مفرطا أوجب ذلك تخاذل المرابطين وتواكلهم وميلهم إلى الدعة وإيثارهم الراحة وطاعتهم النساء فهانوا على على أهل الجزيرة وقلوا في أعينهم[1].

ولم يسلم من هذه المعرة والبلاء حتى أهل العلم والزهاد فلا هم نصحوا العامة والخاصة بحرمة ما يقومون به ولا هم سكتوا عن ذلك بل إن البعض منهم كان مشاركا ومباركا لذلك، فهذا أبو الحسن جعفر ابن الحاج الوزير الذي تحلى بالزهد والبعد عن الدنيا، حين أعطي كأس خمر أنشد قائلا:

ومهفهف مزج الفتور بشـــدة وأقام بين تبذل وتمنـــــــــــــع

يثنيه من فعل المدامة والصبى سكران سكر طبيعة وتطبـــــع

الى ان يقول:

والله لولا أن يقال هوى الهـــوى منه بفضل عزيمـــــــــة وتورع

لأخذت في تلك السبيل بمأخـذي فيما مضى ونزعت فيها منزعـــي[2].

ومن كثرة ما ساد البلاد من تسيب وفسق بفعل انصراف حكامها عنها انتشرت الرذيلة بين أهلها وصاروا يظهرون الرفاهية بها حتى انتشر في شوارعها السكارى دون أن يزجرهم أحد عن فعلهم، فصار شرب الخمر لا ناه عنه ولا منتقد والبلاد لا تكاد ترى بها إلا عاشقا ومعشوقا[3].

لقد تجرأ الناس في مدح الخمر جهارا لشيوع شربها بين العامة والخاصة حتى أن البعض منهم لم يكن له من الشعر إلا الخمريات على الدوام ومن ذلك:

[1] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص277

[2] المقري، نفح الطيب، ج3، ص ص259،260

[3] نفسه، ج1، ص184

امزجي يا مدام كأس المدام قد مضى وانقضى ذمام الصيام
وأبي العيد أن ندين بديــــن غير دين الصبا ودين المـــــدام
حبذا ميتة تعود حيـــــــاة بين غض البهار والنـــــــمام[1].

ولم ينته الأمر عند ذلك بل أن البعض منهم ومن كثرة ما شاع عندهم من شرب الخمر صاروا يتجرأون على بعض أشباه الفقهاء الذين تهاونوا في الجهر بشرع الله حتى قال أحدهم:

الحمد لله بلغنا المـــــــــنى لا حد في الخمر ولا في الغنا
قد حلل القاضي لنــــا ذا وذا وإن شكرناه أحل لنــــا الزنا[2].

بل إن من سوء أخلاق أهل الأندلس أن البعض منهم كانوا يذهبون إلى بعض المساجد التي شيدت لأغراض غير غرض العبادة، مصطحبين معهم خليلاتهم، وهو ما وقف عليه الونشريسي في كتابه المعيار حينما أورد هذه الحادثة[3]، وحتى الأديرة كانت عرضة لعربدة السكارى وأهل المجون الذين اتخذوا من بعضها مرتعا لمعاقرة الخمر ومجالسة الخلان حيث يوصف لنا أحد الشعراء ذلك بالقول:

وراهبة أغلقت ديرهــــــا فكنا مع الليل زوارهــــا
هدانا إليها شذا قهـــــوة تذيع لا تفك أسرارهــــا

إلى أن يقول:

وقد سكنت حركات الأسى قيان تحرك أوتارهــــــا
وراقصة لقطت رجلـــــها حساب يد نقرت طارها[4].

---

[1] الحميدي أبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق وتعليق: بشار عواد معروف و محمد بشار عواد، ط 1، دار الغرب الإسلامي،تونس 2008، ض169

[2] ابن سعيد، المصدر السابق، ج2، ص386

[3] الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تخريج: محمد الحجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤو الإسلامية للمملكة المغربية، الرباط1981، ج7، ص218

[4] الطار: بمعنى الدف

الغزل بالغلمان

رغم أن هذه الظاهرة في أساسها ضد القيم التي قام عليها الخلق فإنها قد انتشرت كثيرا في بلاد الأندلس، حيث أن الكثير من الملوك والشعراء وحتى الفقهاء أقام على فعل هذه الخطيئة، التي قالوا فيها نظما ونثرا وتطاردوا فيها مدحا وذما[1]، بل أن البعض منهم بالغ في التمادي للفعل الموجب للزجر، ولولا أن المجال لا يسع لهذا المقال لسردت من الأفعال ما يشيب له الولدان، كقول عبيد الله ابن جعفر الإشبيلي[2]، لكني سأكتفي بذكر ما دون ذلك حتى أبين كيف وصل انحطاط هؤلاء وكيف ساءت أمورهم وانحدروا إلى الدرك الأسفل في فعل الموبقات، ويكفي أن نقرأ بعض الأشعار حتى تتضح لنا الصورة كاملة، فمن قائل في أحد الغلمان وقد كان اسمه موسى:

ما لموسى قد خر لله لمـــــــا فاض نورا غشاه ضوء سناه

وأنا قد صعقت من نور موســـى لا أطيق الوقوف حـين أراه[3].

وفي خطيب جامع قرطبة أبو جعفر أحمد بن يحي الحميري الوزعي أستاذ المؤرخ عبد الواحد المراكشي الذي كان يعشق غلاما اسمه عيسى وقد قرأ عنده غلاما أخر اسمه محمد فأعجب به حتى مال هواه إليه فقال:

تبدلت من عيسى بحب بمحمد هديت ولولا الله ما كنت أهتدي

وما عن ملال كان ذاك وإنما شريعة عيسى عُطلت بشريعة محمـــــــد[4].

ولا نكاد نصدق أن الذي يقول بذلك من المسلمين الذين توجب عليهم شريعتهم الإيمان بكل الرسل و الأنبياء وعدم النيل منهم، ولا أبالغ إن قلت أن الذي جرى لو لم يكن هناك تساهل من طرف الحكام لما تجرأ هؤلاء في التطاول على رسل الله بهذا الشكل وانحدرت أخلاقهم إلى هذا المستوى من السفالة بحق من جاؤوا بالرسالات السماوية.

---

[1] الشنتريني، المصدر السابق، ق1 مج12، ص144

[2] المقري، نفح الطيب، ج4، ص ص60،61

[3] نفسه، ص61

[4] ابن سعيد، المصدر السابق، ج1، ص220

ومن طيش الحكام والوزراء أن البعض منهم تمادى في الفعل المخل بالحياء لدرجة أنه جعل لذلك مكانا عاما يعرفه كل الناس، كأبي الحسن إبراهيم بن محمد بن يحي المعروف بابن السقا الذي كان متوليا للنظر في المسجد الجامع بقرطبة، وحين اختاره الوليد بن جهور ليكون في الوزارة والرياسة تغيرت حاله واستبد بالحكم واتخذ لنفسه جند سوء وبنى دارا خاصة بالغلمان سماها الناس دار اللذة[1] والتي كانت سببا في مصرعه.

لم يكن من أمر القوم أن فعلوا ما فعلوا وهم في الستر بل إن الكثير منهم جهر بالفحش، فهذا أبو المطرف عبد الرحمان بن فتوح يقول عن نفسه ما يغني عن سوء السرية للقوم بما فعلوا في الغزل بالغلمان يقول: "ماشيت غلاما معذرا كنت قديم الامتزاج به والكلف بقربه، فلقيني بعض إخواني معه في جوف المسجد الجامع ...فقال إلى متى يدوم غرامك بهذا الغلام ، وهذه بنود عزله قد رفعت، وعقدات خلعه قد عقدت، فقلت : لا والله ما أدري بنود عزله ولا عقدات خلعه، وإنما أرى لامات مسك في صحيفة كافور وسطور دجى في مهارق نور"[2].

على أن ذلك يكون أكثر قبحا عندما يأتي من الحاكم نفسه، ففي سرقسطة عهد الملك المقتدر بن هود كان هناك غلام في غاية الحلاوة والجمال تعلق به ابن هود وكتب فيه شعرا قال فيه:

ياظبي بالله قل لـــــي متى ترى في حبالي
يمر عمري وحالــــــي في خيبي منك خالي

فرد عليه الغلام

إن كنت ظبيا فأنــت ال هـزبر تبغي اغتيالي
وليس يخطر يومـــــا حلول غيل ببـــالي

[1] الشنتريني، المصدر السابق، ق4 مج1، ص ص242،243
[2] نفسه، ق1 مج1، ص778

وبعد ذلك أعلاه ابن هود إلى درجة الوزارة والقيادة إلى أن مات في إحدى المعارك فرثاه غزلا جاء فيه:

يا صارما أغمدته عن ناظري الصــوارم
وزهرة غيبتهـــــا من الطيور كمائـــــم
ياكوكبا خر من أنـ جمي وأنفي راغـــــم
بكت علـي وشقّت جيوبهن الغمائـــــم
قل للحمائم إنـــي أصبحت أحكي الحمائم
وأنثر الدمع مهمـا رأيت للزهر باســـــم
تالله لا لذّا عيــش لمترف لك عـــــــادم[1].

وهذ الوزير أبو عامر يكاتب ابن الأبار في أحد غلمانه متغزلا فيقول:

انظر إلى الظبي الأنيق الذي يختال في أبراد إحســـان
كأنما مقلته بابــــــــــل حفت بسحر الإنس والجان
كأنما شاربه بهجــــــــة زمرد من فوق مرجـــــان
كأنما أردافه عالـــــــج وقده غصن من البــــان

فأجابه بقوله:

وأبأبي ذاك الغزال الـــــذي يجول في سر وإعـــــلان
مقرطق يبسم عن لؤلـــــؤ رصعه الحسن بمرجـــــان
أفديه من أحور أجفانـــــه نامت لكي تسهر أجفانــــي[2].

لتأتي الطامة الكبرى من العلماء الذين من مهامهم الأولى محاربة مثل هذه الآفات والانحرافات من المجتمع وليس الوقوع فيها، فهذا ابن حزم يقع في شرك الهوى وهو

[1] المقري، نفح الطيب، ج3، ص ص562،563

[2] الشنتريني، المصدر السابق، ق2 مج1، ص111

يتغزل بأحد الغلمان حينما أقبل عليه وقد كان مليح المنظر فأعجب به وهو يماشي ابن عبد البر حيث يقول:

وذو عذل فيمن سباني بحسـنة يطيل ملامي في الهوى ويقول

أفي حسن وجه لاح لم تر غيره ولم تدر كيف الجسم أنت قتيل؟

فقلت له: أسرفت في اللّوم ظالما وعندي ردّ لو أردت طويـــــل

ألم تر أنّي ظـــــــــاهريّ وأنّني على ما بدا حتّى يقوم دليــــل[1].

وقد أتبع ذلك بإقرار منه بما فعل حين يقول: "وأنا أعلم أنه سينكر علي بعض المتعصبين تأليفي لمثل هذا ويقولون إنه خالف طريقته، وتجافى عن وجهته"[2]، لكن ذلك كان في مرحلة الشباب التي تعرف الطيش والعنفوان وهي المرحلة التي كتب فيها كتابه طوق الحمامة في الألفة والآلاف.

ولأن الترف والدعة لا يأتيان إلا مع الملك والغنى فإن الملوك قد أبدعوا في الإسراف في تبذير المال فيما لا يفيد الأمة في شيء، فهذا المعتمد ابن عباد حينما طلبت منه زوجته الملقبة باعتماد[3] قائلة: أشتهي أن أفعل أنا وجواري مثل هؤلاء النساء، و كانت قد رأتهم ذات يوم وهن يبعن اللبن في القرب وهن رافعات عن سوقهن في الطين، فأمر المعتمد بالعنبر والمسك والكافور وماء الورد وصير الجميع طينا في القصر، وجعل لها قربا وحبالا من أبرسيم، وخرجت هي وجواريها تخوض في ذلك الطين، فيقال: أنه لما خلع وكانت تتكلّم معه مرّة فجرى بينهما ما يجري بين الزوجين، فقالت له: والله ما رأيت

---

[1] العكري، المصدر السابق، ص241، ابن سعيد ، المصدر السابق، ج1، ص356، الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ص415

[2] ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، رسائل ابن حزم الأندلسي (طوق الحمامة في الألفة والآلاف)، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت1987، ج1، ص308

[3] الرميكية: سرية المعتمد اشتراها من رميك ابن الحجاج فنسبت إليه، وقد اشتراها أيام أبي المعتضد أفرط في الميل إليها.العكري المصدر السابق، مج5، ص335

منك خيراً، فقال لها: ولا يوم الطين تذكيراً لها بهذا اليوم الذي أباد فيه من الأموال مالا يعلمه إلاّ الله تعالى"[1].

وهكذا ضاعت الأندلس بفعل هؤلاء الذين لم يحفظوا للأمة دينها ولا للشعوب وجودها بسبب تفريطهم في البلاد وانغماسهم في الملذات وخروجهم عن جادة الصواب إلى منحدر الرداءة، وهم الذين قال فيهم فرناندو منذ سقوط أول حاضرة إسلامية (طليطلة) حين ما خرج إليه أهلها وقد تركهم أمراءهم يطلبون الصلح والتفاوض معه حيث قال لهم: ما أجيبكم إلى سلم ولا أعفيكم من حرب، ونحن قد صمدنا إليكم ما نبالي من أتانا منكم فإنما نطلب بلادنا التي غلبتمونا عليها قديما في أول أمركم، فقد سكنتموها ما قضى لكم، وقد نُصرنا الآن عليكم برداءتكم، فارحلوا إلى عُدوتكم واتركوا لنا بلادنا، فلا خير في سكناكم معنا بعد اليوم[2].

ب- الدور السلبي العلماء

ومن العوامل التي ساهمت بشكل أو بآخر في ما آلت إليه الأندلس من انحطاط و مآسي هو الدور السلبي الذي لعبه العلماء والفقهاء تجاه الأحداث التي عاشتها الأمة، ذلك أن السواد الأعظم من بلاطهم سار على درب الحكام وتغافل عن جورهم وانغماسهم في ملذات الحياة الدنيا وتواطئهم مع النصارى ضد إخوانهم من المسلمين مقابل منافع دنيوية أو مصالح آنية، جعلتهم يزينون للحكام سوء أفعالهم بفتاويهم التي كانت في غالبيتها تخدم الملوك والسلاطين ولا تخدم الرعية، ورغم أن البعض منهم كان لهم من المواقف ما يشجع الأمة على الجهاد، بإسقاط فريضة الحج مفضلا الجهاد في سبيل الله عليها[3]، إلا أن البعض الآخر منهم ذهب في اتجاه مغاير لما يكون عليه العلماء والفقهاء الذين اعتبروا سبب الفتنة التي سميت في وقتها بفتنة المريدين والفقهاء.

---

[1] المقري، نفح الطيب، ج1، ص440

[2] ابن عذارى ، المصدر السابق، ج3، ص282

[3] الونشريسي، المصدر السابق، ج1، ص432

حيث كان المريدون من أنصار أبي القاسم بن قيسي الذي تمرد على المرابطين غرب الأندلس سنة 539هـ-1144م فكانت ثورته هذه باكورة الفتنة[1]، في حين كان الفقهاء من أنصار قاضي الجماعة في قرطبة أبي جعفر بن حمدين صاحب فتوى إحراق كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي الذي ثار على المرابطين في العام نفسه وتسمى بأمير المسلمين، لكنه سرعان ما تحالف مع ملك قشتالة بعد سنة من ذلك مجيزا للنصارى الدخول إلى قرطبة، والأمر نفسه في غرناطة حيث القاضي أبو الحسن علي بن أضحى، وفي مالقة كان القاضي ابن حسون، وفي بلنسية القاضي مروان بن عبد العزيز، وفي مرسية كان القاضي أبو جعفر الخشني[2].

وحين نذكر الدور السلبي للعلماء لا يمكن بأي حال من الأحوال إلا أن نذكر ما قيل فيهم من كبار العلماء العاملين حين رأوا تخاذلهم وسكوتهم عن قول الحق بل وتزيينهم للأفعال المشينة للحكام، فهذا ابن حيان يشدد في نقذه للفقهاء الصامتون عن قول الحق والجالسون على موائد الملوك خائفين من بطشهم بقوله:"ولم تزل آفة الناس منذ خلقوا في صنفين منهم، هم كالملح فيهم: الأمراء والفقهاء، قلما تتنافر أشكالهم، بصلاحهم يصلحون، وبفسادهم يردون، فقد خص الله تعالى هذا القرن الذي نحن فيه من اعوجاج صنفيهم لدينا هذين، بما لا كفاية له ولا مخلص منه، فالأمراء القاسطون قد نكبوا بهم عن نهج الطريق، ذيادا عن الجماعة، وحوشا إلى الفرقة، والفقهاء أئمتهم صموت عنهم، صدوف عما أكد الله عليهم في التبيين لهم، قد أصبحوا بين آكل من حلوائهم، خائض في أهوائهم، وبين مستشعر مخافتهم، آخذا بالتقية في صدقهم"[3]، والأمر نفسه ذهب إليه ابن حزم وهو إمام المذهب الظاهري حيث يقول فيهم: "لا يغرنك الفساق

[1] ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص345

[2] عنان، دولة الإسلام، ع3، ص416

[3] الشنتريني، المصدر السابق، ق3، مج1، ص180-181

المنتسبون إلى الفقه، اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع المزينون لأهل الشر شرهم ، الناصرون لهم على فسقهم"[1].

وحتى في أشد الظروف قسوة بحق المسلمين لم يكن للبعض منهم أي دور في تذكير الحكام والرعية بأحوال المسلمين ولا معاناتهم، فحين بدأ ملوك النصارى في استرجاع المدن الإسلامية وإخراج أهلها منها، لم يكن للمسلمين من أهل الكلمة رأي، وبقوا صامتين عن ذكراهم، لهاة عن بثهم، وما يسمع بمسجد من مساجدهم أو محفل من محافلهم، مذكرا لهم أو داع، فضلا عن نافر إليهم أو ماش لهم، حتى كأنهم ليسوا من المسلمين، أو كأن فتقهم ليس بمفض إليهم لاحقا، وقد بخلوا عليهم حتى بالدعاء[2].

يصور لنا ابن خفاجة[3] ما آل إليه الفقهاء والعلماء في هذين البيتين فيقول:

درسوا العلوم ليملكوا بجدالهــم فيها صدور مراتب ومجالس

وتزهدوا حتى أصابوا فرصـــــة في أخذ مال مساجد وكنائس[4].

وحتى الذين تكلموا في هذا الأمر لم يدعوا الناس إلى جهاد أو دفاع عن إخوانه، بل إن بعضهم دعا إلى الهجرة وترك البلاد بسبب قوة العدو وضعف المسلمين ومن ذلك ما بدأ به ابن العسال الذي أثار في النفوس اليأس حين سقطت طليطلة قائلا:

يأهل أندلس حثوا مطيكم فما المقام بها إلا من اللغط

وعندما قام أبو الحسن على بإعلان الحرب على قشتالة، وزحف على بلدة الصخرة وهى قاعدة حصينة تقع على حدود الأندلس الغربية فى شمال غربى مدينة رندة، وكان قد انتزعها القشتاليون منذ عهد قريب فاستولى عليها عنوة، وقتل حاميتها، وسبى سكانها، وبالرغم مما بثه هذا الظفر فى نفوس العامة من الناس، فقد اعتبر أحد الفقهاء

[1] ابن حزم، المصدر السابق، ج3، ص173

[2] عنان، دولة الإسلام ع2، ص278

[3] أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح أبن عبد الله بن خفاجة الشاعر الأندلسي. ابن خلكان، المصدر السابق، مج1، ص56

[4] ابن خفاجة أبي إسحاق إبراهيم، ديوان ابن خفاجة، تحقيق: مصطفى غازي، دار المعارف، الإسكندرية مصر 1960، ص366

ذلك اعتداءا، وقد صاح في وجه السلطان قائلا: "ويل لنا لقد دنت ساعتك يا غرناطة، ولسوف تسقط أنقاض الصخرة فوق رؤوسنا وقد حلت نهاية دولة الإسلام بالأندلس[1].

و في كل ربوع الأندلس الجريح كان هناك لهذا الفصيل مثيل، ففي الوقت الذي اشتد فيه الحصار على المسلمين في غرناطة جمع أبو عبد الله الصغير العلماء وأصحاب الرأي للمشورة فيما يقدمون عليه وهو الذي كان يريد أن يقع أمر التسليم على عاتقهم وقد ورطهم في ذلك بعد ما عجز عن الجهاد والدفاع عن المدينة، فكان رأي الشيوخ والفقهاء أنه لم يبق سبيل سوى التسليم أو الموت[2].

و للذين يقولون بصواب ما أقدم عليه العلماء والفقهاء وأهل المشورة بغرناطة نُذكر بالموقف الذي وقفه العز بن عبد السلام بحق الملك الصَّالح إِسْمَاعِيل حينما تحالف مَعَ الفرنج على أن ينجدوه على الملك نجم الدين أيوب ويسلم إليهم صيدا والشقيف وغير ذلك من حصون المسلمين، وقد دخل الفرنج إلى دمشق لشراء السلاح ليقاتلوا به عباد الله المؤمنين فشق ذلك على الشيخ مشقة عظيمة في مبايعة الفرنج للسلاح، وحين استفتي في مبايعة الفرنجة للسلاح قال: يحرم عليكم مُبايعتهم لأنكم تتحققون أَنهم يشترونه ليقاتلوا به إخوانكم المسلمين وجدد دعاءه على المِنبر، وكان يدعو به إذا فرغ من الخطبتينِ قبل نزوله من المِنبر وهو يقول: اللَّهم أبرم لهذه الأمة أمرا رشدا تعز فيه وليك وتذل فيه عدوك ويعمل فيه بطاعتك وينهى فيه عن معصيتك والناس يبتهلون بالتأمين والدعاء للمسلمين والنصر على أعداء الله الملحدين[3].

وحين بدأ التتار بالزحف على مصر جمع الملك قطز القضاة والفقهاء والأعيان لمشاورتهم في أمر الحرب فاتفق بعضهم على قتال العدو خار ج البلاد وأن يؤخذ من

[1] عنان، دولة الإسلام ع4، ص195

[2] نفسه، ص243

[3] السبكي تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو و محمود محمد الطناحي، ط2، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الجيزة 1992، ج8، ص243

الناس ما يستعان به على جهادهم، لكن العالم عز الدين ابن عبد السلام والقاضي بدر الدين السنجاري قاضي الديار المصرية كان لهما رأي مغاير لما اتفق عليه الغالبية حيث رأيا بأن ينفق الأمراء من بيت مال المسلمين فإن لم يبقى به مال أخذ من مال العامة وهذا نص الفتوى: "إنّه إذا طرق العدوّ بلاد الإسلام وجب على العالم قتالهم، وجاز لكم أن تأخذوا من الرعيّة ما تستعينون به على جهادكم بشرط أن لا يبقى في بيت المال شيئ، وتبيع مالكم من الحوائص المذهبة والآلات النفيسة"[1].

لذلك كان الأولى بالعلماء وأهل الرأي أن لا يجاروا الملك الصغير في ما أقدم عليه من تسليم للمدينة وخضوعها لحكم الكافر والتحجج بعدم القدرة على القتال بسبب قوة العدو وضعف المسلمين، لأن الإيمان هو الفارق بين الكفر والإسلام وليس القوة والضعف أو القلة والكثرة مصداقا لقوله تعالى:" قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله[2]".

ومع سقوط أخر معاقل المسلمين بالأندلس ساهم خروج الأمراء ومعهم العلماء والفقهاء في إعطاء الانطباع بأن الأمور قد خرجت عن السيطرة ولا جدوى من مقاومة النصارى، وبات لزاما على المسلمين مغادرة البلاد مثل ما فعل أبو عبد الله محمد الزغل الذي نزل بوهران[3]، وقد تبعه العامة بعد أن أجاز لهم أهل العلم الخروج من دار الكفر إلى دار الإسلام، حيث أسهمت فتوى الإمام الونشريسي والتي كانت مرجعا لأهل الأندلس في الهجرة وترك الديار.

هذه الفتوى تدعوا بوجوب الهجرة وتنكر على الأندلسيين البقاء، إذ يقول صاحبها في كتاب أسنى المتاجر في بيان أحكام من تغلب على وطنه النصارى ولم يهاجر، وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر، أن آية الهجرة تعطي أن كل مسلم ينبغي أن يخرج

---

[1] الأتابكي جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تقديم: محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 1992، ج7، صص 67،68
[2] سورة البقرة، ص249
[3] المقري، نفح الطيب، ج4، ص524

من البلاد التي تغيرت فيها السنن ويعمل فيها بغير الحق فضلا عن الخروج والفرار من بلاد الكفر وبقاء الفجرة ماعاذ الله أن تركن لأهل التثليث أمة فاضلة توحده وترصى بالمقام بين أظهر الأنجاس الأرجاس وهي تعظمه[1]، وهذا معناه أن من بقي في الأندلس فهو في وزر وآثام بعكس من هاجر منها ما جعل الغالبية العظمى تشد رحالها إلى أرض المغرب معتبرين ذلك واجبا عليهم يحرم بموجبه المقام بين ظهراني النصارى، ورغم أن فتوى الهجرة واجبة عندما يصبح الإنسان مضطهدا في دينه وعاجزا عن دفع الأذى عن نفسه وعقله ونسله وماله وعرضه، فإن ذلك يمكن الرد عليه بالقول أن الذين بقوا بالجزيرة بعد سقوط غرناطة دخلوا في ثورات عديدة كان منها ثورة البيازين وثورة البشارات وغيرها من الثورات التي كبدت الاسبان الكثير ما جعلهم يرضخون في الكثير من المرات لشروط المفاوضات معهم، وهم الذين كانوا أقلية أثبتت بما لا يدع مجالا للشك أن المقاومة لها من النتائج ما يجعل العدو يتراجع عن كثير من أفعاله وبذلك نقول بأن القول بضعف المسلمين وعدم قدرتهم على صد العدوان عن المدينة فيه من المبالغة ما لا يمكن معه التصديق به.

وعلى العموم فإن العديد من علماء الأندلس وحتى علماء المغرب لم تكن مواقفهم ولا أفعالهم منسجمة مع ما كانت تتعرض له الأمة من حصار وغزو من النصارى الذين توحدت كلمتهم تحت راية أساقفتهم، في حين صرف علماء المسلمين نظرهم عن المآسي والآلام التي يكابدها المسلمون إلى أمور هامشية حيث أثيرت مسائل كثيرة فيها من السطحية والجدال ما لا يفيد المسلمين، ومن ذلك مسألة الكتابة على الكاغد الرومي التي طال حولها الجدال وألف فيها تقرير الدليل الواضح المعلوم على جواز النسخ في كاغد الروم[2]، وكذلك رسالة سميت بالمومي إلى القول بطهارة الورق الرومي.

---

[1] الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي بن محمد التلمساني، أسنى المتاجر في بيان أحكام من تغلب على وطنه النصارى ولم يهاجر، تحقيق: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة1996، ص65

[2] الونشريسي، المعيار، ج1، ص75

كما أثيرت قضية سلوك الصوفي وهل يصح تعبده عبر كتب الهداية أم لابد له من شيخ يبين له الطريق، وقد أخذت هذه المسألة الكثير من الوقت الكثير ببلاد الأندلس ثم انتقلت إلى المغرب، حيث قال فيها ابن خلدون: طال فيه الجدال وجلب للاحتجاج العلماء والأبدال وذهبت النصفة بينهما والاعتدال[1].

لا يمكن التعميم فبالقدر الذي كان هناك من العلماء من تخلى عن مهمته في شحذ همم العامة وقول كلمة الحق للحكام، كان هناك الكثير منهم ممن عمل وكد من أجل أن يصلح حال المسلمين ويرفع من عزيمتهم، بل إن الكثير منهم أرخص نفسه في سبيل الله مجاهدا في الميدان ومستشهدا، إلا أن كلمة علماء البلاط ومن سار في دربهم كانت لهم الكلمة العليا وبذلك ضاعت الأندلس لاجتماع أسباب السقوط.

[1] عبد الرحمان ابن خلدون، شفاء السائل وتهذيب المسائل، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، ط1، دار الفكر، دمشق 1996، ص35-36

المبحث الثاني

مواقف الدول الإسلامية

دأب المسلمون في الأندلس على طلب النجدة من أهل المغرب كلما اشتد الخطب عليهم منذ العهد المرابطي والموحدي وانتهى المطاف بعد الضعف والانهيار إلى سلوك نفس النهج مع الدول التي نشأت من بعدهم، ومن خلال تتبع الأحداث خاصة بعد توالى سقوط الحواضر الإسلامية تتالت النجدات بحق المرينيين والحفصيين والزيانيين، فمع كل أزمة كانت أنظار أهل الأندلس تتجه إلى إخوانهم طالبين منهم العون والمدد.

يصور الشاعر ذلك بالقول:

يامعشر العرب الذين توارثوا   شيم الحمية كابر عن كابــر
إن الإله قد اشترى أرواحكم   بيعوا ويهنئكم وفاء المشتري
أنتم أحق بنصر دين نبيكم   وبكم تمهد في قديم الأعصر[1].

ساعد القرب الجغرافي للأندلس بالعدوة المغربية ودولة بني مرين خصوصا من الاعتماد عليها وذلك لما كان يتمتع به سلاطينها من بأس وحمية في تقديم العون والمدد لإخوانهم كلما دعت الحاجة إلى ذلك، لكن الأمور لم تكن دائما على ما تشتهيه الأنفس، فالصراعات والنوايا السيئة حالت في الكثير من الأحيان دون ذلك، فانتقل طلب العون إلى دول الجوار فكانت الدولة الزيانية التي كانت تربطها علاقات جيدة مع حكام الأندلس لا تبخل عنهم في تقديم يد العون كلما طلب منها ذلك إلا أن المساعدات الزيانية على قدر ما كانت عليه من الأهمية إلا أنها كانت دون تلك التي قدمها المرينيون، ليتجه بعدها طلب النجدة من الحفصيين الذين قدموا الكثير لإخوانهم لكن الظروف كانت في غير صالح المستغيث.

---

[1] كريم على، غابر الأندلس وحاضرها، ط1، المكتبة الأهلية، مصر 1923، ص147

وبعد الضعف الذي أصاب هاته الدول اتجه الأندلسيون في آخر أيام دولتهم إلى طلب العون من المماليك بمصر ومن بني عثمان، وقد تباينت مواقف كل دولة في تقديم المساعدة والنجدة لإخوانهم بحسب الظروف السائدة وعوامل القوة والقرب، وسنفصل في دور كل قطر على حدى والإسهامات التي قدمها والصعوبات التي واجهته.

1- موقف المرينيين

ورث المرينيون نفس الدور الذي لعبه المرابطون والموحدون من قبل، حيث عبرت الجيوش المرينية غير ما مرة إلى بلاد الأندلس لنجدة إخوانهم ضد الهجمات التي كان يشنها النصارى ضدهم، فلم يكلوا يوما عن إغاثة إخوانهم في الأندلس بكتائب الجهاد، و عموم المتطوعين[1]. ففي سنة 673هـ-1275م أرسل السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق جيشا قوامه خمسة آلاف وفي رواية أخرى ثلاثة آلاف، إلى جزيرة طريف بعد طلب ابن الأحمر ذلك قبل وفاته بقليل وقد أبلي بلاءا حسنا، استطاع فيه إلحاق الهزيمة بالنصارى في الموقعة المعروفة بإستجة سنة674هـ-1275م[2]، وبعد عودتهم إلى المغرب ترك السلطان المريني في الجزيرة الخضراء[3] ثلاثة آلاف فارس لمعاونة إخوانهم الأندلسيين في درء الاعتداءات القشتالية[4]، وفي سنة 677هـ-1278م عاود السلطان المريني العبور إلى الأندلس لنجدة إخوانه هناك بعد أن ضاقت عليهم الحال، لكن مكر ابن الأحمر عجل بعودته إلى بلده ليرسل بعدها في السنة الموالية ابنه في جيش ضخم إلى الجزيرة مؤدبا للقشتاليين وواضعا حدا لمخاوف ابن الأحمر الذي كان دائم الشك في نوايا المرينيين تجاهه، وكان من ثمار هذا التفاهم بين المرينيين وابن الأحمر تكوين مجموعة من المجاهدين تكون مهمتها الاستعداد لمواجهة القشتالين في

---

1 الحجي، المرجع السابق، ص535

2 إستجة: اسم لكورة بالأندلس متصلة بأعمال ريّة بين القبلة والمغرب من قرطبة، الحموي، المصدر السابق، مج1، ص174

3 الجزيرة الخضراء: مدينة مشهورة بالأندلس، وقبالتها من البرّ بلاد البربر سبتّة، وهي شرقي شذونة وقبلي قرطبة، نفسه، مج2، ص136

4 ابن أبي زرع علي الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1972، ص98، الحجي، المرجع السابق، ص538

أي ظرف، وقد سمي هذا الجيش بجيش الغزاة، وفيه يقول المقري: لم يزل ملوك بني مرين يعينون أهل الأندلس بالمال والرجال، وتركوا منهم حصة معتبرة من أقارب السلطان بالأندلس غزاة، فكانت لهم وقائع في العدو مذكورة، ومواقف مشهورة، وكان عند ابن الأحمر منهم جماعة بغرناطة، وعليهم رئيس من بيت ملك بني مرين يسمونه شيخ الغزاة،[1]،

وفي سنة 709هـ-1310م احتل القشتاليون في عهد فرناندو الرابع جبل طارق بفضل التحالف الذي تم بين القشتاليين واللوكسمبورغ وأرغون وانجلترا، فانتقل على إثرها السلطان النصري إلى بر العدوة طالبا العون والمدد من السلطان المريني أبو الحسن بن على الذي قال عنه ابن مرزوق: وأما إقامته حال المجاهدين فلم يزل ذلك دأبه رضي الله عنه، فلا يزال طول دهره معمور الفكر مشغول الظاهر بالجهاد، فلا تمر سنة إلا وله فيها تجهيز أسطول وتجهيز غزاة رجالا وركبانا في كل وجه وجهوا في أيام الحرب عملا وفي أيام السلم استعدادا، فأكثر أمواله التي جمعها وصارت له رضي الله عنه في سبيل الجهاد أنفقها، ...وما من سنة تمضي بل وفصل ينقضي إلا وهداياه يتصل وصولها إلى الأندلس[2].

لبى هذا الأخير النداء وجهز جيشا أسند قيادته لابنه أبي مالك، الذي استعاد جبل طارق من حكم القشتاليين إلى الحكم الإسلامي بعد مرور أكثر من عشرين عاما على سقوطه بيد النصارى وذلك سنة733هـ-1233م[3]، وهي الحادثة التي يصورها لنا ابن الخطيب بالقول: وكان مجتهدا في الجهاد بنفسه وحرمه وجاز للأندلس يرسم ذلك بنفسه، وأظهر آثاره الجميلة ومنها ارتجاعه جبل الفتح ليد المسلمين بعد أن انفق عليه

[1] المقري، نفح الطيب، ج4، ص385

[2] محمد ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم: محمد بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981، ص ص 388، 389

[3] لسان الدين ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تصحح ووضع فهارسه ونشره: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة (دت)، ص81

الأموال وصرف إليه الجنود والحشود وبدأ بتحصين المواضع التي يحذر منها، فبدأو ببناء الحصن وأحكموا صوره ودوره وبناء جامعه ومخازنه[1].

انتهت المساعدة المرينية لأهل الأندلس مع الهزيمة التي مني بها المسلمون في وقعة طريف[2] سنة 741هـ-1340م والتي راح ضحيتها العديد من الجند والكثير من العلماء أيضا[3]، والتي كان من نتائجها بسط النصارى سيطرتهم على همزة الوصل التي كانت تربط المغرب بالأندلس والمتمثلة في جزيرة طريف والجزيرة الخضراء.

أما من جانب المساعدة العينية فقد كانت بالقدر الذي لا يحصى حيث يذكر لنا ابن مرزوق ذلك فيقول: وأما ما أجازه إلى الأندلس من الزرع فلا يحصى قدره ولا يضبط حصره ...وفي كل حصن من هذه الحصون ، ومعقل من هذه المعاقل عدة مخازن وينضم إلى الزرع ما يحتاج إليه من الآدم ويفتقر إليه من الحبوب وسائر الأقوات[4].

لكن الأمور لم تكن في مجملها جيدة بين الأندلسيين والمرينيين فقد تخللها بعض الفتور ساءت فيه العلاقات بين الدولتين، وكان من نتائجها عدم استجابة السلطان المريني أبي سعيد لنجدة أبي الوليد ضد القشتاليين، ليصل الجفاء بين الطرفين إلى ترك الغرناطيين يواجهون مصيرهم بأيديهم عندما حاصرتهم جيوش النصارى، ففي نهاية تلك المأساة اجتمع أهل غرناطة بأميرهم أبي عبد الله الصغير لتدارس ما يمكن اتخاذه في تلك الظروف العصيبة إزاء ما وصلت إليه المدينة من حصار وعدم نصر من أهل المغرب الذين بعثوا إليهم بصراخهم ولم يلبي طلبهم أحد، ولا عرّج على نصرتهم

[1] ابن مرزوق، المصدر السابق، ص391

[2] موقعة طريف هي التي انهزم فيها المسلمون وضعفت شوكتهم أمام النصارى ولم يشهد المسلمون مثلها منذ وقعة العقاب. الصلابي، دولة الموحدين، ص379

[3] الحجي، المرجع السابق، ص544

[4] ابن مرزوق، المصدر السابق، ص393-394

وإغاثتهم أحد من الإخوان، والعدو قد شدد حصاره عليهم وهو يزداد قوة وهم يزدادون ضعفا والمدد يأتي لعدوهم من حلفائه وأهل غرناطة لا مدد لهم[1].

هنا يجب أن نعرج على بعض النقاط التي كان لها الأثر الكبير في فتور العلاقات المرينية مع الأندلسيين بداية من التخوف الذي راود بنو الأحمر من العبور المتكرر للمرينيين وخشيتهم من أن يحصل لهم ما حصل للمعتمد بن عباد مع يوسف بن تاشفين الذي قضى على ملوك الطوائف وأدخل الأندلس في طاعته[2]، ما دفع بابن الأحمر التحالف مع الطاغية على منع السطان المريني من العبور للجزيرة، ثم تحالفه مع الزيانيين الذين كانوا في عداء دائم مع المرينيين خاصة في فترة حكم السلطان يغمراسن بن زيان، الذي أسهم في عديد المرات في ضرب المرينيين وصرفهم عن العبور إلى الأندلس، بعدما أرسل إليه ابن الأحمر الهدايا وطالبه بأن يشغل السلطان المريني ويشن عليه الحرب في الوقت الذي كان فيه الأخير متوجها للأندلس لجهاد عدوها[3]، فانكف عن ذلك وعاد إلى بني زيان حيث دخل في حرب معهم خسر فيها ابن زيان المعركة[4].

كما أدى عبور المرينيين إلى الأندلس ومساعدتهم لبني أشقيلونة في ضبط أمور مدينتهم التي بدأت في الخروج عن طاعتهم، إلى سوء العلاقة بين المرينيين وبنو الأحمر الذين اعتبروه بمثابة التدخل في شؤونهم الداخلية، خاصة بعد الاتفاق الذي جرى بين المرينيين وبني أشقيلونة والذي بموجبه يتنازلوا للمرينيين على واد آشي مقابل قصر كتامة بالمغرب، وهكذا فقد أصبح للمرينيين موضع قدم متقدم ببلاد الأندلس على حساب بني الأحمر الذين لم يرضيهم ذلك الاتفاق ودخلوا في خلاف معهم كان من نتائجه تحالفهم مع القشتاليين من اجل استرجاع مدينة آشي ومالقة منهم، فسعوا إلى

---

[1] مجهول، نبذة العصر، ص40

[2] ابن خلدون ، العبر، ج7، ص262

[3] ابن أبي زرع، الأنيس، 235

[4] ابن خلدون، العبر، ج7، ص270

إحياء العداء القديم بين المرينيين والزيانيين واستطاعوا بذلك الاستيلاء على المدن التي كانت تحت سيطرة المرينيين، وزادوا على ذلك بعبورهم إلى العدوة أثناء الحصار الذي ضربه المرينيون على تلمسان فسيطروا على مدينة سبتة المغربية[1].

وبرغم كل هذه العقبات التي مر بها المرينيون لم يبخلوا في نجدة إخوانهم من أهل الأندلس في جميع مراحل الدولة حتى أصابها الوهن وكثرت فيها الفتن وضعفت وأصبحت مطمعا للبرتغاليين والإسبان الذين استباحوا سواحلها[2].

ما من شك في أن سياسة بني مرين تجاه مملكة غرناطة كان لها الأثر الكبير في الحفاظ على كيان الدولة النصرية التي كانت مهددة من طرف الاسبان .

2- موقف الزيانيين

منذ أفول أمر بني عبد المؤمن وقيام بني الأحمر بأمر الأندلس، ضعفت الأحوال وأصبح للجهاد سبيل من قبائل زناتة وخصوصا من بني مرين بالمغرب الأقصى ، وذلك لاتصال العدوتين بزقاق البحر القريب، ولما استأثر الطاغية ببلاد المسلمين استذكر الناس ما جرى بقرطبة وإشبيلية فتنافسوا في الجهاد وأمدوا إخوانهم من أهل الأندلس بما يحتاجونه وأجازوا إلى العدوة فحسنت أثارهم في الجهاد، وقد نافسهم في ذلك أبناء الملوك بالمغرب الأوسط مثل عبد الملك بن يغمراسن بن زيان وعامر بن منديل بن عبد الرحمان وزيان بن محمد ابن عبد القوي[3]، الذين تعاقدوا على الإجازة إلى الأندلس يجمعهم في ذلك رابطة الجهاد في سبيل الله والذود عن إخوانهم المستضعفين[4]، فأجاز فيمن خف معهم من قومهم سنة ستة وسبعين وستمائة فامتلأت

[1] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص53

[2] رزوق، المرجع السابق، ص ص148-152

[3] ابن خلدون، العبر، ج7، ص485

[4] عبده بن محمد عواجي عبد القهار، علاقات مملكة غرناطة مع الدول الإسلامية، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1419هـ-1998م، ص117

الأندلس بأقيال زناتة وأعياص الملك منهم ...فكان لهم آثار في الجهاد ومقامات محمودة[1]. كانت هذه أولى المساهمات التي قدمها الزيانيون لإخوانهم، أما من الجانب الرسمي للدولة فتعتبر استغاثة السلطان النصري محمد الخامس بالزيانيين عبر الوفد الذي قاده الكاتب الفقيه إبراهيم ابن الحاج النميري طالبا العون والمدد من السلطان أبو حمو موسى الثاني الذي كانت استجابته كبيرة، حيث أرسل الإعانات المادية والغذائية ممثلة في خمسين قدح من الزرع وثلاثة آلاف دينار من الذهب[2]، فكانت هذه فاتحة الخير على أهل العدوة لتتواصل بعدها الإمدادات والمساعدات كلما استدعت الحاجة لذلك.

وفي سنة767هـ-1366م وبعد ما تكالب العدو على أرض الإسلام أرسل السلطان النصري أبو عبد الله محمد الغني بالله استغاثته الثانية للزيانيين، وهي الاستغاثة التي أرسلها مع الفقيه الجليل أبي البركات محمد بن ابراهيم البلفيقي والتي جاء فيها:

هل من مجيب دعوة المستنجد أم من مجبر للغريب المفـــــرد
هل من ولي ناصر دين الهدى أو ذي حمى يحمي حنيفة أحمد
هل من معين أو كريم يرتجـــى أو مسعد أو مرشد أو منجـــــد
هل من جواد في الزمان مؤمـل أو آخذ عند الشدائد باليـــــــد
هل من واصل لذمامهم أو سامع لصريخهم في نصر دين محمد[3].

تلاها كتاب من إنشاء الوزير الفقيه الجليل أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب السلماني جاء فيه: كتبنا إليكم ...من حمراء غرناطة خطب الأعداء ...فإننا ومن بهذا القطر من المسلمين لم نبل شدة أثقل وطأة ولا حدثا أمرّ وقعا ولا خطبا أشنع ولا متوقعا أعظم مما تحرك في هذه الأيام، وهو أن كبير دين النصرانية الذي لا يردون حكمه ولا

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص486

[2] أبي زكريا يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق وتعليق: بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر2007، ج2، ص245

[3] نفسه، ص336

يعصون أمره ...حرك منهم أمة تسد الفضاء وتكاثر الحصى لتعين القند (الكونت) ... ولا مفزع بعد الله لهذه الأمة في الشدائد إلا المسلمين إخوانهم في الدين[1]،

فكانت لهذه الاستغاثة الأثر الكبير في نفس السلطان الذي لم يعجزه سوى زجر البحر عن العبور إلى إخوانه حيث يصف لنا صاحب بغية الرواد ذلك بالقول : وحجزه البحر الزاجر عن الوصول إليهم بنفسه، فأمدهم في سبيل الله بالأحمال العديدة من الذهب والفضة والخيل المسومة والمراكب المشحونة زرعا[2]، ومع وصول تلك المعونات والإمدادات أشيع خبر العطاء وصاح الخطيب بالنفير بين الناس وبدأت الحرب أوزارها، واستطاع السلطان النصري محمد الخامس دحر الأعداء واسترجاع الحصون وفتح المدن[3]، وقد صنع في ذلك ابن الخطيب شعرا يقول فيه:

لقد زار الجزيرة منك بحــــــر يمد فليس تعرف منه جـزرا
أعدت لها بعهدك عهد موسى سميك فهي تتلوا منه ذكــرا
أقمت جدارها وأفدت كنـــــــزا ولو شئت اتخذت عليه أجرا[4].

ثم يأتي كتاب الشكر الذي أرسله السلطان النصري لأبي حمو موسى عرفانا لكل ما قدمه من معونات أسهمت في دفع الأندلسيين إلى الحرب بعد تأمين الحاجيات حيث يقول عبر كاتبه ابن الخطيب: ...فإننا اتصلت بنا صرختكم في الله، التي أحسبت المطامع وراقت الأبصار وآنست المسامع وأقامت الأدلة على ربوع المكارم عامرة...وحجة من قال وقع القحط في الرجال داحضة ...ودعوى من زعم ركود الهمم

[1] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص ص343-347

[2] نفسه، ص348

[3] نفسه، ص353

[4] المقري، نفح الطيب، ج6، ص507،508، الميلي مبارك بن محمد ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج2، ص448

كاذبة ولدليل الحس والمشاهدة مجانبة، بل كنوز الله في الأرض وافرة ...ووفقنا الله من مباشرة قتاله الشديد[1].

وهنا يجب الإشارة إلى أن الزيانيين ورغم كل الإسهامات التي قدموها للنصريين والتي كان لها الأثر الكبيرفي تقديم يد العون إلا أن ذلك لم يكن بالحجم الذي أسهم به المرينيون، الذين جازوا إلى العدوة عدة مرات وخاضوا من المعارك الكثير عكس جيرانهم من الزيانيين الذين اقتصرت كل مساعداتهم على المال والغذاء وبعض المؤونة والتبرعات المادية التي أسهمت في تجهيز الجيش بالعدة والعتادضد الاسبان، لكن لم يسجل لهم أي عبور لبلاد الاأندلس.

3- موقف الحفصيين

مع ظهور أمر بني حفص بإفريقية، توجه ابن مردنيش وأهل شرق الأندلس إلى أبي زكريا وبعثوا إليه بيعتهم وأوفدوا الكاتب أبا عبد الله بن الأبار مستصرخا نصرة المسلمين في الأندلس تجاه ما يكابدونه من حصار وخوف من سقوط مدينتهم، حيث أنشد قصيدته المشهورة التي جاء فيها:

أدرك بخيلك خيل الله أندلســـــــــا   إن السبيل إلى منجاتها قد درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمست   فلم يزل منك عز النصر ملتمسا[2].

إلى أن يقول:

يأيها الملك المنصور أنت لها   علياء توسع أعداء الهدى تعسا
وقد تواتر الأنباء أنك مــــــن   يحي بقتل ملوك الصفر أندلسا[3]

كما جاءت صرخة أهل الأندلس في نفس المنحي معبرة عن المأساة جاء فيها:

---

[1] يحي بن خلدون، المصدر السابق،ج2، ص350، 354

[2] ابن خلدون، العبر، ج6، ص386، ابن الشماع أبو عبد الله محمد بن أحمد، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق وتقديم: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس1984، ص59، الزركشي أبي عبد الله محمد بن إبراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس1966، ص ص27،28

[3] عنان، دولة الإسلام ع3، ص447

نادتك أندلس فلبي نداءهــــا واجعل طواغيت الصليب فداءها
واشدد بجلبك جرد خيلك أزرها تردد على أعقابها أرزاءهـــــا
هي دارك القصوى أوت لايالـة ضمنت لها مع نصرها إيواءها
وبها عبيدك لا بقاء لهم سـوى سبيل الضراعة يسلكون سواءها[1].

وقد أثرت هذه القصيدة في السلطان الحفصي الذي أجاب داعيهم وبعث إليهم بأسطول مشحون بالمدد والأسلحة والطعام والمال ...وكان قيمة ذلك مائة ألف دينار، لكن الأمور ساءت بأهل بلنسية بعد أن شُدد الحصار عليهم، حيث تغلب العدو عليهم وسقطت المدينة قبل وصول المدد الذي أفرغ في دانية وتركت المدينة لمصيرها المحتوم[2].

وعند تحالف النصارى ضد مسلمي غرناطة وبني مرين طلب السلطان المريني أبو الحسن من السلطان الحفصي المساعدة في صد هذا العدوان الذي يحاصر ديار المسلمين والمساهمة في تقديم المدد والعون لإخوانهم في الأندلس ، فكانت الاستجابة فورية ، حيث أرسلت السفن الحربية التي كانت تخدم في بجاية بقيادة قائد القوة البحرية وقتها زيد ابن فرحون الذي استطاع مع القوات الإسلامية الأخرى من دحر النصارى وصدهم عن ديار المسلمين[3]، وهو ما نقف عليه في قول ابن خلدون: وزحفوا إلى أسطول النصارى وتواقفوا مليا، ثم قربوا الأساطيل بعضها إلى بعض وقرنوها للمصاف، فلم يمض إلا كلا ... حتى هبت ريح النصر، وأظفر الله المسلمين بعدوهم، وخالطوهم في أساطيلهم واستلحموهم هبرا بالسيوف، وطعنا بالرماح، وألقوا أشلاءهم في اليم وقتلوا قائدهم الملند واستاقوا أساطيلهم[4].

---

[1] المقري، نفح الطيب، ج4، ص479
[2] ابن خلدون، العبر، ج6، ص388، عنان، دولة الإسلام ع3، ص449
[3] ابن خلدون نفسه، ج6، ص ص 515،516
[4] نفسه، ج7، ص346

وفي عهد السلطان أبي فارس الذي كان مقتديا بجده في نصرة الإسلام والمسلمين ساهم في نجدة أهل الأندلس بإرسال مداخيل العشر من الأقاليم الإفريقية وأوقفها بانتظام لأهل غرناطة مادامو في حرب مع النصارى[1]، كما وظف لأهل الأندلس من الطعام وغيره يوجه إليهم في كل عام إعانة لهم على عدو الله وعدو الدين[2]، كما أسهم أبو عبد الله محمد المنتصر في إخراج المال الكثير متصدقا به على أهل الأندلس وعلى المجاهدين[3]، إضافة إلى مشاركته في الجهاد بنفسه حيث كانت له صولات بأرض الأندلس حين جاز إليها فأكرمه ملكها وشهد هناك الوقائع في أعداء الله من النصارى واشتهر اسمه وعلا صيته، حتى أن أخوه في تونس وجه الهدايا الضخمة لابن الأحمر ليمسكه عنه[4].

كما كان للسلطان أبي عمر عثمان دور كبير حيث قام بإرسال الكثير من الإعانات المالية إلى ملوك غرناطة في سبيل الجهاد، لا سيما المعونة التي وجهها سنة 868هـ-1463م إلى أبي الحسن علي بن سعد الذي ارتقى إلى عرش غرناطة[5].

رابعا- موقف المماليك:

عندما اشتدت وطأة الحصار على أهل غرناطة وعجز أهل المغرب عن دفع العدوان عنهم وتقديم العون لهم بعد الذي أصابهم من تفكك سلطانهم، لجئوا إلى المماليك طلبا للعون فكانت أولى الاستغاثات سنة 844هـ-1440م من السلطان النصري أبو عبد الله محمد بن يوسف إلى سلطان مصر المملوكي الظاهر حقمق الذي أقر بعجزه عن تقديم العون للأندلسيين لبعد الشقة[6]، مقترحا عليهم التوجه بصريخهم إلى

[1] روبار برنشفيك ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 الى نهاية القرن 15م، ترجمة: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ج1، ص258

[2] ابن الشماع، المصدر السابق، ص114، الزركشي، المصدر السابق، ص116

[3] الزركشي، نفسه ، ص120

[4] نفسه، ص64

[5] برنشفيك، المرجع السابق، ص291

[6] عنان محمد عبد الله ، موقف القسطنطينية وباقي العالم الإسلامي من سقوط الأندلس وآخر مسلميها وأمام الغزو الأوربي للعالم الإسلامي الإسلامي عموما، مجلة الأصالة، العدد27، ص105

إلى بني عثمان رغم قوة المماليك يومئذ، وفي سنة 892هـ-1487م وصلت سفارة أندلسية إلى مصر تطلب من السلطان المملوكي والدولة العثمانية النجدة وتقديم العون والمدد لأهل الأندلس، لكن المماليك وكعادتهم لم يكن تدخلهم إلا دبلوماسيا حيث قاموا بإيفاد مبعوث لهم إلى البابا يطالبونه بالضغط على القشتاليين من أجل التخفيف من معانات المسلمين، وإلا ستقوم مصر بمعاملة النصارى الذين هم في حمايتها بنفس المعاملة[1]، لكن هذا المسعى لم يأت بنتيجة، حيث واصل فرديناند وإيزابيلا حملتيهما ضد المسلمين الذين اعتبروهم من المتمردين الذين يجب استئصالهم من أرض الأجداد، وظلت الأمور على حالها وظل المسلمون في اضطهاد وانتزعت أراضيهم وانتهى الأمر بتسليم غرناطة[2].

ثم تلتها رسالة الاستغاثة التي أرسل بها الأمير أبي عبد الله محمد المعروف بالزغل إلى المماليك عبر سفيره أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد المعروف بابن الأزرق، الذي سافر إلى تلمسان ثم رحل إلى مصر طالبا من السلطان المملوكي أشرف سيف الدين قيتاي التدخل لنصرة المحاصرين بغرناطة[3]، لكن نتائج هذه السفارة غير معروفة.

وفي كل الأحوال لم تأت هذه الاستغاثات بأي نتائج تذكر، وكانت بذلك إسهامات المماليك في الأندلس لا تتناسب مع القوة التي كانوا يتمتعون بها.

خامسا- موقف العثمانيين:

لما كان سند أهل الأندلس الأول (المرينيين) قد دخل في مرحلة الصراع بسبب الفتن الداخلية، اتجهت أنظارهم إلى العثمانيين في آخر مسعى منهم لإنقاذ ما يمكن إنقاذه بعد خيبة الأمل التي واجهوها من المماليك الذين لم يستطيعوا تقديم العون لهم متحججين في ذلك ببعد المسافة بينهم وبين تلك البلاد وقلة العتاد لديهم وهم الذين كانوا

---

[1] ابن إياس محمد بن أحمد الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1984، ج3، ص244

[2] عنان، دولة الإسلام ع4، ص ص220-222، عنان، موقف القسطنطينية، ص106

[3] المقري ، أزهار الرياض، ج3، ص318

يقارعون العثمانيين، حيث بعثوا بصريخهم إلى السلطان العثماني محمد الفاتح سنة 882هـ-1477م يطالبونه بالتدخل ومساعدتهم في محنتهم، لكن الأحوال التي كانت تمر بها الدولة العثمانية حالت دون تقديم أي مساعدة لهم، وذلك بسبب انشغالها بالجهاد في الجبهة الشرقية[1]، وفي في عهد السلطان بايزيد الثاني وصلت رسالة استغاثة من أهل الجزيرة بعد أن استولى الكفر عليها جاء فيها:

"الحضرة العلية وصل الله سعادتها، وأعلى كلمتها، ومهد أقطارها، وأعز أنصارها، وأذل عداتها...مللك العرب والعجم والترك والديلم، مولانا أبو يزيد

سلام كريم دائم متجـــــدد أخص به مولاي خير خليفـــــة

إلى أن يقول:

سلام عليكم من عبيد تخلفوا بأندلس بالغرب في أرض غربــة

سلام عيكم من عبيد أصابهم مصاب عظيم يا لها من مصيبة

أحاط بهم بحر من الردم زاخر وبحر عميق ذو ظلام ولجـــــة" [2].

وللمرة الثانية كانت الظروف في غير صالحهم بفعل النزاع الذي كان قائما بين السلطان وأخيه على العرش، والصراع مع البابوية وبعض الدول الأوربية التي تحالفت ضد الدولة العثمانية بعدما رأت فيها خطرا يهدد كيانها بسبب نفوذها في البحر المتوسط، إضافة إلى التمرد الذي قام به العلويون في الأناضول ضد الدولة[3]، كل هذه الأحداث استدعت توجيه القوات العسكرية العثمانية إلى هناك وعدم تلبية نداء الاستغاثة بالشكل المباشر، لكن ذلك لم يمنع السلطان بايزيد من وضع خلافاته مع مصر جانبا و عقد تحالف مع المماليك يتم بموجبه إرسال الدولة العثمانية أسطولا حربيا إلى غرب

[1] رضوان نبيل عبد الحي ، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث، دكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة أم القرى، السعودية1407هـ-1998، ص101

[2] المقري، أزهار الرياض، ج1، ص111، التميمي، رسالة من مسلمي غرناطة، ص38

[3] الصلابي محمد علي ، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة2001، ص510

المتوسط في الوقت الذي يرسل المماليك قوات برية تعبر بلاد المغرب لتصل إلى الأندلس[1].

وبرغم هذه المواقف التي لم تكن في مجملها ايجابية بحق الأندلسيين إلا أن المرحلة الثانية من التدخل العثماني كانت الأكثر نجاعة وفعالية مما سبقها، فبوجود الأخوين عروج وخير الدين بالجزائر أقدمت الدولة العثمانية على تدعيمهما وتحريضهما لشن الهجمات على السواحل الأندلسية، ما سبب الكثير من القلق للإسبان و جدد الأمل في نفوس الموركسيين الذين بعثوا برسالتهم للسلطان العثماني سليمان القانوني شاكرين له الدور الذي يقوم به خير الدين والذي جاء فيها:"... وقد كان بجوارنا الوزير المكرم المجاهد في سبيل الله خير الدين وناصر الدين ...علم بأحوالنا وما نجده من عظيم أهوالنا لما كان بالجزائر فاستغثنا به فأغاثنا، وكان سببا في خلاص الكثير من المسلمين من أيدي الكفرة المتمردين ونقلهم إلى أرض الإسلام"[2].

إضافة إلى السفن الحربية التي أرسلها خير الدين بقيادة صالح ريس سنة(976هـ-1569م) والتي استطاع بفضلها إنقاذ الكثير من الموركسيين الذين تعرضوا للاضطهاد من طرف البحرية الاسبانية خاصة بالجزائر الشرقية[3]، وبعد النجاح الذي حققه العثمانيون في الجزائر مع تحطيم حصن البنيون من قبل خير الدين، راسله الموركسيون عديد المرات من أجل مساعدتهم، حيث كان له الفضل في إرسال العديد من الحملات التي استطاعت إنقاذ الآلاف من المهاجرين والذي وصل عددهم في العديد من الروايات إلى السبعين ألف[4].

ولما بلغ السلطان العثماني ما يعانيه الموركسيون في هجراتهم خاصة في أرض فرنسا من الاعتداءات والنهب للممتلكات، أرسل احتجاجا لماري دي ميتشي التي كانت وصية

---

[1] رضوان، المرجع السابق، ص102

[2] التميمي، المرجع السابق، ص45، رزوق، المرجع السابق، ص85

[3] مجهول، غزوات عروج وخير الدين، تصحيح وتعليق: نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر1934، ص48

[4] التميمي، المرجع السابق، ص39، رزوق، المرجع السابق، ص85

على لويس الثالث عشر يطلب منها حماية المهاجرين الأندلسيين المارين عبر أراضيها، وحتى في أثناء الثورات التي قام بها الموريسكيون ضد الإسبان ساعدهم العثمانيون بالمتطوعين وهو ما نقف عليه من خلال الرسالة التي بعث بها السفير الفرنسي والذي يقر فيها بوجود ما بين الأربع مائة إلى خمس مائة جندي عثماني صحبة أمير غرناطة أرسلوا من الجزائر[1]، والأمر نفسه نقف عليه في الإرسالية التي بعث بها نائب الملك فرنسيسكو قاسيارو إلى الجزائر لاقناع البيلرباي بوقف المدد والمساعدات العسكرية المتمثلة في الذخائر والأسلحة إلى الموريسكيين[2].

أما في عهد صالح ريس الذي تقلد الحكم سنة 952هـ-1552م فقد أعلن النفير العام والسير بحرا تجاه الأندلس بعدما وضع حدا للقلاقل التي كانت تثيرها الدولة السعدية للعثمانيين مستفيدا من المعونة التي أرسل بها الباب العالي والمتمثلة في عشرات السفن بكامل تجهيزاتها الحربية إلى الجزائر[3]، لكن الأحداث تسارعت في غير صالح الموريسكيين بعدما استطاع الوطاسيون القضاء على الحكم السعدي والدخول في تحالف مع الإسبان ضد العثمانيين.

توالت المساعدات العينية في عهد العلج علي الذي عقد اتفاق مع الثوار المعتصمين بجبال البشرات يقضي بأن يقوم الموريسكيون بالثورة في الوقت الذي تصل فيه القوات العسكرية من الجزائر إلى السواحل الإسبانية، وتمت العملية ووصلت أربعون سفينة لكن انكشاف أمر احد الثوار افشل المخطط بأكمله[4].

وعندما حل الموريسكيون بأرض الجزائر اصدر الباب العالي فرمان إلى واليها يطالبه بتقديم جميع المساعدات العينية بعد أن فشلت ثورتهم[5]، وفي سنة (976هـ- 1569م)

---

[1] التميمي عبد الجليل، الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين، ط 1، مطبعة بابيريس، زغوان 1989، ص20

[2] نفسه، ص20

[3] نبيلة عبد العزيز الحاج علاوي و رابحة محمد خضير، موقف الدولة العثمانية من محنة مسلمي الأندلس، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، العدد 3، 2012 مج7، ص4

[4] رضوان، المرجع السابق ، ص ص398،399، سعيدوني، المرجع السابق، ص15

[5] رزوق، المرجع السابق، ص ص96،97

أذاع والي الجزائر بيانا بعد أن جاءته الأوامر من الباب العالي بمساعدة أهل الأندلس، حيث دعا الرجال على حمل السلاح والعبور إلى الجزيرة لمساعدة إخوانهم هناك وقد تجمع لديه ما يزيد عن الأربع مائة رجل من أتراك ومغاربة جهزهم في ستة سفن حربية مع الأسلحة والذخائر وعبرت للأندلس[1].

وعلى العموم يمكن القول بأن الموقف العثماني من محنة أهل الأندلس كان في بدايته وحتى سقوط آخر معاقل المسلمين ممثلا في تقديم المساعدات العينية وبعض المدد، لكن الأمور تغيرت بعد ذلك نحو الإسهام في العمل العسكري من خلال الأدوار التي قام بها حكام الجزائر، فقد أجادوا في تقديم العون والمساعدات العسكرية وان جاءت متأخرة للموريسكيين خاصة أثناء تنقلاتهم من بلادهم إلى بلاد المغرب والبلدان الأخرى، كما عملوا على حماية دول المغرب من الاعتداءات الاسبانية والبرتغالية.

وبالجملة فإن كل الدول الإسلامية لم يكن لها من القدرة ما تستطيع به الدفاع عن نفسها أو تقديم العون لإخوانها، ولأدل على ذلك شروط وثيقة التسليم بين الملك الصغير والملكان الكاثولكيان فرديناند وإيزابيلا والذي من بين شروطه أن يترقب المسلمون سبعون يوما عسى أن يأتيهم المدد من الخارج، لكن لم تكن هناك أي دولة إسلامية قادرة على تقديم العون للغرناطيين للخروج من هذا المصير المحتوم[2].

---

[1] حومد، المرجع السابق، ص325

[2] المطوي، المرجع السابق، ص250

المبحث الثالث:

العوامل المساعدة في استقرار المهاجرين بالمغرب الأوسط

مع ضعف ملوك الطوائف بالأندلس وتكالب العدو عليهم بدأت الهجرة من ديار المسلمين التي سقطت بيد النصارى إلى المناطق والمدن التي لازالت بيدهم، في حين هاجر الجزء الآخر إلى بلاد المغرب الإسلامي، يذكر ابن خلدون أنه: "لما تكالب الطاغية على الدولة والتهم ثغورها واكتسح بسائطها وأشف إلى قواعدها وأمصارها، أجاز الأعلام وأهل البيوت إلى أرض المغربين وإفريقية"[1]، وقبل أن نتطرق إلى العوامل التي أسهمت في استقرار الأندلسيين ببلاد المغرب يجب علينا أن نحدد أنواع هذه الهجرات التي تنوعت بتنوع أسبابها.

فقد كانت هناك الهجرات الاضطرارية لبعض العائلات بفعل الخلافات السياسية مع المرابطين وتجلى ذلك في بعض الأمراء ومنهم علي بن مجاهد العامري صاحب دانية الذي فر من المربطين ولم يجد له من ملجأ إلا بجاية، حيث نزل عند الناصر بن علناس الذي أكرم وفادته[2]، وكذلك معز الدولة المعتصم ابن صمادح حاكم ألمرية الذي التجأ إلى بجاية هو الآخر[3]، وقد كانا من أوائل العائلات الأندلسية التي استقرت ببجاية بعد سيطرة المرابطين على الأندلس[4]، كما كانت هناك هجرات أخرى وهي التي جاءت بفعل حروب الاسترداد المسيحية ضد المسلمين والمعاملة السيئة التي عوملوا بها أو الطرد الذي مورس بحقهم، في حين كانت هناك هجرات خاصة بطلب العلم وأخرى للبقاع المقدسة لأداء فريضة الحج.

في ظل هذه الظروف يمكن التطرق إلى العوامل التي جعلتهم يفضلون الهجرة لبلاد المغرب الإسلامي والمغرب الأوسط تحديدا.

[1] ابن خلدون العبر، ج6، ص438
[2] نفسه، ج6، ص248
[3] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص89
[4] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص191

أولا- العامل السياسي

تعتبر الوحدة الترابية للمغرب والأندلس من أيام المرابطين والموحدين من أهم العوامل التي ساهمت بشكل كبير في تنقل الأشخاص على اعتبار أنهم في وطن واحد، وتنقلهم أمر طبيعي لا يثير أي اهتمام، ومع سقوط مدن شرق الأندلس أصدر الخليفة الموحدي الرشيد(630-640هـ)(1233-1243م) ظهيرا يمنح بموجبه للمهاجرين الحق في الاستيطان والتملك في رباط الفتح، ويأمر الولاة بتنفيذ القرار الذي جاء فيه على الخصوص ما يلي: "هذا ظهير كريم أمر به أمير المؤمنين...للمتنقلين من أهل بلنيسة وجزيرة شقر وشاطبة وما جرى من سائر بلاد شرق الأندلس...مما أصابهم من الجلاء... عند ذلك أذن لهم في النقلة إلى رباط الفتح... وأن يتخذوا مساكنه وأرضه بدلا من مساكنهم وأرضهم ويعمروا منه بلدا... ولهم أفضل ما عهده رعايا هذا الأمر... والولاة والعمال مأمورون بأن يحفظوهم من كل أذى ... ويولوهم حسن الجوار، ما ينسيهم أوطانهم حتى يندفع عنهم كل شبه من شبه الحيف"[1].

مع نهاية حكم الموحدين سنة (668هـ-1269م) ظهرت الدول الثلاث الحفصية والزيانية والمرينية فاهتم سلاطينها أشد الاهتمام بالجاليات الأندلسية خاصة منها تلك المتعلمة، حيث كان لهذه المعاملة الأثر الكبير في استقرار هذه الجاليات بعواصم تلك الدول، فزاد توافدها على حاضرة بني زيان خاصة بعد الظهير الذي أصدره السلطان يغمراسن بن زيان في حق الوافدين، والذي بموجبه يتم الاعتناء بهم وتقديم المساعدة المادية والعينية لهم تعويضا لما فقدوه ببلادهم، كما يستطيعون تملك الأراضي وبناء السكنات، حيث بوأهم يغمراسن بن زيان من اهتمامه الكريم وإنعامه العميم جنات ألفافا[2]، وإثر ذلك وفد عليه لأول دولته ابن وضاح إثر الموحدين، الذي أجاز البحر مع

[1] فيلالي عبد العزيز ، تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر 2002، ج1، ص ص200،201

[2] نفسه، ج1، ص 175

جالية المسلمين من شرق الأندلس، فآثره وقرب مجلسه وأكرم نزله، وأحله من الخلة والشورى بمكان أصفاه له[1]، ثم وفد عليه ابن الخطاب فقربه منه واستكتبه وصدر عنه من الرسائل الكثير[2].

لم يكن يغمراسن الوحيد الذي كانت له عناية بالمهاجرين الأندلسيين، فقد كان لخلفه من العناية بهم ما جعلهم يتبوءون المناصب العليا في البلاد، ففي عهد السلطان عثمان بن يغمراسن الذي كانت له تنشئة أندلسية، اهتم بهم أيما اهتمام، وكذلك أبو حمو موسى الأول وأبو تاشفين ومن بعدهم أبو حمو موسى الثاني وأبو زيان محمد الثاني، حيث ازداد توافد الأندلسيين بفعل الاهتمام والحظوة التي تبوؤها لدى السلاطين، وسنأتي على ذكرهم لاحقا كل في مجال اختصاصه.

أما في بجاية فقد كان لمؤسس دولة بني حماد الأثر الكبير في تطويرها، حيث جعل منها مقصدا لكل طالب علم أو رزق حتى أضحت المدينة آهلة عامرة بالأندلسيين[3]، بفعل طبيعة الدولة التي كانت مستقلة عن المرابطين وعن الزيريين ، هذه الأوضاع المواتية ساعدت في هجرة الأندلسيين إلى بجاية دون سواها من المدن الأخرى[4].

كما أسهمت العلاقات التي كانت تربط حكام تونس بأهل الأندلس في استقرار الكثير منهم بهذه المدينة، حتى علا شأنهم فيها بعد أن أصبحت لهم الكلمة العليا دون سواهم، وأصبحوا ينافسون الموحدين، وفي ذلك يقول ابن خلدون: "وقد كان لأهل إشبيلية خصوصا من بين الأندلسيين وصلة بالأمير أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص وبنيه من بعده منذ ولايته غرب الأندلس[5].

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص106

[2] نفسه، ج7، ص106

[3] البكري أبي عبيد الله ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، المطبعة الحكومية، الجزائر1857، ص82

[4] عويس عبد الحليم ، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط 2، دار الصحوة للنشر والتوزيع ودار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة1991، ص184

[5] ابن خلدون، العبر، ج6، ص437

كما كانت هناك عودة للعنصر البربري الذي هاجر للأندلس مع الفاتحين الأوائل الذين أسسوا لحكم ملوك الطوائف مثلهم مثل غيرهم من العرب، ولما اشتدت عليهم وطأة النصارى في حروب الاسترداد كانت بجاية الحمادية الملجأ الآمن لهم ولكل الأندلسيين[1]، ومع ازدياد عدد الوافدين ظهر ما يسمى بمصطلح الجماعة الأندلسية التي وضعت حدا لنفوذ الموحدين ببجاية بعد أن نشبت الخلافات بينهما[2]، وهكذا أصبحت بجاية الحمادية مدينة استقبال للمهاجرين الأندلسيين.

ثانيا- العامل الجغرافي

منذ بداية الفتح الإسلامي اعتبرت الأندلس آخر المعمور من المغرب، ووجه الشبه بين تضاريس المغرب واسبانيا كبير جدا، فلو أمكن ضم تضاريس البلدين إلى بعضهما البعض حول مضيق جبل طارق لطابقت جبال الأطلس المتوسط الهضاب الإسبانية والأطلس الأعلى جبال البيرينيه، والبحر المتوسط تضيق سواحله في أقصى الغرب حتى تكاد ترى السواحل الإسبانية التي تكتشفها الأنظار مباشرة من السواحل المغربية[3]، إضافة إلى التشابه الكبير في المناخ السائد في البلدين والذي لا يكاد فيه المرء من التفران يفرق بينهما خاصة في المدن الساحلية مثل بجاية التي انفتحت بشكل كبير على جميع النماذج المختلفة واستقطبت العديد من المهاجرين الأندلسيين حتى أصبحت الملجأ والمأوى لهم[4]، وهي التي اشتهرت بكل مقومات العاصمة التي قال عنها البكري، "أنها مدينة أزلية آهلة عامرة بأهل الأندلس"[5].

---

[1] عويس، المرجع السابق، ص185

[2] الطالبي محمد ، الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين، مجلة أصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد26، 1975، ص57

[3] شارل أندري جوليان ، تاريخ إفريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م، تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2011، ص20

[4] عويس، المرجع السابق، ص ص241، 242

[5] البكري، المصدر السابق، ص82

فتحت الأبواب لكل المهاجرين الذين قدموا من شرق الأندلس إلى عاصمة الحماديين وحاضرة العلم وقاعدة المغرب الأوسط[1]، التي ازداد عمرانها في التوسع وتغنى بها الشعراء حيث يقول فيها ابن الفكون[2] وهو من الفضلاء النبهاء، وكان مرقّع المقدار، وله الحضوة والاعتبار، وكان الأدب له من باب الزينة والكمال:

دع العراق وبغداد وشامـــــــــها فالناصرية منا إن مثلها بلـــــــد
بر وبحر وموج العيون بـــــــــه مسارح بان عنها الهم والنكـــــد
حيث الهوى والهواء الطلق مجتمع حيث الغنى والمنى والعيشة الرغد[3].

و بجاية مدينة حصينة فيها من المنعة ما يغنيها عن الأعداء، موضوعة في أسفل جبل وعر، مقطوعة بنهر وبحر، مشرفة عليها إشراف الطليعة متحصنة بها منيعة، فلا مطمع فيها لمحارب[4]، وقد ازدهرت فيها التجارة فصارت السفن إليها مقلعة ولها القوافل منحطة والأمتعة إليها برا وبحرا، والبضائع بها نافقة، وأهلها مياسير تجار، وبها من الصناعات والصناع ما ليس في كثير من البلاد[5].

أما تلمسان فقد كان لها ارتباط بالأندلس منذ الفتح الإسلامي نظرا لما كانت تمثله من أهمية للحركة التجارية باعتبارها مركز العبور لكل البضائع التي تأتي من الصحراء باتجاه الأندلس، فهي إذن نقطة الوصل بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، تأتيها السلع من كل الأقطار، والأندلسيون يعتبرونها من مدنهم لما فيها من التشابه الطبيعي ببلادهم، فبساتينها ومياهها وغلاتها ومزارعها وفواكهها الجمة، وخيراتها شاملة ولم يكن

---

[1] عنان، دولة الإسلام ع3، ص284

[2] هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن قاسم بن يحيى الفكون. ولد في قسنطينة سنة 988هـ– 1580م، قال عنه الغبريني: ابن الفكون شاعر وقته. سعد الله أبو القاسم ، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان1986، ص57

[3] الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق وتعليق: عادل نويهض، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1989، ص334

[4] العبدري أبي عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود ، رحلة العبدري، تحقيق: علي إبراهيم كردي، تقديم: شاكر الفحام، ط2، دار الطباعة والنشر والتوزيع، دمشق2005، ص ص82، 83

[5] الإدريسي أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (دت)، ج1، ص260

في بلاد المغرب بعد مدينة أغمات وفاس أكثر من أهلها أموالا ولا أرفه منهم حالا[1].

"لم يزل عمرانها يتزايد وخطّتها تتسع والصروح فيها بالآجرّ والفهر تعلى وتشاد إلى أن نزلها آل زيان واتخذوها دارا لملكهم وكرسيا لسلطانهم، فاختطوا بها القصور المؤنقة والمنازل الحافلة واغترسوا الرياض والبساتين وأجروا خلالها المياه فأصبحت أعظم أمصار المغرب ورحل إليها الناس من القاصية ونفقت بها أسواق العلوم والصنائع، فنشأ بها من العلماء واشتهر فيها الأعلام وضاهت أمصار الدول الإسلامية والقواعد الخلافية"[2]، وازدادت أهميتها مع انحصار دولة الأندلس في غرناطة التي لم يعد لها من متنفس غير بلاد المغرب، فربطت العلاقات معه باعتباره المنفذ الوحيد لها بعد سقوط كل المدن بيد النصارى.

ثالثا- العامل الثقافي

كان للعامل الثقافي الأثر البالغ في استقطاب الأندلسيين لتلمسان وبجاية، لاعتبارهما من أهم الحواضر المغربية، ففي تلمسان التي تأسست فيها الدولة الزيانية سنة 633هـ-1236م عملت على استقدام أهل العلم من الأندلس وأعطت لهم من الاهتمام ما يناسب مقاماتهم، فهذا يغمراسن بن زيان مؤسس الدولة كان محبا لأهل العلم والصلاح وله فيهم رغبة عالية ، يبحث عنهم أين ما كانوا ويستقدمهم إلى بلده ويقابلهم بما هم أهل له[3]، حيث أغدق عليهم بالعطايا ورغبهم في القدوم إلى عاصمته والتدريس فيها والاستقرار بها، فكان اهتمامه بالعالم الجليل الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي (ت680هـ-1287م) الذي كاتبه كثيرا ورغبه في سكنى تلمسان، وقال في قدومه لبلده ما جئتك إلا راغبا منك أن تنتقل إلى بلدنا تنشر فيها العلم وعلينا

---

[1] الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص248

[2] ابن خلدون، العبر، ج7، 105

[3] التنسي محمد بن عبد الله ، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من كتاب نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق وتعليق: محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر 2011، ص125

جميع ما تحتاج[1]، ولما اشتهر اعتنائه بالعلم وأهله وفد عيه من الأندلس خاتمة أهل الآداب المبرز في عصره على سائر الكتاب أبو بكر محمد بن عبد الله بن داود بن الخطاب فأحسن نزله ومثواه وقربه من بساط العز وأدناه وجعله صاحب القلم الأعلى[2]، ومن أهل الأندلس أيضا وفد عليه محمد بن غلبون المرسي فأكرمه وعينه قاضيا لتلمسان، وبالمجمل عُرف عنه حبه للعلماء حتى أنه أوصى بأن يدفن بجانب العالم أبي عبد الله محمد بن مرزوق بإزاء الجامع الأعظم[3]، الذي كان يحضر للدروس التي كانت تقام فيه.

كما أسهم السلطان أبو حمو موسى الأول(718هـ-1318 م) في الاحتفاء بالعلماء والفقهاء فلم يعرف إلا بالصلاح وحبه لأهل العلم وببناء مدارس العلم[4]، وفي عهد أبو تاشفين الذي كان مولعا بتحبير الدور وتشييد القصور وتخليد الآثار التي لم تكن لمن قبله ولا لمن بعده كدار الملك ودار السرور، كان له بالعلم وأهله احتفال، وكانوا منه بمحل تهمم واهتبال فوفد عليه العلماء والفقهاء فأنزلهم منزلة الكرامة، وحسن عمله كله ببناء المدرسة الجليلة العديمة النظير[5].

لعل أعظم سلطان زياني كانت له بصمة واهتمام بأهل العلم من الأندلسيين وغيرهم هو أبو حمو موسى الثاني الذي كان له من النثر الرائق والشعر الفائق، ما ارتفعت صنعته من بلاغة الملوك، ومن العلم العقلي والنقلي ما جلا نوره عن الدنيا مدلهمات الحلوك، فقد عرف أهل العلم في عهده من الاهتمام ما لم يسبقه إليه غيره وأصبحت تلمسان تضاهي حواضر المغرب كفاس والقيروان، كما أقام على الكتابة فأبدع في تصنيف كتاب سماه نظم السلوك في سياسة الملوك[6]، وفي عهده أيضا عرفت تلمسان

---

[1] التنسي، المصدر السابق، ص126

[2] نفسه، ص127

[3] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص48

[4] التنسي، المصدر السابق، ص139

[5] نفسه، ص141

[6] التنسي، المصدر السابق، ص161

حركة أدبية مميزة، كان من روادها أبو عبد الله القيسي الثغري، الذي كان من كتاب دولة أبي حمو الثاني، وله من الشعر قصائد طوال، نظم أكثرها في الحفلات الدينية كإحياء ذكرى المولد النبوي، كما ظهر إلى جانبه أبو عبد الله التلاليسي، طبيب السلطان و شاعر البلاط، الذي كانت له تواشيح رائعة ومدائح كثيرة، ومن الشعراء أيضا ابن العطار، وابن سفيان، وابن صالح شقرون وابن قاسم المرسي وغيرهم الكثير[1].

وفي عهد أبي زيان محمد بن أبي حمو الذي اعتنى بالعلم حتى صار "منهج لسانه وروضة أجفانه، فلم تخلو حضرته من مناظرة ولا عمرت إلا بمذاكرة ومحاضرة، فلاحت للعلم في أيامه شموس، نسخ بيده نسخا من القرآن الكريم، ومن صحيح البخاري ونسخا من الشفاء لأبي الفضل عياض حبسها كلها بخزانته التي بناها بإزاء الجامع الأعظم بتلمسان المحروسة، وكان من أهل العلم فألف كتابا سماه كتاب الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة"[2].

وبالمجمل فقد عرفت تلمسان نهضة علمية بفعل ما أنجزه سلاطينها من بناء للمدارس والمساجد التي أسهمت في استقطاب العديد من أهل العلم وطلبة العلم من داخل البلاد وخارجها، وهو ما نقف عليه في قول الحسن الوزان: "توجد بتلمسان مساجد عديدة وجميلة لها أئمة وخطباء، وخمس مدارس حسنة جيدة البناء مزدانة بالفسيفساء وغيرها من الأعمال الفنية، شيد بعضها ملوك تلمسان وبعضها الآخر ملوك فاس"[3].

---

[1] موساوي أحمد ، الأمير الأمازيغي أبو حمو موسى الثاني رحلة السلطان رحلة الشعر، مجلة الآداب واللغات جامعة قاصدي مرباح ،العدد 08، ورقلة الجزائر2008، ص88

[2] التنسي، المصدر السابق، ص211

[3] الوزان الحسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، ط2، ، ترجمة: محمد حجي و محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983، ج2، ص19

أما في بجاية فقد أقام الأمراء على العناية بأهل الأندلس وكل الوافدين الجدد معهم خاصة منهم العلماء الذين كان لهم من العناية ما فاق كل اعتبار وفي ذلك يقول الغبريني: "كان الناس على اجتهاد وكان الأمراء لأهل العلم على ما يليق ويراد"[1].

رابعا- العامل الديني

تمسُك أهل المغرب بمذهب الإمام مالك بن أنس جعل سلاطين دولة بني زيان يعتمدونه مذهبا رسميا للدولة ولا يسمح بالعمل في أي مجال من مجالات التشريع والتدريس إلا به، كما اشترطوا على قضاتها أن يكونوا من الحافظين لمدونة الإمام سحنون[2]، حتى أصبحت تلمسان دار للعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه[3].

أما الأندلس فقد ساد فيها من المذاهب الكثير حتى حمل الأمير الحكم بن هشام أهل البلاد على إتباع مذهب مالك وترك المذاهب الأخرى، هذا التشابه أسهم كثيرا في تنقل طلبة العلم والقاصدين لبيت الله الحرام لأداء منسك الحج من العبور عبر تلمسان وبجاية للتزود بما جادت به قريحة أهل العلم في العدوة المغربية، وقد ذكر ابن الخطيب تلمسان بوصف بديع جاء فيه: "تلمسان وما أدراك ما تلمسان ؟ قاعدة الملك وواسطة السلك ، وقلادة النحر، وحاضرة البر والبحر، أسندت إلى الليل ظهرا ، وأفصحت بالفجر جهرا، وأصبحت للغرب بابا ولركاب الحج ركابا ولسهام الأمل هدفا ولدور العلماء والصالحين هدفا، حسناء تسبي العقول بين التقنع والسفور، والأطماع والنفور، شمخت بأنف الحصانة والإباية، وتبجحت بوفور العمارة و دور الجباية ولبست حلة

---

[1] الغبريني ، المصدر السابق، ص55

[2] عبد السلام سحنون بن سعيد ابن حبيب التنوخي، أصله شامي من حمص وأخذ العلم بالقيروان من مشايخها ورحل في طلب العلم في حياة مالك وسمع من ابن القاسم بن وهب قال فيه الشيرازي: إليه انتهت الرئاسة في العلم بالمغرب وعلى قوله المعول بالمغرب ، وصنف المدونة. ابن فرحون، المصدر السابق، ص ص 263-265، الدراجي بوزياني ، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1993، ص241

[3] البكري، المصدر السابق، ص77

الجناب الخصيب، وفازت من الاعتدال وأوصاف الكمال بأوفى نصيب"[1]، فجعلها الكثير من أهل الأندلس دار مقام واستقروا بها، وسنأتي على ذكر العلماء والطلبة الذين مروا بتلمسان أو استقروا بها لاحقا.

خامسا- العامل الاجتماعي

في الوقت الذي كان فيه أهل الأندلس يعانون الصعاب مع النصارى بفعل حروب الاسترداد، كان أهل المغرب يعانون الأمراض والأوبئة والمجاعات التي أتت على الكثير من أهلها، فخلت قراها ومدنها وازداد الوافدون من أهل الأندلس عليها فوجد الكثير منهم المجال واسعا في جميع مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية وفي ذلك يقول المقري: "وأما الذين خرجوا بتونس فسلم أكثرهم، وهم لهذا العهد عمروا قراها الخالية وبلادها"[2]، وفي هذه الفترة ظهر مصطلح الجماعة الأندلسية التي ستعرف لاحقا من السطوة والسلطة ما لم يكن لغيرها من الجماعات الأخرى[3].

[1] ابن الخطيب، كناسة الدكان بعد انتقال السكان حول العلاقات السياسية بين مملكة غرناطة والمغرب في القرن الثامن الهجري، تحقيق: محمد كمال شبانة و حسن محمود، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، (دت)، ص ص67،68

[2] المقري، نفح الطيب، ج4، ص528

[3] ابن القنفد أبو العباس أحمد بن حسين بن عي بن الخطيب القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق: محمد الشادلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968، ص135

المبحث الرابع:

معاناة الأندلسيين بالمهجر

عاش الأندلسيون أكثر من غيرهم عبر كل مراحل هجرتهم المآسي والمعاناة التي تفنن المسيحيون الإسبان في تنفيذها ضدهم، وهم الذين كانت كل أمانيهم بعد سقوط مدنهم بشبه الجزيرة الأيبيرية البقاء في البلاد التي ولدوا فيها والتي لا يعرفون غيرها، لكن قضاء الله وقدره كان قد سبق، فلاقوا من أصناف العذاب في سبيل دينهم وبلدهم وممتلكاتهم ما لا يستطيع أي بشر أن يتحمله، فقد طرق بهم من الخطب ما لم يوجد في سالف الدهر، فكان لزاما عليهم إما الرحيل إلى البلدان المجاورة أو البقاء هناك والدخول في ملة النصارى، وحتى الذين اختاروا البقاء كانت السلطات تعاملهم على أساس أنهم مواطنون من الدرجة الثانية لشكها في عقيدتهم وانتمائهم، لذلك عملت عبر كل المراحل على استئصالهم من البلاد.

لم تنته معاناتهم بالهجرة بل وجدوا في البلاد التي هاجروا إليها من البؤس والفقر والمرض وسوء المعاملة ما جعل الكثير منهم يراجع كل حسابات الرحيل والعودة إلى اسبانيا، وأصبحوا بذلك بين نار البقاء والتحول إلى المسيحية والاستعباد أو الهجرة وتحمل الصعاب ومكابدة المخاطر، ولم تكن المخاطر وحدها ما كان يعانيه المورسكيين الفارين من اسبانيا، بل كانت محاكم التفتيش جزءا من هذه المعاناة خاصة في أمريكا التي كانت تسيطر عليها اسبانيا والبرتغال، وعلى العموم لم يسلم المورسكيون من المعاناة أينما حلوا وارتحلوا حتى في البلاد العربية، التي كانت بالنسبة للكثير منهم الامتداد الطبيعي للأندلس والحاضنة الإسلامية بفعل روابط الدين واللغة وغيرها من العوامل التي تجمع المسلمين ولا تفرقهم، ولأن ظلم أهل القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند، فإن الخذلان الذي لاقوه من إخوانهم أهل

الملة والدين ببلاد المغرب وغيرها والذي لا تمحوه حوادث الأيام، كان أشد عليهم من ظلم النصارى وجورهم.

أولا- معاناة الأندلسيين قبيل التهجير

لا أحد ينكر التنكيل الذي مورس ضد الموركسيين من طرف النصارى بعد سقوط أخر معاقل المسلمين بتلك البلاد، "فقد صدم طاغية قشتالة وأرغون من بقي بنقض عهوده ونشر بمحض الغدر بنوده من غير معذرة لفقها ولا كذبة في معرض العذر نمقها"[1]، فكانت الصدمة كبرى بإرغامهم على التنصير أو القتل وفي ذلك يقول المقري: "فلو رأيتم ما صنع الكفر بالإسلام بالأندلس وأهله، لكان كل مسلم يندبه ويبكيه ...ولو حضرتم من جبر بالقتل على الإسلام وتوعد بالنكال والمهالك العظام، ومن كان يعذب في الله بأنواع العذاب ويدخل به من الشدة في باب ويخرج من باب لأنساكم مصرعه وساءكم مفضعه، وسيوف النصارى إذ ذاك على رؤوس الشرذمة القليلة من المسلمين مسلوبة، وأفواه الذاهلين محلولة، وهم يقولون ليس لأحد بالتنصير أن يمطل، ولا يلبث حينا ولا يمهل، وهم يكابدون تلك الأهوال ويطلبون لطف الله في كل حال"[2]، وهذ ديدن أهل الكفر لا يحفظون العهود، فما إن صارت البلاد بيدهم حتى أصدروا قرارا اعتبر فيه كل الموركسيين رقيقا، وبالتالي على كل من أراد العبور إلى المغرب أن يفدي نفسه[3]، لذلك لم يكن للكثير منهم خيار غير التنصير أو الهجرة، وهو الهدف الذي كان يصبو إليه حكام إسبانيا الجدد الذين خضعوا للكنيسة التي كانت تطالبهم دائما بإصدار قرارات صارمة ضد الموركسيين، والتي كانت في غالبيتها تضيق عليهم في جميع مناحي الحياة، نذكر منها على وجه الخصوص:

_ منع الموركسيين من التحدث باللغة العربية وارتداء اللباس العربي.

1 المقري، أزهار الرياض، ج1، ص69

2 نفسه، ص ص70،71

3 عنان، دولة الإسلام ع4، ص217

_أُجبر الموركسيين على ترك أبواب المنازل مفتوحة لتسهل مراقبتهم.

_ منعوا من عقد قرانهم على الشريعة الإسلامية وأجبروا على الزواج المسيحي.

_ غلقت بوجههم كل الحمامات ومنع الجميع من الاستحمام.

_ منعوا من تعليم الصغار للشعائر الإسلامية وإجبارهم على حضور القداس في الكنائس.

وفي ظل هذه الظروف الصعبة تنصر الكثير وقتل من امتنع وهاجرت القلة الباقية، يذكر لنا المقري ما جرى فيقول:"وبالجملة فإنهم تنصروا عن آخرهم بادية وحاضرة، وامتنع قوم عن التنصير واعتزلوا النصارى فلم ينفعهم ذلك... فجمع لهم العدو الجموع واستأصلهم عن أخرهم قتلا وسبيا"[1].

ورغم كل هذه المآسي التي مورست بحقهم والتنصير الذي فرض على الأغلبية منهم إلا أن الكنيسة كانت ترى فيهم خطرا على الأمة الاسبانية لا يزول إلا بالقضاء عليهم نهائيا، لذلك لجئوا إلى الطرد الذي كان الخيار النهائي في ظل تضارب الآراء في تحديد مصيرهم، ومن ذلك اقتراح المطران ربيرا المتعصب الذي قضى بأن يؤخذ المورسكيون رقيقا للعمل في السفن حتى يتم إفناؤهم[2]، في حين ذهب البعض الآخر إلى المبالغة في وجوب قتل الجميع دون استثناء، وفي الغالب كانت هذه الاقتراحات تجد معارضة من الملوك الإسبان، لكن مع مجيء الملك فليبي الثالث الذي اتسم بالضعف أمام الكنيسة أعاد المطران ربيرا طرح فكرة التخلص من المورسكيين، بنفيهم من البلاد إلى شمال إفريقية وبعض الدول المجاورة، معللا ذلك بالضرورة التي لا مفر منها حيث أصبحوا يشكلون خطرا على الأمة الإسبانية ووحدتها بسبب تكاثرهم وقلة أعداد النصارى[3].

---

[1] المقري، نفح الطيب، ج4، ص527

[2] عنان، دولة الإسلام ع4، ص394

[3] نفسه، ع4، ص396

وتنفيذا لهذه الإجراءات القاسية تعللت السلطات بالأسباب التالية بحق المرسكيين:

_ تآمرهم مع الإمبراطورية العثمانية بشمال افريقية ضد التاج الاسباني.

– تكاثرهم الديمغرافي السريع الذي وضع البلاد في اختلال يصعب التحكم فيه مستقبلا.

– أن طردهم يمثل الوحدة السياسية والدينية لإسبانيا.

منح المورسكيين مهلة قليلة لا تتجاوز الثلاثة أيام لكي يتمكنوا من تصفية أملاكهم، وبعدها يحق للسلطات الاسبانية تفعيل الإجراءات العقابية ضدهم بالتهجير القصري أو القتل لكل من يحاول المقاومة أو الاعتراض، وما إن بدأ الترحيل حتى أُخذ الأطفال من عوائلهم من أجل تنصيرهم وهم صغار انتقاما لفشلها في تنصير آبائهم من قبل، ثم قسمت العوائل إلى مجموعات صغيرة يسهل مراقبتها والتحكم فيها بعد أن تم تشتيت عرى القرابة بينهم[1].

ثانيا– معاناة الأندلسيين في بلاد المغرب:

تم تجميع المورسكيين على الشواطئ الإسبانية من أجل ترحيلهم إلى بلاد المغرب، لتبدأ معاناة أخرى تمثلت في قيام أصحاب المراكب بالسطو على ممتلكاتهم والرمي بمن يقاوم في البحر، ورغم أن المورسكيين لم يتمكنوا من حمل كل أملاكهم إلا ما سمح لهم به، إلا أن البحارة كانوا يرون أنهم يحملون الكنوز الكثيرة.

توافدت جموع كبيرة على بلاد المغرب الذي كان الوجهة المفضلة للكثير منهم منذ سقوط غرناطة وما تلاها، حيث "خرجت ألوف بفاس، وألوف أخر بتلمسان من وهران، وجمهورهم خرج بتونس"[2]، وقد فصل لنا صاحب أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر الأماكن التي ذهب إليها الموريسكيون، فيذكر أن من بقي من المسلمين في مالقة عقب سقوط غرناطة تفرقوا "فعبر أهل المرية إلى تلمسان، وعبر أهل الجزيرة الخضراء

[1] عنان، دولة الاسلام، ع4، ص397

[2] المقري، نفح الطيب، ج4، ص528

إلى طنجة، وعبر أهل رُنْدة وبسطة وحصن موجر وقرية الفردوس وحصن مارتيل إلى تطوان، وعبر أهل بيرة وبرجه وأندرسن إلى ما بين طنجة وتطوان، وعبر أهل بلش إلى سلا، وخرج الكثير من أهل غرناطة إلى بجايه ووهران وقابس وصفاقص وسوسة، وخرج أهل مدينة طريف إلى آسفى وازمور وغيرها[1].

ما كاد المورسكيون أن يهنؤوا بمغادرتهم لديار الكفر ووصولهم لديار الإسلام عبر كل مراحل هجرتهم حتى لاقى الكثير منهم التنكيل والقتل والطرد في مناطق متفرقة من بلاد المغرب، وعلى عكس الفترات الأولى من الهجرة لم يعد أهل المغرب يشعرون بالثقة تجاههم، بل إن البعض منهم سماهم بنصارى قشتالة لما كانوا يتصفون به في مظهرهم وسلوكهم ولغتهم، وهذا تفصيل لمعاناتهم منذ أن بدأت هجرتهم لبلاد المغرب.

تزايد عدد المهاجرين إلى بلاد المغرب الأوسط، ورغم أن وجودهم بمدينة الجزائر كان قليلا مقارنة بالمدن الأخرى إلا أن المشاكل حلت بهم منذ أن نزلوا بها، إذ أصابتها مجاعة كبرى، دفعت بأهلها إلى تحميل وزرها للمورسكيين الذين كان ينظر إليهم أنهم هم السبب فيما وقع، فتم طردهم منها في ثلاثة أيام ومن لم يغادر في هذه الفترة تم قتله، ولم يسلم من ذلك حتى المرضى[2]، أما في وهران التي كانت المحطة الأولى للمهاجرين ومنها إلى باقي المدن والحواضر الأخرى، كتلمسان وفاس فقد وقع بهم من التنكيل ما لا يمكن لعاقل أن يتصوره، إذ تسلط عليهم الأعراب ومن لا يخشون الله تعالى في الطرقات، ونهبوا أموالهم، ونجا القليل من هذه المعرة، وأما الذين خرجوا بنواحي تونس فسلم أكثرهم[3].

وقد كان من قدر الله أن من وصل منهم إلى فاس وجدوا المدينة وقد أصابها شدة عظيمة من الجوع والغلاء والطاعون، ففر الكثير منها بسبب ذلك ورجع البعض منهم

[1] مجهول، نبذة العصر، ص48
[2] رزوق، المرجع السابق، ص132
[3] المقري، نفح الطيب، ج4، ص528

إلى الأندلس، وقد أخبروا الناس بما رأوا فامتنع الكثير منهم عن العبور وعزموا على الإقامة والدجن[1].

ومن خلال الفتوى التي وردت في كتاب المعيار المغرب والجامع المغرب من فتاوى أهل الأندلس والمغرب والتي جاء فيها أن بعض الأندلسيون الذين هاجروا من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام قد ساءهم الحال، فندموا على ذلك بعدما وجدوا الحال غير الحال وقد ضاقت عليهم الدنيا بفعل قلة الأمن والضيق في طلب العيش، فأقر العديد منهم بالندم على المجيء إلى المغرب بل إن بعضهم أنكر الهجرة وطلب بان تكون الهجرة "من هنا إلى هناك وليس من ها هناك إلى هنا"[2]، ويقصد بذلك الهجرة من دار الإسلام إلى دار الكفر، وليس من دار الكفر إلى دار الإسلام، وبغض النظر عن أحقية هؤلاء وغيرهم ممن ساءت أحوالهم في هذه البلاد بما قالوا به، فإن هناك شيء أكيد في هذه الفتوى وهو أن أهل الأندلس الذين هاجروا إلى بلاد المغرب قد لاقوا من أصناف العذاب والمعاناة وقلة الأمن وضنك العيش ما دفعهم إلى القول بذلك.

مع شيوع خيبة الآمال لدى الموركسيين من الواقع المعاش في بلاد المغرب أقاموا على تأسيس كيانات وتجمعات عرفت لاحقا بمجموعات القراصنة التي عملت على تقوية نفوذها البحري بصناعة السفن والإغارة على السواحل الأوربية، الأمر الذي أدي بالحكومة الإسبانية إلى شن حملات تأديب ضدهم والاستيلاء على بعض الموانئ المغربية ما دفع بالمغاربة إلى اتهامهم بالتعاون مع الإسبان ضد المغرب[3].

وفي الفترة الأخيرة من هجرة الموركسيين للمغرب بعد الطرد النهائي لهم من اسبانيا تغيرت نظرة أهل المغرب لهم كليا حيث بدءوا ينظرون لهم على أنهم نصارى، وذلك بفعل التغييرات التي طرأت عليهم بداية من ملبسهم الذي أصبح يشبه كثيرا

[1] المقري، أزهار الرياض، ج1، ص68

[2] الونشريسي، المعيار، ج2، ص119

[3] القدوري عبد المجيد ، الموركسيون في المجتمع المغربي اندماج أم انعزال ؟، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية سلسلة الندوات الندوة الثانية، شفشاون 2000، ص87

اللباس النصراني ولغتهم التي كانت خليطا من العربية والإسبانية، وعاداتهم الاجتماعية بفعل الاختلاط الذي أصبحوا يعيشونه أثناء إقامتهم لحفلاتهم، ما حذى بالمغاربة إلى اعتبارهم نصارى وهم الذين كانوا قبل ذلك في نظر الإسبان مسلمين[1].

ولأن المورسكيين لم يكونوا في غالبيتهم من المسلمين لم يتسامح معهم أهل تطوان بالمغرب لعدم دخولهم للمساجد وإقامتهم لشعائر الإسلام وبقائهم على دينهم المسيحي، فكانت سمة الكره تجاههم بفعل اعتقادهم بالمسيحية، حتى صارت رغبتهم شديدة في العودة إلى إسبانيا ليموتوا مسيحيين[2].

وعبر كل مراحل الهجرة الأندلسية منذ سقوط غرناطة وحتى الطرد النهائي كان هناك تباين في الأسباب التي دفعت بهم للهجرة، فالمهاجرون الأوائل كانت ظروفهم تختلف كليا عن المهاجرين الذين جاءوا بعد الطرد، حيث أن أهل المغرب كانوا يرون في الأوائل مسلمين، في حين أن المهاجرين الذين جاءوا بعد الطرد اختلف حولهم الجميع بمن فيهم الأندلسيين أنفسهم، فعلى عكس الفترات السابقة لم يعد المغاربة يشعرون بالثقة تجاه المورسكيين الذين تم طردهم في المرحلة الأخيرة وصاروا يسمونهم بنصارى قشتالة[3].

وفي الأخير لا يسعني إلا أن آتي على ذكر الأعمال البشعة التي يذكرها لنا صاحب كتاب الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني فيما يرويه عن أبو راس الناصري في مؤلفه عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، والمسمّى أيضاً غريب الأخبار عمّا كان في وهران والأندلس مع الكفار من أن الأندلسيين الذين نزلوا بوهران في طريقهم إلى المناطق المجاورة كان نصيبهم من المعاناة الكثير، حيث تعرضت لهم

[1] قشتيليو محمد ، حياة المورسكيين الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها، ط1، مطابع الشويخ، تطوان2001، ص ص24،25

[2] هلايلي حنيفي ، الأندلسيون في كتابات أحمد المقري التلمساني أزهار الرياض ونفح الطيب نموذجا، مجلة التراث العربي ، جامعة سيدي بلعباس1997، ص186

[3] القدوري، المرجع السابق، ص85

بعض القبائل العربية ومنها قبيلة هبرة ونهبت أموالهم وبقرت بطونهم ضنا منهم أنهم يخفون المجوهرات في بطونهم[1].

وهنا يجب الإشارة إلى أن العديد من المؤرخين العرب يشككون في صحة هذه الرواية وينفون وقوع هذه الأحداث جملة وتفصيلا لأن المستشرقين يأخذون بها ويستدلون على ذلك بقسوة المعاملة التي عاشها الأندلسيون في المغرب ككل، لكن أرى أن ذلك فيه نوع من المبالغة التي لا ترقى إلى دليل، فأصل هذه الرواية جزائري وليس من مصدر خارجي أو أجنبي يمكن التشكيك فيه.

هنا نتكلم عن الفقيه العالم المؤرخ محمد أبو راس بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن الناصر بن عبد الله بن عبد الجليل الذي أورد هذه الرواية، وهو من العلماء الأجلاء الذين ليس لهم من مصلحة في ذكر هذه الأخبار التي تسيء للمسلمين أكثر مما تفيدهم.

ثم إن الأحداث التي وقعت بعد ذلك من غزو القبائل العربية لقبيلة هبرة وتأديبها عقابا لما فعلته بأهل الأندلس خير دليل على وقوع هذه الأفعال المشينة، يضاف إلى ذلك أن المهاجرين الأندلسيين الذين جاءوا بعد الطرد كانت كل مظاهر حياتهم توحي بأنهم نصارى بداية من الملابس التي كانوا يرتدونها والتي كانت في غالبيتها تشبه الملابس الاسبانية، واللغة التي كانوا يتكلمون بها كانت خليط من العربية والاسبانية أو ما يعرف بالقشتالية، وحتى العادات التي كانوا يمارسونها كانت تشبه العادات النصرانية، كل هذه المظاهر جعلت من القبائل العربية لا تفرق بينهم وبين النصارى، ما جعلهم يقومون بتلك الأعمال، وعلى العموم فقد عبر المقري عن الذين حالفهم الحظ ونجوا من هذه

---

[1] ابن سحنون أحمد بن محمد بن علي الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتعليق: المهدي البوعبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2013، ص31، الكتاني، المرجع السابق، ص180

الأحداث المؤلمة التي اعتبرها معرة بحق من فعلها ولا تمتّ إلى الإسلام بصلة بقوله "ونجا القليل من هذه المعرة"[1]. لذلك أرى أن إنكار هذه الأحداث ليس فيه ما يبرره.

ثالثا- معاناة الأندلسيين بفرنسا

في فرنسا التي وصلتها أعداد لا بأس بها من الموركسيين قوبلت هجراتهم الأولى بنوع من الترحيب الممزوج بالحذر، ذلك أن الموركسيين كانوا قد اقترحوا على الملك أنريكي الرابع في أثناء حكم فليبي الثاني لإسبانيا بأن يضعوا تحت تصرفه جيشا لمحاربة الإسبان، وهو الأمر الذي استغله الفرنسيون كأوراق ضغط ضد حكام اسبانيا[2]، لكن سرعان ما تغيرت الأحوال بعد ذلك حيث حدث مع الموركسيين بفرنسا نفس الأمر الذي حدث معهم في بلاد المغرب حينما اشتد على أهلها الجفاف وشحت الأمطار وعانى الأهالي من الجفاف، فحمّلوا الموركسيين سبب ذلك وأمروا بطردهم من البلاد عقابا لهم[3]، ليدخل الموركسيون بعدها في معاناة مع القرارات الجائرة التي أصدرتها الحكومة الفرنسية بحقهم، بداية من التضييق عليهم من خلال الحد من انتقالهم إلى مدن الشمال وتحديد استقرارهم بالمناطق الجنوبية فقط لحين ترحيلهم إلى خارج البلاد، على أن أي معارضة للقرارات يعاقب صاحبها بأشنع العقوبات التي كانت شائعة في القرون الوسطى والمتمثلة في العمل بالتجديف على متن السفن التي تعمل في البلاد البعيدة، إلا أن بعض المسؤولين المحليين بالغوا في تنفيذ العقوبات التي وصلت حد القتل لكل من يرفض تنفيذ قرارات الترحيل[4].

لا حقا وبعد أن تفشت الأمراض في أوربا تغيرت المعاملة تماما لما كان ساريا العمل به من قبل حيث منع الموركسيون من دخول الأراضي الفرنسية تماما، وحتى السفن

[1] المقري، نفح الطيب، ج4، ص528

[2] بشتاوي، الأندلسيون المواركة، ،ص168، جمال الدين عبد الله محمد ، المرجع السابق، ص394

[3] رزوق، المرجع السابق، ص132

[4] دومينغيز أنطونيو هورتز وبرنارد بنثنت، تاريخ مسلمي الأندلس الموركسيون حياة...ومأساة أقلية، ترجمة عبد العال صالح طه، ط1، دار الإشراق للطباعة والنشر، الدوحة قطر 1988، ص272

التي وصلت إلى المراسي الجنوبية اتخذت السلطات هناك إجراءات غير آدمية ضد المرضى حيث قامت باستئجار بعض السفن ونقلت كل المصابين إلى السواحل الإفريقية، وفي طريقهم تعرضوا لكل أنواع النصب والاحتيال والسرقة والقتل ونهبت أموالهم وأمتعتهم، كما كانوا فريسة سهلة للبحارة الذين كانوا يرمون بهم في البحر طعاما للأسماك التي سميت لاحقا بأسماك الغرناطي والتي أصبح الأوربيون يمتنعون عن أكلها[1].

ومن بقي من المورسكيين بفرنسا عوملوا معاملة سيئة حيث أجبر الكثير منهم على ممارسة الأعمال الشاقة التي لا يعمل بها عامة الناس من الفرنسيين، وهنا نورد رسالة لأحد الموركسيين الذي كان بمرسيليا وفر منها لشدة ما رأى من الأهوال إلى الجزائر حيث يقول: "ولأن السادة هناك يريدون استغلالنا واستخدامنا في الزراعة والمهن الدنيئة ...لذلك أتينا إلى مدينة الجزائر"[2].

على أن الأعداد الأخرى التي بقيت هناك تنافست عليها الجماعات التبشيرية الكاثوليكية والبروتستانتية لضمهم إليها، وبسبب الحاجة الماسة التي كان الموركيون يحتاجونها من أجل إنقاذهم من الأهوال التي عايشوها وافق الكثير منهم على قبول المساعدة التي قدمت إليهم، حتى وإن كانت تتعارض مع معتقداتهم التي ثبتوا عليها طوال مكوثهم بإسبانيا مظهرين في ذلك تبعيتهم لهذه الجماعات فقط من أجل مصالح آنية إلى حين تجلي الأوضاع، لإن تحول الموركيين من الإسلام إلى البروتستانتية لا يزيد أن يكون حادثا عابرا في مهجرهم، ذلك أن البابا في إيطاليا عندما علم بأن أحد النساء الموركيات اللائي رفضن النطق بالشهادة النصرانية عند موتها عمل على طرد الجميع من البلاد[3].

---

[1] دومينغيز، المرجع السابق ص273

[2] نفسه، ص275

[3] نفسه، ص274

رابعا- معاناة الأندلسيين في أمريكا:

أما في أمريكا فقد كانت المعاناة مختلفة تماما عما كان ببلاد المغرب وفرنسا، حيث أن السلطات الإسبانية هي التي كانت تتابع الموركسيين هناك وتقوم على التنكيل بهم وإعادتهم إلى محاكم التفتيش، ليتم الحكم عليهم من جديد بالقتل أو السجن مدى الحياة، وبالرغم من كل الاحتياطات التي وضعتها السلطات الاسبانية في حق من يحق له الهجرة إلى العالم الجديد، حيث أصدر الملك شارل الخامس مرسوما سنة (928هـ-1522م) يمنع بموجبه دخول منطقة الهنود (أمريكا) على كل الأشخاص حتى الذين اعتنقوا الديانة المسيحية حديثا[1]، وهو يقصد بهم العرب الذين تركوا ديانتهم وتمسحوا، ذلك أن اسبانيا كانت قد اتبعت الانتقائية في تعاملها مع المجموعات الأخرى التي تخالفها العقيدة أو التي تشك في عقيدتها إلا من ثبت بالدليل أن عقيدته مسيحية أبا عن جد، ورغم كل هذا التشديد فقد استطاعت العديد من الجاليات العبور إلى العالم الجديد نتيجة:

_فساد الدوائر التي كانت تسمح لهم بالهجرة مقابل الرشاوى التي كانت تدفع لهم، أو التنازل عن أملاكهم بإسبانيا، والتي استعمل جزءا منها في بناء الأديرة[2].

_اضطرار المكتشفين الجدد للقارة لليد العاملة الموركسية خاصة بعد أن ساءت العلاقة بينهم وبين أصحاب الأرض الأصليين من الهنود.

_اصطحاب بعض المرشدين من المسلمين المتمرسين في علوم البحار الذين تظاهروا بالنصرانية للهروب من محاكم التفتيس.

بعد وصولهم إلى هناك بدؤوا في ممارسة بعض الشعائر الإسلامية ظنا منهم أن محاكم التفتيش لن تصل إليهم وهم في هذه البلاد، وما إن وصلت الأخبار التي تفيد بوجود بعض الجاليات الموركسية التي تعمل على إحياء تراثها المحمدي، حتى أرسل

---

[1] كارديناك، المرجع السابق، ص 147

[2] دومينغيز، المرجع السابق، ص302

الملك شارل الخامس تعليمة إلى رؤساء الأحبار بأمريكا تطالبهم التأكد من هوية المهاجرين والبحث عن أي عربي ومعاقبته وإعادته إلى السلطات بإسبانيا لتتم محاكمته من قبل محاكم التفتيش، لأنهم يعيقوا انتشار الدين المسيحي ويساعدوا على دخول الدين المحمدي هناك[1]، (الإسلام)

مع علم السلطات بإسبانيا بوجود أعداد كبيرة من الموركسيين هناك تم تأسيس ديوان التحقيق بأمريكا لكي تسهل عملية مطاردة الموركسيين وكل الدعاة الآخرين القائمين على نشر الديانات الأخرى، وبذلك تبدأ مرحلة أخرى من المعاناة مع هذه الدواوين التي نفذت ضدهم أحكاما دموية تمثلت في إعدام وإحراق واستعباد الآلاف منهم، فقد تم حرق رجل يدعى ألفارو غونزاليت من طرف محاكم التفتيش بعد أن اكتُشف أنه من أتباع الطائفة المحمدية وكان ذلك سنة(967هـ- 1560م)[2]، ثم أصبحت الوشاية من طرف بعض الأشخاص الذين كلفتهم محاكم التفتيش بتتبع الوافدين والمهاجرين القدامى، ليجد الموركسيون أنفسهم من جديد في صراع مع المحاكم وهم الذين فروا من اسبانيا اتقاءا لشرها، لأنها كانت تأخذ الناس بالشبهات لكل من يعارض منهجها حتى من المسيحيين أنفسهم، ومن ذلك ما وقع مع رئيس أساقفة غواتيمالا فرنسيسكو ماروكان الذي اتهم بأن جذوره مشكوك فيها وأن أصوله موركسية لتتم الإطاحة به[3].

لقد عاش الموركسيون أكثر من غيرهم عبر كل مراحل حياتهم المآسي والمعاناة التي تفنن المسيحيون الإسبان في تنفيذها ضدهم وهم الذين كانت كل أمانيهم بعد سقوط آخر معاقل الإسلام بشبه الجزيرة الأيبيرية البقاء في البلاد التي ولدوا فيها والتي لا يعرفون غيرها، لكن قضاء الله وقدره كان قد سبق فلاقوا من أصناف العذاب في سبيل دينهم وبلدهم وممتلكاتهم ما لا يستطيع أي بشر أن يتحمله، فقد طرق بهم من الخطب

[1] كاردياك، المرجع السابق، ص 149
[2] دومينغيز ، المرجع السابق، ص270
[3] كاردياك، المرجع السابق ،ص 164

ما لم يوجد في سالف الدهر، فكان لزاما عليهم إما الرحيل إلى البلدان المجاورة أو البقاء هناك والدخول في ملة النصارى، وحتى الذين اختاروا البقاء كان السلطات تعاملهم على أساس أنهم مواطنون من الدرجة الثانية لشكها في عقيدتهم وانتمائهم، لذلك عملت عبر كل المراحل على استئصالهم من البلاد فكان الطرد الحل النهائي لوجودهم بإسبانيا.

ولم تنتهي معاناتهم بذلك الطرد بل وجدوا في البلاد التي هاجروا إليها من البؤس والفقر والمرض وسوء المعاملة ما جعل الكثير منهم يراجع كل حسابات الرحيل والعودة إلى اسبانيا، وأصبحوا بذلك بين نار البقاء والتحول إلى المسيحية والاستعباد أو الهجرة وتحمل الصعاب ومكابدة المخاطر، ولم تكن المخاطر وحدها ما كان يعانيه الموركسيين الفارين من اسبانيا، بل كانت محاكم التفتيش جزءا من هذه المعاناة خاصة في أمريكا التي كانت تسيطر عليها اسبانيا والبرتغال، وعلى العموم لم يسلم الموركسيون من المعاناة أينما حلوا وارتحلوا حتى في البلاد العربية التي كانت بالنسبة للكثير منهم الامتداد الطبيعي للأندلس والحاضنة الإسلامية بفعل روابط الدين واللغة وغيرها من العوامل التي تجمع المسلمين ولا تفرقهم.

المبحث الخامس:

انعكاسات الهجرة الأندلسية على إسبانيا

ما من شك في أن إخراج الأندلسيين من اسبانيا كان له الأثر الإيجابي في النفوس، ذلك أن الحكومة الاسبانية استطاعت أن توحد البلاد سياسيا ودينيا، واستولت على كل الممتلكات التي كانت بيد الأندلسيين، لكن هذا الصدى الإيجابي سرعان ما تلاشى بفعل فقدان العناصر النشيطة التي غادرت البلاد تاركة وراءها الخراب الذي نتج عنه قلة الإنتاج الزراعي وكساد التجارة وركود الصناعة وتناقص السكان.

مع تساقط الحواضر الإسلامية تباعا بيد الإسبان تلاشت كل مقومات الدولة، التي كانت مكوناتها البشرية المتحضرة محور الاقتصاد والفن والثقافة والعمود الفقري في تطور الأندلس عبر كل عصوره، ومع خروجها حملت كل صنائعها وفنونها وبذلك فقدت اسبانيا أهميتها في جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية، وتضررت كثيرا بفعل الفراغ الذي تركه المهاجرون بها، وانحدرت في أتون الظلام وتدهورت حالتها.

رغم أن الكثير من الأندلسيين بقوا ببلادهم إلا أن هجرة الأغنياء والرؤساء وأصحاب الحرف وبعض رجال الدين أول الأمر تاركين وراءهم الضعاف من العمال والمزارعين وأهل المدن[1]، قد قضى على فنون كل الحواضر من طليطلة إلى اشبيلية حتى غرناطة حيث خُربت المدائن وحل البؤس وعمت الفوضى وانحطت اسبانيا بعد خروج العرب منها[2]، ورغم أن تأثير الهجرة على اسبانيا كان تدريجيا موازاة مع سقوط المدن، حيث سمح الإسبان للمدجنين بالبقاء في البلاد لمعرفتهم بأن في بقائهم من الفائدة ما يجعلها تتغاضى عن ترحيلهم، ذلك أن الضرورة الاقتصادية حتمت عليهم الإبقاء على الكثير

---

[1] ابن الأبار، الحلة السيراء، ص37

[2] عنان، دولة الإسلام ع4، ص432

منهم لخدمة الأرض والقيام بالأعمال التي يأنف منها الإسبان[1]، وحتى في الفترات اللاحقة عندما همت السلطات بإخراج من بقي من المدجنيين من أماكن إقامتهم خرجت جماعات من الأشراف والنبلاء ليعارضوا هذا الإجراء، ليس حبا فيهم ولكن خوفا على مصالحهم وأعمالهم، وقد أدى ذلك إلى الموافقة على إبقائهم شريطة تحولهم عن دينهم ودخولهم في المسيحية[2]، إلا أن خروج المسلمين منها بعد سقوط غرناطة وما تلاها من الطرد وحتى بداية القرن السابع عشر كان له من التأثير ما جعل عظمة اسبانيا تهتز في نظر سادتها، وهنا يقول الكاردينال زمينز عن هجرة المسلمين من بلاده "إنهم يفتقدون إلى ديننا، ولكننا نفتقد إلى فنونهم"[3].

مع سقوط غرناطة تسارعت الأحداث وبدأ حكامها الجدد في طرد العرب منها وهم لا يعرفون أنهم بفعلهم هذا قد أقدموا على إدخال بلادهم في أتون الظلام الذي لن يخرجوا منه بعدما كانت هذه البلاد سلة أوربا ومركز إشعاع للحضارة ومنبرا للفنون والعلوم عبر كل تاريخها.

انخفض مردود الإنتاج الفلاحي بإسبانيا كثيرا نظرا للظروف التي واجهتهم بفعل هجرة اليد العاملة المختصة في هذا المجال، فخربت الضياع الكبيرة برحيل أهلها ومن يعمل بها وحل شبح الجوع بمن بقي بها من النصارى رغم كل الإجراءات التي قامت بها السلطات هناك، فهذه بلنسية التي كانت حديقة اسبانيا الغناء وتحمل المتعة إلى الأبصار وهي التي قلما يسقط المطر بها، إلا أن سكانها كانوا يستخدمون مياه الينابيع المنقولة بواسطة قنوات ضيقة من الآجر لري حدائقهم التي ظلت معظم وقتها مغطاة بالشجر والحشائش والعنب، وقد استحالت إلى قفر جاف وموحش وبدا بها شبح الجوع

---

[1] الحجي، المرجع السابق، ص534

[2] عنان، دولة الإسلام ع4، ص353

[3] بشتاوي، المرجع السابق، ص290

الداهم بالرغم من أنه جيء بالكثير من السكان إليها ليعملوا مع من بقي من المسلمين هناك في خدمة الأرض[1].

حتى المدن التي كانت إلى وقت قريب تكتظ بالسكان والصناع والمهرة والتجار خوت وذهب مجدها، فهذه مدينة برغش التي عمرت بفضل تجارتها بالصوف القشتالي فقدت معظم سوقها ومدينة شقوبية التي اشتهرت بصناعة الملابس الجميلة انتهت إلى غور شديد، وعجز كبار الملاك والنبلاء عن تسديد الضرائب المفروضة عليهم وأعلنوا إفلاسهم[2].

رغم أن الحكومة منحت كل السكان الجدد أضعاف ما كان يملكه الموريسكيون من الأراضي إلا أن الإنتاج قل بسبب قلة اليد العاملة المتخصصة في مجال الزراعة، فزاد لهيب الأسعار بشكل مفرط وقلت المعاملات التجارية حتى أن أحد الرهبان قال في الوضع الصعب الذي آلت إليه إسبانيا بعد الموريسكيين "إنها كانت تدبيرا أملته التقوى المسيحية ، لكن فيما هو دنيوي هناك حاجة كبيرة إليهم، لأن أصحاب الأراضي لا يجدون من يعمل بها ولذلك فهم يمرون بحالة فقر مدقع"[3].

أصبحت البلاد كلها مرتعا لقطاع الطرق و اللصوص الذين مُلئت بهم القرى والمدن المهجورة وصارت هذه البلاد بعد ما كانت أيام العرب في أبهى مجدها أضحت اليوم مكانا للبؤس والانحلال[4]، وتضررت اسبانيا كليا من هذه الهجرة حيث اندثرت الصناعات التي كانت قائمة في البلاد أيام العرب، كصناعة الأسلحة بسرقسطة وصناعة الحرير والورق وغيرها من الصناعات التي قال فيها أحد المؤرخين أن أسوأ شيء هو أنه بذهابهم افتقدنا شعبا كادحا وذكيا ومدربا على المهارات النافعة، وبمعنى

---

[1] عنان، دولة الإسلام ع4، ص420

[2] بشتاوي عادل سعيد ، الأمة الأندلسية الشهيدة (تاريخ 100عام من المواجهة والاضطهاد بعد سقوط غرناطة)، ص351

[3] دومنغيز، المرجع السابق، ص255

[4] عنان، دولة الإسلام ع4، ص431

آخر طبقة العمال الأكثر دفعا للضرائب[1]، وحتى الصناعات التي عرفت الازدهار في السابق تكاد تتعرض اليوم للدمار، فعوض عن اشتغال الإسبان بتصنيع إنتاجهم من الصوف والحرير كما في السابق، راحوا يصدرون تلك المواد إلى دول أخرى مثل هولندا وفرنسا وانجلترا من أجل تصنيعها والعودة إليهم بأسعار مرتفعة[2].

الحقيقة أنه بخروج المسلمين من الأندلس لم تتح الفرصة للمؤرخين في تداول تبعات هذا النزوح وانعكاساته على اسبانيا، بفعل التعتيم الذي مورس في وقته والذي كان لا يُسمح بموجبه إلا بتمجيد الانتصارات المسيحية على المسلمين دونما ذكر لتبعات هجرتهم على المدى القريب والبعيد، وحتى بعد الطرد الذي مورس بحق من بقي من الموريسكيين بعد سقوط غرناطة لم يسمح بسماع الأصوات المعارضة لهذا العمل الشنيع ولا لآثاره المدمرة على البلد برمته، في حين كان للأصوات المؤيدة الكلمة العليا، ذلك أنها كانت تؤيد ما قامت به السلطات من مبدأ التخلص من المسلمين الذين كانوا في نظرهم من الغرباء الذين امتصوا خيرات بلادهم.

ومع بروز جيل جديد من المؤرخين المتحررين بدأ التطرق للمأساة برمتها ولتبعاتها وهنا يقول الكاتب ستانلي لين بول تعقيبا على ما أنزله الإسبان بالمسلمين من مذابح وتهجير بعد أن انتصروا عليهم في غرناطة: "لكن الإسبان لم يدركوا أنهم قتلوا الإوزة التي تبيض بيضة من ذهب في كل يوم، فقد بقيت إسبانيا قرونا في حكم العرب، الذين كانوا مركز ومنبع الفنون والعلوم، والذي لم تصله أي مملكة في أوربا، لقد بقيت حضارة العرب إلى حين بعد خروجهم من اسبانيا وضاءة لامعة، ولكن ضوءها كان يشبه ضوء القمر الذي يستعير نوره من نور الشمس، وعقب ذلك كسوف بقيت بعده اسبانيا تتعثر في الظلام"[3].

---

[1] ميغيل أنخيل بونيس إيبارا، الموريسكيون في الفكر التاريخي، ترجمة ومراجعة: وسام محمد جزر و جمال عبد الرحمان، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2006، ص114

[2] بشتاوي، الأندلسيون المواركة، ص195

[3] بشتاوي، الأندلسيون المواركة، ص197، بشتاوي، الأمة الأندلسية، ص353

لا شك في أن الأندلسيين خلفوا وراءهم تراثا علميا وأدبيا وفنيا ينذر أن تجده في كل دول أوربا التي كان شبابها من الموهوبين لا يعرفون إلا اللغة العربة لغة للعلم والأدب، ويقبلون عليها في نهم كبير لعلمهم بضحالة ما كان عندهم من العلوم، فكانت هذه البلاد محط أنظارهم باعتبارها مصدرا للحضارة ومقصدا لطلاب العلم، الذين نقلوا كل ما وقع تحت أيديهم من العلوم والمعارف الإسلامية التي خلفها المسلمون في مجال الآداب والعلوم والطب والرياضيات والفلك إلى لغاتهم.

ولأن فضل العرب والمسلمين في ميدان الحضارة لم يقتصر على أنفسهم فقد كان لهم الأثر البالغ على أوربا التي تبنت أفكارهم عبر بوابة الجامعات الأوروبية التي أُسست وكانت سببا في عملية التغيير الحضاري الذي شهدته أوروبا في نهضتها في العصور الحديثة في كافة الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفكرية، وبذلك بدأت حضارة أوربا وانطلقت من حيث انتهت الحضارة الإسلامية.

الفصل الثاني:

الإسهامات الحضارية للمهاجرين الأندلسيين ببجاية

المبحث الأول: العائلات الأندلسية التي هاجرت إلى بجاية

المبحث الثاني: إسهامات الأندلسيين في المجال السياسي

المبحث الثالث: إسهامات الأندلسيين في المجال الثقافي

المبحث الرابع: إسهامات الأندلسيين في المجال الاقتصادي

المبحث الخامس: إسهامات الأندلسيين في المجال الاجتماعي

المبحث السادس: إسهامات الأندلسيين في المجال الفني

200-106

تمهيد

تأسست الدولة الحمادية المحدثة من ملوك صنهاجة أصحاب قلعة أبى طويل، والتي تعرف بقلعة حماد، والتي كان سبب بنائها أن العرب لما دخلوا إفريقية أفسدوا القيروان وأكثر مدن إفريقية، فلما نجا المنصور إلى القلعة نزلت عليه جيوش العرب وضيقوا ببلاده فكان يصانعهم حتى ضاق بهم ذرعا، وكان لا يقدر على التصرف في بلاده فطلب موضعا يبنى فيه مدينة لا يلحقه فيها العرب فدل على موضع بجاية الذي كان يشكل سدا منيعا في وجه الغزاة وقد قال فيها الشاعر:

بجاية كلها عقاب ... حل لمن حلها عقاب[1].

فلم يكن للعرب إليها سبيل حين بناها المنصور وسماها المنصورية وانتقل ملكه من القلعة إلى بجاية واتخذها دار مملكته[2]، وهي اليوم مدينة عظيمة على ضفة البحر، والبحر يضرب في سورها، تحط فيها سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم، وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر وبلاد اليمن والهند والصين وغيرها حتى صارت قاعدة الغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد[3].

لم يكن لها من مقومات الدولة إلا النزر القليل لكن ظهور العنصر الأندلسي بها أسهم بشكل كبير في تشكيل معالمها بعد أن التجأ إليها العديد من الأمراء والعلماء والعوائل الكبرى وبعض البحارة الذين استهوتهم المدينة لما كانت تتمتع به من جمال المنظر وبديع الزمان وقد تغنى بها بعضهم قائلا:

دع العراق وبغداد وشامهـــــــا فالناصرية ما إن مثلها بلـــــــد
بر وبحر وموج للعيون بــــــــه مسارح بان عنها الهمّ والنكـــد
حيث الهوى والهواء الطلق مجتمع حيث الغنى والمنى والعيشة الرغد

---

[1] الحميري، الروض المعطار، ص81

[2] مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، بغداد1986، ص128،129، الحموي، المصدر السابق، مج1، ص339

[3] الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص260

والنهر كالصل والجنات مشرفـــة والنهر والبحر كالمرآة وهو يــــد

فحيثما نظرت راقت وكل نـــــــوا حي الدار للفكر للأبصار تتقــد

أن تنظر البر فالأزهار يانعـــــــة أو تنظر البحر فالأمواج تطــرد

يا طالبا وصفها أن كنت ذا نصف قل جنة الخلد فيها الأهل والولد[1].

إن اعتماد الحماديين على الأندلسيين في العديد من مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها، جعل هذه الفئة تتبوأ المناصب العليا في الدولة وذلك لما يتمتعون به من سبق علمي يؤهلهم لتسيير شؤون البلاد بفضل كفاءاتهم ومهاراتهم التي كانوا يتمتعون بها، وقد برز دورهم أكثر من ذي قبل وزاد نفوذهم مع تزايد أعدادهم التي ظهر معها مصطلح الجاليات الأندلسية التي سيطرت على جميع مناحي الحياة، وأصبحت تنافس الموحدين في تسيير شؤون البلاد والعباد.

لم تكن الهجرة للاستقرار السبيل الأوحد لتنقل الأندلسيين من بلادهم إلى بجاية بل كانت هناك رحلات للحج وأخرى لطلب العلم، ولأن بلاد المغرب لابد للحاج ولطالب العلم المرور بها لكل قاصد بلاد المشرق، نجد أن الكثير من أهل الأندلس مروا بها، وفي أثناء عبورهم التقوا بالكثير من مشايخها فتعلموا على يدهم ونالوا شرف الإجازة منهم، "لأن السّبب في ذلك أنّ البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليما وإلقاء وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة، إلّا أنّ حصول الملكات عن المباشرة والتّلقين أشدّ استحكاما وأقوى رسوخا، وعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها"[2]، ولأن طلبة العلم لا تنتهي مسيرتهم في بلدانهم فقد وجب على الكثير منهم الرحلة سعيا منهم للوصول إلى الحواضر الكبرى سعيا في الحصول على المزيد والتكريم بالإجازة التي تكون بمثابة الشهادة العلمية التي تسمح لكل طالب علم بأن يكون في مصاف كبار العلماء والمدرسين، فقد أصبحت

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص ص334،335

[2] ابن خلدون، مقدمة، ص ص744،745

بجاية حاضرة ذات صيت تُشد إليها الرحال من طلبة العلم من جميع البلاد لأنها مدينة تساعد على طلب العلم ، لما كان فيها من كبار العلماء الذين تميزوا بغزارة التحصيل حتى أصبحوا حجة في العلوم النقلية والعقلية، ومنهم من انتهت إليه رياسة التدريس والفتوى في أقطار المغرب كلها[1].

استقطبت المدينة الكثير من أهل الأندلس إلا أن المصادر التي ذكرتهم لم تأتي على التفصيل في ذلك، وقبل التطرق إلى أهم الأعلام الذين هاجروا إليها يجدر بنا التطرق إلى أهم العائلات التي انتقلت من الأندلس إلى بجاية وأسهمت بشكل كبير في نهضة المدينة بعد أن استقر الحال بالغالبية منهم بها.

[1] ابن مريم أبي عبد الله محمد بن محمد ابن احمد، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر 1908، ص66

المبحث الأول:

العائلات الأندلسية التي هاجرت إلى بجاية

يقصد بالعائلات تلك الأسر الكبيرة وأهل البيوت من الأندلسيين التي برز الكثير من أفرادها في علم أو فن ونالت به الفخر والجاه وتبوأ الكثير منهم مناصب رفيعة، وأوجدوا لأنفسهم مكانا داخل بلاط الحكم، فكانت لهم بصمات في جميع مناحي الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والفنية، نأتي على ذكرهم فيما يلي.

أولا- عائلة ابن حمدون:

تعتبر عائلة علي ابن حمدون أو العائلة الحمدونية التي ترجع أصولها إلى مدينة إلبيرة[1] بالأندلس من بين العوائل الأندلسية الكبيرة التي هاجرت في وقت سابق نهاية القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي إلى المغرب الأوسط واستقرت ببجاية[2]، إلى حين بلغت دعوة أبا عبد الله الداعي[3] بلاد افريقية، وحين استقر لهم الحكم اقتطعوا لهذه العائلة مدينة المسيلة، لكن سرعان ما ساءت العلاقات مع الفاطميين الأمر الذي اضطرهم العودة إلى الأندلس[4]، إلا أن الفرع الثاني من هذه العائلة ظهر في بجاية وكان له دور كبير في تسيير شؤون الدولة الحمادية وهو ما نقف عليه في رسالة أبي جعفر بن عطية التي أرسل بها إلى شيوخ وأعيان قسنطينة وبجاية بعد نجاح ثورة الموحدين (514هـ-1121م) حيث نجد ذكرا لأبو محمد ميمون بن علي بن حمدون حينما زحف الموحدون على بجاية وهي في حالة اضطراب وتفكك، وكان ملكها يحيى ابن العزيز بالله أميراً ضعيفاً، كان وزيره القائد أبو محمد ميمون بن علي بن حمدون هو حاكمها الحقيقي، فلما وصل الموحدون إلى بجاية وضربوا حولها الحصار، اتصل ابن

[1] إلبيرة: مدينة بين القبلة والشرق من قرطبة، بينها وبين قرطبة تسعون ميلا. الحموي، المصدر السابق، ص244

[2] ابن حيان القرطبي أبي مروان ، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمان علي الحجي، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت لبنان1965، ص33

[3] أبو عبد الله الداعي: صاحب الدعوة إلى عبيد الله الشيعي. ابن عذارى، المصدر السابق، ص152

[4] ابن حيان، المصدر السابق، ص38

حمدون سراً بعبد المؤمن، وفتح له أبواب المدينة، فدخلها، وعقب هذا الفتح انضم إليهم، وخدمهم هو وأخوه الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي بن حمدون[1].

ثانيا- عائلة ابن سيد الناس:

يذكر ابن خلدون أنه: "لما تكالب الطاغية على العدوة والتهم ثغورها واكتسح بسائطها، وأشف إلى قواعدها وأمصارها، أجاز الأعلام وأهل البيوت إلى أرض المغربين وافريقية ...فلما رأى الحافظ أبو بكر اختلال أحوال الأندلس وقُبح مصايرها، وخفة ساكنها أجمع الرحلة عنها إلى ما كان بتونس، لما كان له من صلة بالأمير أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص وبنيه من بعده"[2]، وكان ممن اصطنعهم وألقى عليهم رداء محبته وعنايته أحمد بن أبي بكر بن سيد الناس اليعمري، وأخوه أبو الحسين لسابقة رعاها لهما، وذلك أنّ أباهما أبا بكر بن سيد الناس، كان من بيوت إشبيليّة.

كان أبو بكر هذا عالم المغرب، وقد ذكره القاضي عز الدين الشريف في وفياته فقال: "كان أحد حفاظ الحديث المشهورين وفُضلائهم المذكورين وبه ختم هذا الشأن بالمغرب، انتقل إلى حصن القصر ثم إلى طنجة وأقرأ بجامعها وأم وخطب به ثم انتقل إلى بجاية فخطب بجامعها الجديد وصلى به وتصدى لإسماع الحديث"[3].

روى بها وأقرأ وأسمع، وكثر الآخذون عنه والسامعون منه والمقتدون به، ولما اشتهر حاله وعلمه ونقل الناقلون ذكاءه وفهمه، انتهي خبره إلى المستنصر بالله بحاضرة

---

[1] مجموع رسائل موحدية، اعتنى بإصدارها: لافي بروفنصال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية،الرباط 1941، ص20، عنان، دولة الإسلام، ع3، ص282

[2] ابن خلدون، العبر، ج6، ص438

[3] ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل والتكملة، س5، ق1، ص ص653،658، الذهبي أبو عبد الله شمس الدين محمد، تذكرة الحفاظ، وضع حواشيه: زكريا عميرات، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 1998، ص ص161،162، التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامسة، ط1، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس1989، ج1-2، ص381، ابن مخلوف محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة1349هـ، ص ص194،195

إفريقية رحمه الله فاستدعاه، وقرب مثواه[1]، يُذكر أنه استظهر ستة آلاف حديث بأسانيدها[2].

نشأ بنوه في كنف الدولة إلا أنهم عدلوا عن منهج أبيهم واختاروا العمل بالقصر عند السلطان، وهو ما نقف عليه في قول ابن خلدون: "وعدلوا عن طلب العلم إلى طلب الدنيا، وتشوّقوا إلى مراتب السلطان، واتصلوا بأبناء السلطان أبي إسحاق بمكانهم من حجر القصر حيث أنزلهم عمهم بعد ذهاب أبيهم، فخالطوهم واستخدموا لهم"[3].

عمل أحمد بن سيد الناس بالحجابة لدى الأمير أبي فارس أثناء ولايته للعهد ببجاية، ولما استولى السلطان على الأمر ورشّح ابنه أبا فارس للعهد، وأجراه على سنن الوزارة اصطنع أحمد بن سيّد الناس، ونوّه باسمه وخلع عليه ملبوس كرامته، واختصه بلقب حجابته[4]، في حين عمل محمد بن أبي الحسين بن سيد الناس حاجبا لدى السلطان أبو يحي بعد أن أشار إليه في ذلك جد ابن خلدون محمد بن خلدون[5]، فاستولى أبو الحسين بن سيّد الناس على الدولة ببجاية، وقام بأمر مخدومه أحسن قيام، وصار إلى الحلّ والعقد وانصرفت إليه الوجوه وتمكّن في يده الزمام، إلى أن هلك سنة تسعين وستمائة وهو وأقرب من صاحبه مكانا وشرفا[6].

ثالثا- عائلة ابن خلدون:

أصل هذه العائلة من إشبيلية انتقلت عند الجلاء وغلبة ملك الجلالقة ابن الأدفونش عليها إلى تونس في أواسط المائة السابعة، ويعتبر الجد الثالث[7] لابن خلدون أول

---

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص294، التنبكتي، المصدر السابق، ص381

[2] ابن مخلوف، المرجع السابق، ص278

[3] ابن خلدون، العبر، ج6، ص438

[4] نفسه، ص438

[5] ابن خلدون عبد الرحمان ، رحلة ابن خلدون، عرض وتعليق: تاويت الطنجي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 2004، ص36

[6] ابن خلدون، العبر، ج6، ص452

[7] الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون، أول من أجاز فيمن أجاز إلى العدوة من عائلة ابن خلدون. ابن خلدون العبر، ج7، ص ص503-508

الداخلين إلى العدوة حيث استقر بتونس وذلك لما كان يتمتع به أهل إشبيلية خصوصا لكن أول بروز للعائلة في بلاط الحكم كان لأبي بكر بن الحسن بن خلدون مع الأمير أبي إسحاق في منصب صاحب الأشغال، ثم ابنه من بعده الأمير أبي فارس عندما عقد له أبيه على ولاية العهد ببجاية بعد مقتل أحمد بن سيد الناس، وذلك بأن أنفذ معه في رسم الحجابة جد ابن خلدون محمد ابن أبي بكر[1]، الذي كبر نفوذه وصارت له اليد العليا في القضاء على كل المناوئين خاصة صاحب قسنطينة[2]، ثم ظهر الجيل الأخير من هذا البيت وهو الجيل الذي فاقت شهرته كل من سبق، وعلى رأس هؤلاء يأتي عبد الرحمان بن خلدون ويحي بن خلدون الذين كانت لهما بصمة في تونس وبجاية والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى.

رابعا- عائلة ابن عمر الأنصاري:

هاجر عمر الأنصاري إلى بجاية واستوطنها في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي[3]، ولا يعرف من عائلته إلا ابنه احمد ومن بعده ربيع المكنى أبا زهر[4]، الذي الذي كان كاتبا للعمال ببجاية[5]، إلى أن ترك الدنيا زاهدا فيها بعد لقائه لأبي مدين شعيب، ويأتي في خاتمة هذه العائلة الفقيه أبو محمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد بن عمر الأنصاري الذي اشتهر باسم العالم المحصل الصوفي المحقق[6]، حلاه الغبريني ب: "شيخنا الفقيه، الإمام العالم المحصل، المحقق المجيد، الصوفي المجتهد، أبو محمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد بن عمر الأنصاري أصله من أبدة وجده عمر هو

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص438

[2] نفسه، ج6، ص440

[3] الغبريني، المصدر السابق، ص57

[4] رفيق خليفي، البوتات الأندلسية في المغرب الأوسط من نهاية القرن 3هـ إلى نهاية القرن 9هـ، مذكرة ماجستير في تاريخ وحضارة المغرب المغرب الأوسط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 2007-2008، ص246

[5] ابن قنفد أبي العباس أحمد الخطيب القسنطيني، انس الفقير وعز الحقير، نشر وتصحيح: محمد الفاسي و أدولف فور، المركز الجامعي الجامعي للبحث العلمي، الرباط 1965، ص101

[6] ابن مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص 287

الواصل إلى بجاية مستوطنا"[1]، ولد ببجاية وقرأ بها ولقي مشائخ، وكان رحمه الله روح بلده ومصره، وواسطة نظام أهل زمانه وعصره، كان يحمل فنونا من العلم والفقه والأصلان، وأصول الدين وأصول الفقه والمنطق والتصوف، والكتابتان الشرعية والأدبية، والفرائض والحساب، له خطوط جملة وهو في كل واحد منها ابن مقلة زمانه، كان يكتب الشرقي والغربي على فنون من ريحاني وتحساني وديواني وغير ذلك من أنواعه، ومن أبدع حاله في خطه إذا بدأ بنوع حكم عليه إلى آخره حتى لا يوجد فيه حرف واحد من غيره، ولقد رأيت كثيرا ممن يشارك بين خطين فتختلط كتبه، تخطط في بلده بالعدالة، وكانت له صفة، وناب عن القضاة في الأحكام مطلقا بالحقيقة لأن مرجع أمرهم إنما كان إليه[2].

خامسا- عائلة بنو صمادح:

من بني تجيب، أصحاب المرية بالأندلس، أيام ملوك الطوائف، وكان أول من ملك منهم معن ابن صمادح، سنة 443 هـ-1052م وبقيت المرية بأيديهم إلى أن غلبهم عليها يوسف بن تاشفين سنة 484 هـ-1091م[3].

يعتبر أحمد بن محمد بن معن بن صمادح الملقب بعز الدولة أول الداخلين إلى بجاية الحمادية تنفيذا لوصية أبيه بالخروج حال سقوط إشبيلية بيد المرابطين، وهو ما حدث بعيد سقوط المدينة وأسر صاحبها المعتمد بن عباد بيد المرابطين، حيث سارع ابن صمادح الابن في إرسال رسوله إلى المنصور بن الناصر صاحب قلعة بني حماد من عمل بجاية مستأذنا إياه في العبور إلى بلاده، فأذن له وأقطعه مدينة تدلس[4].

---

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص57

[2] نويهض عادل ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت لبنان 1980، ص36

[3] القلقشندي أبي العباس، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب البناني، بيروت1980، ص316، الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط15، دار العلم للملايين، بيروت2002، ج3، ص209

[4] تدلس:مدينة كبيرة بحرية بين بجاية والجزائر.الحميري، الروض المعطار، ص132

نزل ابن صمادح على المنصور بن الناصر ببجاية[1]، فلم يزل بها بعد أن خلع هو وسائر إخوته، أما أخوه رفيع الدولة فقد ذكر صاحب الحلة السيراء أن أبو الحسن بن عبد الله الأشيري ذكره في كتابه نظم اللآلئ في فتوح الأمر العالي، أنه كان بتلمسان أسيرا عند واليها أبي بكر بن مزدلي، وذلك سنة تسع وثلاثين وخمسمائة، وحكي أن ابن أخيه كان معه[2].

سادسا- عائلة ابن الخطيب التميمي:

ومنهم أبو العباس أحمد بن أبي القاسم عبد الرحمان بن عثمان التميمي الخطيب الفقيه، القاضي الجليل، أول بيت بني الخطيب ببجاية، ولي قضاءها من مراكش، وكان له صلابة في الأحكام، وكان إذا حكم أمضى، وإذا وصل أرضى، وإذا خشي كشف العورة أغضى، واستمرت مدته، وطالت ولايته، وكان أكثر الناس حظوة عند بني عبد المؤمن، وقد أسهموه بما لم يسهموا به أحدا من صنف الطلبة[3].

خلفه ولده أبو محمد بن أحمد بن أبي القاسم الذي حلاه الغبريني بقوله: "الشيخ الفقيه، القاضي الفاضل الوجيه، أبو محمد عبد الله بن أحمد ابن أبي القاسم عبد الرحمن بن عثمان التميمي، ولد أبي العباس أحد قضاة العدل، وولاة الدين والفضل، لقي أبا محمد عبد الحق الاشبيلي وأخذ عنه وسمع منه، وكان بقاؤه في القضاء على أصالة، وعلو منصب وجلالة وقد صار من قضاة العدل وولاة الدين والفضل"[4].

سابعا- عائلة ابن المنت الحضرمي:

كان أبوه وعمه قد قدما مع جالية الأندلس وكانا ينتحلان القراءات، وأخذ أهل بجاية عن عمه أبي الحسن علم القراءات، حين كان خطيبا بجامع السلطان، في حين أن ابن أخيه استعمل في الديوان، وكان طموحا للرياسة واتصل بحظية كانت للمولى

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص249، الناصري، المصدر السابق، ج2، ص55
[2] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص ص91،92، ابن عذارى ، المصدر السابق ج3، ص168
[3] الغبريني، المصدر السابق، ص243
[4] نفسه، ص244

أبي زكريا تسمى أم الحكم وقد غلبت على هواه، فرسمت على ابن المنبت هذا بخطة الحجابة فقام بها وأصلح معونات السلطان وأحوال مقاماته في سفره وجهز له العساكر وجال في نواحي أعماله[1].

ثامنا- عائلة ابن فرحون:

هذا البيت هو أشهر البيوت العلمية الأندلسية التي هاجرت إلى العدوة ومصر والمدينة المنورة وبرز العديد منهم في شتى المجالات العلمية والسياسية، منهم:

إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري(799 هـ - 1397 م) من شيوخ المالكية، وصاحب الديباج المذهب في تراجم أعيان المذهب المالكي، وتبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام و درة الغواص في محاضرة الخواص و طبقات علماء الغرب و تسهيل المهمات في شرح جامع الأمهات لابن الحاجب[2].

عبد الله بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي أبو محمد(769هـ- 1368 م) صاحب الدر المخلص من التقصي والملخص " في الحديث، و كشف المغطى في شرح مختصر الموطأ[3].

علي بن محمد بن أبي القاسم ابن فرحون اليعمري المدني(746هـ - 1345 م) المكنى بنور الدين الأديب، صنف العديد من الكتب منها: الزاهر في المواعظ والحكايات والأحاديث والذخائر و تواريخ الأخبار والتعريف بنسب النبي المختار ونزهة النظر وتحفة الفكر في شرح لامية العجم[4]

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص516، خليفي، المرجع السابق ص300

[2] الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص52

[3] نفسه، ج4، ص126

[4] نفسه، ج4، ص330

أما في بجاية فقد ظهر منهم محمد بن فرحون الذي استقدمه السلطان الحفصي أبو بكر واستخلفه على بجاية مع ابنيه الأمير أبي زكريا[1].

أما أخوه زيد بن فرحون فقد عمل في البحر قائدا للأسطول البحري الذي جاز إلى الأندلس في غرض الرسالة إلى بعث بها ملك المغرب السلطان أبي الحسن عند إجازته إلى طريف في الأسطول الّذي بعثه مددا للمسلمين لقتال النصارى في معركة طريف، فلما رجع ابن فرحون من سفارته تلك أُذن له في المقام عند الأمير أبي زكريا واستعمله على حجابته إلى أن هلك، يقول ابن خلدون في ذلك:"وكان أخوه زيد بن فرحون قائد ذلك الأسطول بما كان قائده ببحر بجاية"[2].

يعتبر استيطان هذا العدد الكبير من العائلات الأندلسية ببجاية مع ما يمثلونه من مجد وتعظيم وثروة وعلم إقرارا بأن حاضرة المغرب الأوسط مساعدة الاستقرار معينة على العلم، وببقائهم فيها تقلدوا المناصب وأصبح الكثير منهم جزءا من السلطة والنفوذ وتفوقوا على الكثير من أهل البلاد وكان لهم الفضل الكبير في المساهمة في تنشيط الحركة العلمية ببلاد، حيث تخرج على أيديهم العدد الكبير من العلماء الذين رفعوا راية العلم، لكن هذا المجد الرقي والمكانة التي وصلتها هذه العائلات لم تكن لتصلها بمعزل عن السلطة الحاكمة التي وفرت لهم كل أسباب الراحة والإبداع.

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص503

[2] نفسه، ج6، ص ص515، 516، برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص194

المبحث الثاني:

إسهامات الأندلسيين في المجال السياسي

منذ أن دانت الأندلس للمرابطين ظهر تأثيرهم جليا على بلاد المغرب خاصة مع استدعاء يوسف ابن تاشفين للكثير من أعلامها وقد اجتمع له من أهل العلم من الأندلسيين ما لم يجتمع لغيره من الملوك، وهو ما نقف عليه فيما يذكره المراكشي: "ولم يزل أمير المسلمين (يقصد به يوسف ابن تاشفين) في أول إمارته يستدعي أعيان الكتاب من جزيرة الأندلس وصرف عنايته لذلك حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك"[1].

كذلك فعل الحفصيون فمنذ تأسيس الدولة استعانوا بأهل الخبرة والكفاءة من الأندلسيين الذين كان لهم الدور البارز في جميع مناحي الحياة حتى أصبح نفوذهم ظاهرا للعيان، وقد أمدتنا كتب التراجم بالكثير منهم نأتي على ذكر كل منهم في مجال اختصاصه.

أولا- الحجابة:

حينما ورد أهل الأندلس على تونس اصطنع منهم أبو زكريا الحفصي رجالا ورتب جندا كثروا الموحدين وزاحموهم في مراكز الدولة، فأصبحوا رجال البلاط وعمال الدواوين حتى إن الكثير منهم استبد بالحكم بعد أن خلصت له الحجابة والمناصب الدينية والتعليمية وغدا التوظيف الإداري في أغلب الأحيان من نصيبهم[2]. نذكر منهم:

- محمد بن أبي بكر بن خلدون الأندلسي:

لما رجع الأمير أبو إسحاق من الأندلس بعد وفاة أخيه المستنصر، خلع أبنه يحيى، واستقل هو بملك إفريقية، ودفع بجد ابن خلدون أبا بكر محمدا على عمل الأشغال في الدولة على سنن عظماء دولة الموحدين، فاضطلع بتلك الرتبة، ثم عقد

---

[1] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص132

[2] ابن خلدون، العبر، ج6، ص ص627،628، سعيدوني ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر (العهد العثماني) ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص105

السلطان أبو إسحاق لابنه محمد ابن خلدون على حجابة ولي عهده وابنه أبي فارس ببجاية[1].

- أبو الحسين بن سيد الناس(ت690هـ-1291م):

أشار محمد بن خلدون جد الكاتب عبد الرحمان على السلطان أبي زكريا بتولية ابن سيد الناس للحجابة لكثرة أتباعه وقوة شكيمته في الاضطلاع بما يدفع إليه، فولاه حجابته وجدد له العقد على بجاية، فاستولى على الدولة وقام بأمر مخدومه وصار إلى الحل والعقد إلى أن هلك[2]، وفي مكان آخر يذكر ابن خلدون أنه لما استولى الأمير أبو زكريا على الثغر الغربي واقتطعه عن أعمال الحضرة، ونزل بجاية وظاهر بها تونس، عقد لأبي الحسين بن سيّدالناس على حجابته... وانصرفت إليه الوجوه وتمكّن في يده الزمام، إلى أن هلك سنة تسعين وستمائة أعظم ما كان رياسة وأقرب من صاحبه مكانا وشرفا[3].

أبو القاسم بن أبي حي الأندلسي

بعد هلاك الأمير أبو زكريا أبقى عليه الأمير أبي البقاء حاجبا، بعدما ساعده في جمع مشيخة الموحدين وطبقات الجند، لأخذ بيعتهم له، ثم صار ابن أبي حي هذا مستبدا على الدولة في حجابته بعد مهلك أبو الحسين بن سيد الناس، حيث يذكر ابن خلدون ذلك في قوله: "فأقام الأمير أبو زكريا مكانه كاتبه ابا القاسم بن أبي حي ولا أدري من أوليته أكثر من أنه من جالية الأندلس، ورد على الدولة وتصرف في أعمالها، واتصل بأبي الحسين بن سيد الناس ثم رقاه واستخلصه لنفسه، وتناول زمام الدولة من يد سيد الناس"[4].

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص509، الميلي، المرجع السابق، ج2، ص391

[2] ابن خلدون، نفسه، ج6، ص ص493-494

[3] نفسه، ج6، ص452

[4] ابن خلدون ص453، الميلي، المرجع السابق، ج2، ص392

-محمد بن فرحون:

استخلفه السلطان أبو زكريا حاجبا على بجاية بعدما استدعى لخدمته ابن سيد الناس، ثم استدعاه وقلّده حجابته سنة سبع وعشرين وسبعمائة كما قدّمناه، واستخلف على مكانه ببجاية صنيعته محمد بن فرحون[1].

- أحمد بن سيّد الناس: -

لما استولى السلطان على الأمر ورشّح ابنه أبا فارس للعهد، وأجراه على سنن الوزارة اصطنع أحمد بن سيّد الناس، ونوّه باسمه وخلع عليه ملبوس كرامته. واختصه بلقب حجابته[2].

- محمد بن سيد الناس:

عندما ارتحل السلطان أبو يحي إلى قسنطينة لطلب تونس جهز له ابن عمر الآلات والعساكر ... وكان فيمن سرح معه محمد بن سيد الناس قائدا على عسكر من عســـــاكره، فعقد له على بجاية بعد مهلك بن عمر، فاستبد بها على السلطان إلى أن استدعاه[3].

- يعقوب بن غمر السلمي الشاطبي(ت719هـ-1319م):

يكنى أبو عبد الرحمان، خرج مع الجالية أيام العدوان النصراني على المدن الأندلسية إلى تونس، وكان يتردد إلى الحضرة ببجاية حتى لقي من السلطان قبولا، فقلده حجابته، ذكره بن خلدون في مواطن كثيرة وسماه بالحاجب المستبد حيث يقول: "لم يزل ابن غمر مستبدّا على السلطان في حجابته، يرى أنّ زمامه بيده وأمره متوقف

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص ص499،500

[2] نفسه، ص438

[3] نفسه، ص ص486-489

على إنفاذه، وصار يغريه ببطانته فيقتلهم ويغرّمهم واقتصر على ذكر السلطان في الخطبة واسمه في السكة إلى أن توفي"[1].

- محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن أبي عمرو التميمي (ت 756-1355م):

من أهل تلمسان، وأصل سلفه من الأندلس، من بيت أصالة وتعيين، عرف بالفقيه الحاجب، الرئيس الكاتب من أسرة اشتهرت بالعلم والأدب، له همة عظيمة وعلم وشأن كبير، انخرط كثير في خدمة الكثير من رجالات السلطة، اشتغل بالحجابة لأبي عنان المريني ونال منه حظوة وثقة واسعة، فقلده عددا من المناصب ثم أسند إليه ولاية بجـــــــــــاية، فاستمر عليها إلى وفاته، حيث نقل نعشه إلى تلمسان فدفن بها[2].

ثانيا - الكتابة:

- أبي القاسم بن الشيخ:

قدم من بلده دانية[3] إلى بجاية فاشتغل بها بالعطارة ثم اتصل بصاحبها الشيخ أبي عبد الله بن ياسين الهنتاني وهو من رؤساء الموحدين، ولما طلب المستنصر كاتبا وكان في حضرته ابن ياسين أشار عليه ابن ياسين بابن الشيخ فاستدعي ابن ياسين إلى الحضرة وابن الشيخ في جملته، والتمس السلطان من يرشحه لكتابته، فاطنب ابن ياسين في وصف كاتبه أبي القاسم بن الشيخ وحلاه، وابتلاه السلطان فلم يرضه وصرفه، ثم راجع رأيه فيه واستحسنه ورسمه في خدمته، وأمر ابن أبي الحسين بتلقينه

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص ص463-476-478-485

[2] ابن مريم، المصدر السابق، ص228، ابن الأحمر أبي الوليد إسماعيل، أعلام المغرب والأندلس وهو جزء من كتاب نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، تحقيق وتقديم : محمد رضوان الداية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت 1976، ص226، ابن القاضي المكناسي أبي العباس أحمد بن محمد، درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، ط1، المكتبة العتيقة دار التراث، القاهرة 1971، ج2، ص265

[3] دانية: مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية على ضفة البحر شرقا. الحموي، المصدر السابق، ج2، ص434

لآداب وتصريفه في وجوه الخدمة ومذاهبها[1]، وفي المجمل فقد صحب ابن الشيخ دنياه بالسياسة[2].

- النميري(ت765هـ-1364م):

إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن أسد بن موسى بن إبراهيم ابن عبد العزيز بن إسحاق بن أسد بن قاسم من أهل غرناطة، يكنى أبا إسحاق، ويعرف بابن الحاج، بلغ الغاية في إجادة الخط ورُسم في كتابة الإنشاء، اشتغل بالعلمِ والحديث والشعر وبلغ الغاية فِي ذلك وانصرف عن الأندلس وحج ودخل دمشق، ثم قفل إلى إفريقية وكان علق بخدمة بعض ملوكها ثم استقر ببجاية مضطلعا بالكتابة والإنشاء، إلى أن انتقل لخدمة سلطان المغرب، ثم عاد إلى ديوانه من الكتابة عن صاحب بجاية، ثم قدم تلمسان وانقطع في تربة الشيخ أبي مدين إلى أن مات، جرى ذكره في التاج المحلى بما نصه: "طلع شهابا ثاقبا وأصبح بشعره للشعرى مُصاقبا، فنجم وبرع وتمم المعاني واخترع، إلى خط يستوقف الأبصار رائقة، وتقيد الأحداق حدائقه، وتفنن الألباب فنونه البديعة"[3].

- ابن خلدون(1406م):

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر ابن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم ولي الدين الإشبيلي الأصل المالكي المعروف بابن خلدون، ولد بتونس وحفظ القرْآن والشاطبيتين ومختصر ابن الحاجب الفرعي والتسهيل في النحو، وتفقه بجماعة من أهل بلده وسمع الحديث هنالك وقرأ في كثير من الفنون

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص454

[2] ابن القنفد ، الفارسية، ص147

[3] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص ص342-344، المقري ، نفح الطيب، ج7، ص ص108،109، ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت1993، س1، ص ص28،29، المقريزي تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط1، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 1997، ج4، ص276

ومهر في جميع ذلك لاسيما الأدب وفن الكتابة، ولازم العالم الشهير أبا عبد الله الآبلي وانتفع به، ثم توجه إلى فاس وولي كتابة السر وكذا النظر في المظالم ثم انتقل إلى الأندلس فقدم غرناطة فتلقاه سلطانها ابن الأحمر عند قدومه ونظمه في أهل مجلسه وكان رسوله إلى عظيم الفرنج بإشبيلية، فقام بالأمر الذي ندب إليه ثم عاد إلى بجاية ففوض إليه صاحبها تدبير شؤونها وقد استفرغ جهده في تدبير سياسة السلطان[1].

- محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن علي بن إبراهيم الغساني البرجي (ت780هـ-1379م):

أصله من غرناطة، نشأ بالأندلس واجتهد في العلم والتحصيل وقرأ وسمع وتفقه على شيوخ الأندلس واستبحر في الأدب وبرز نظمًا ونثرًا، حسن الخط والشعر والكتابة ويجيد تفسير القرآن، رحل إلى بجاية في عشر الأربعين وسبعمائة فتولى خطة الإنشاء بهـــــا ثم نزل تلمسان بعد تملك أبي الحسن المريني بجاية ، فكان كاتبا له وصاحب سره[2].

- أبو الزهر ربيع الأنصاري

أصله من أبدة[3]، ولا توجد له ترجمة خاصة إلا أن الغبريني حين ترجم للشيخ أبو محمد عبـد الحق بن ربيع ذكر أن أبوه الفقيه أبي الزهر ربيع كان كتب لبعض الولاة ببجاية، واستفاد منهم مالا[4].

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص560، الشوكاني محمد بن علي ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (دت)، ج1، ص337، العكري، المصدر السابق ج9، ص114، ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص ص377،378

[2] التنبكتي، المصدر السابق، ص449، المقري، نفح الطيب، ج6، ص ص68،69، ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص ص293، 294، ابن القاضي المكناسي، المصدر السابق، ج1، ص ص311،312

[3] أبدة: مدينة بالأندلس من كورة جيان، تعرف بأبدة العرب، اختطها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية. الحموي، المصدر السابق، مج1، ص64

[4] الغبريني، المصدر السابق، ص26، ابن قنفد، انس الفقير، ص101

- إدريس بن عبد الملك الغافقي الأندلسي:

ولاه الواثـــق على أشغال بجاية إلى أن قتله محمد بن عياد بن سعيد الهنتاني[1].

ثالثا- القضاء:

- ابن جبل:

أبو محمد عبد الله القاضي الخطيب[2]، ذكر المراكشي أن عبد المؤمن بن علي لما افتـــتح بجاية استكتب من أهلها أبا القَاسِم القالمي وكان قاضيه أبو محمد عبد اللَّه بن جبل[3].

- ابن جبارة **(ت584هـ-1188م):**

ميمون بن خلفون الفرداوي أبو تميم ، ولي قضاء بلنسية سنة 568هـ-1173م إِلَى ثم صرف عن ذلك منقولا إلى قضاء بجاية وكان من كبار العلماء معدودًا في الرؤساء، كريم الأخلاق وافر الجاه عظيم الحرمة له آثَار حميدة، اجتمع إليه ببلنسية وبتلمسان في علم الأصول الكثير، وبِه انتفع أهلها في ذلك الفن، وكان يصفهم بالذكاء وجودة القرائـــح ، استُقدم إلى مراكش من بجاية ليولى قضاء مرسية لكنه توفي في طريقه إليها بتلمسان سنة 584هـ[4].

- القرطبي (ت592هـ-1196م):

أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن سعيد بن حريث بن عاصم بن مضاء اللخمي الجياني محدّث ثقة، مقرئ، مفسر، عارف بالفقه وأصوله وبالطب والهندسة والحساب،

---

[1] محمد بن عياد بن سعيد الهنتاني والي بجاية عهد السلطان المستنصر. ابن خلدون، العبر، ج6، ص434، الميلي، المرجع السابق، ج2، ص391

[2] الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق وإخراج: شعيب الأرناؤوط و محمد نعيم العرقسوسي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت 1985، ج20، ص371، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج38، ص258

[3] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص269

[4] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، مج5، س8، ص295، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج41، ص204، ابن الأبار، التكملة، ج2، ص197، الغبريني، المصدر السابق، ص206، نويهض، المرجع السابق، ص253، الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص340

عالم بالعربية، أصله من جيان[1] ومولده بقرطبة، سكن بجاية وولي القضاء بها، كان مقرئا مجودا محدثا مكثرا...عارفا بالأصول والكلام ماهرا في كثير من علوم الأوائل كالطب والحساب تلي بالقراءات السبع وعمل بالقضاء لفترتين ببجاية[2]، من كتبه تنزيه القــــرآن عما لا يليق من البيان، والمشرق في إصلاح المنطق والرد على النحاة[3].

- اللخمِي:

محمد بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن المعتصم من أهل إشبيلية، يعرف بالزبيدي ويكنى أَبا عبد اللَّه أخذ القراءات ببلده، وأجاز له أبو بكر بن العربِي ما رواه وصنفه وانتقل من بلده فسكن مالقة وتجول ببلد العدوة واستقضي في الكثير من بلادها حيث اسند إليه القضاء ببجاية ومراكش[4].

- ابن زاهر(654هـ- 1256م):

أبو عثمان سعيد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري البلنسي من أهل الأندلس، رحل إلى العدوة واستوطن بجاية وأقرأ بها وروى واسمع وأُخذ عنه واستفيد منه، له علم بالقراءات وحظ من العربية، محكم الرواية، ولم يكن له عمل ولا حرفة ولا خلطة للناس سوى الاشتغال بإقراء القرآن رواية وتفهيما، وبسطا وتعليما، تخطط بالعدالة ببجاية وكانت صفته[5].

---

[1] جيان: مدينة بالأندلس تتصل بكورة البيرة مائلة عن البيرة إلى ناحية الجوف في شرقي قرطبة. الحموي، المصدر السابق، مج2، ص195

[2] السيوطي جلال الدين عبد الرحمان ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار الفكر، 1979، ج1، ص323، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س1، ق1، ص ص212-222، ابن الجزري شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي، غاية النهاية في طبقات القراء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان2006، ج1، ص65، الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق: محمد المصري، ط1، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 2000، ص74

[3] الزركلي، المرجع السابق، ص146

[4] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص95، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س6، ص85، السامرائي هند فاضل جمعة ، أثر علماء المغرب في الحياة العلمية ببلاد الأندلس في عهدي المرابطين والموحدين(484-668هـ/1091-1268م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب قسم التاريخ، جامعة بغداد1437هـ-2016م، ص78

[5] العبريني، المصدر السابق، ص ص289،290

المهرى:

محمد بن إبراهيم من أهل إشبيلية يكنى أبا عبد اللَّه رحل إلى المشرق ولقي جماعة وافرة من حملة الحديث، ولما قدم من المشرق نزل جزائرَ بني مزغنا وأقام بها مدة، وأخذ عنه بها أبو موسى القزولي، ولي قضاء بجاية ثلاث مرات صرف عن آخرها سنة 608هـ 1211م، برز في علم الكلام، وأصول الفقه، حتى اشتهر بالأصولي، وكان علم وقته في هذا الميدان. دخل الأندلس مرارا، وولي قضاء مرسية منها، واستخلف بمراكش على القضاء، ولما امتحن ابن رشد الحفيد[1] سنة 593هـ-1197م في محنته المشهورة من أجـــــل نظره في علوم الأوائل امتحن معه المهري[2].

- ابن السطاح (ت629هـ-1232م):

عبد الرحمان بن محمد بن أبي بكر يكنى أبا زيد وأبا القاسم دخل إشبيلية فلقي بها كبار أهل العلم فأخذ عنهم وسمع لهم ثم انتقل إلى مرسية فقرأ هناك المقامات وغيرها، اعتنى بعقد الشروط حتى أصبح مقدما فيها، ارتحل إلى بجاية وأقرأ بها وتخطط بالعدالة وناب عن القضاة في الأنكحة، وهو أول من أدخل كتاب "الأنوار في الجمع بين المنتقى والاستذكار إلـــى العدوة نسخه بخط يده، كان بارع الخط حسن الضبط [3].

- الشاطبي(ت691هـ-1292م):

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن عبد الله الخزرجي الشيخ الفقيه القاضي العدل من بيت علم وقضاء[4]، تخطط بخطة القضاء في غير ما بلد ثم قضى ببجاية إلى أن انصرف عنها إلى تونس، فكان على سنن الفضلاء وطريق الأولياء والعقلاء قائما بالحق لا يهاب الأمراء فيما يخالف طريـــق الشرع، له علم بالعربية وأصول الفقه وله

---

[1] ابن رشد الحفيد محمد بن أحمد بن محمد القرطبِي العلامة فيلسوف الوقت. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج21، ص307

[2] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص163، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س5 ق1، ص145، كحالة، المرجع، ج8، ص221، عنان، دولة الإسلام، ع3، ق2، ص659 نويهض، المرجع السابق، ص18

[3] ابن الأبار، نفسه، ج3، ص ص55،56

[4] الغبريني، المصدر السابق، ص ص115،116، ابن مخلوف، المصدر السابق، ص198

مشاركات في أصول الدين وفي قوانين الطب[1].

- ابن الغماز(ت693هـ-1294م):

أبو العباس احمد بن محمد بن حسن ابن الغماز الأنصاري الشيخ الفقيه الفاضل من أهل بلنسية، ارتحل إلى بجاية واستوطنها ولقي مشايخها كأبي محرز وابن المطرف وابن سبعين وغيرهم، اشتغل بالقضاء وبأشغال أخرى[2]، و كان ممن يشار إليهم بالنباهة والريـــــــاسة وصفه ابن الخطيب بالقاضي الكبير والأستاذ الشهير[3]، تولى إلى جانب القضاء إقامة الصلاة بالجامع الأعظم ببجاية[4].

- التميمي(ت ق7هـ-14م)

أبو العباس أحمد بن أبي القاسم عبد الرحمان بن عثمان الخطيب الشيخ الفقيه القاضي الجليل أول بيت بني الخطيب ببجاية ولــــــــي قضاءها من مراكش، واستمرت مدته وطالت ولايته وكان أكثر الناس حظوة عند بني عبد المؤمن[5].

- التجيبي(ت811هـ-1409م):

سعيد بن محمد بن محمد العقباني أبو عثمان أصله منها عقبان قرية بالأندلس، أخذ عن أبي عبد الله الآبلي[6] وغيره، كان إمام تلمسان وعلامتها في عصره، ولي قضاء قضاء بجاية في أيام السلطان أبي عنان المريني والعلماء يومئذ متوافرون[7].

---

[1] التنبكتي، المصدر السابق، ص381

[2] ابن قنفد، الفارسية، ص151

[3] ابن قنفد القسنطيني، الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، ط4، دار الآفاق الجديدة، بيروت،1983، ص 334، المقري، نفح الطيب، ج4، ص316، الغبريني، المصدر السابق، ص ص 119،120

[4] التنبكتي، المصدر السابق، ص80، ابن خلدون، العبر، ج7، ص240

[5] الغبريني، المصدر السابق، ص243

[6] أبو عبد الله محمد ابن إبراهيم الآبلي شيخ أهل المغرب لعصره في العلوم العقلية، ومفيد جماعتهم. ابن خلدون العبر، ج7، ص686

[7] ابن مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص250

الأزدي (581هـ- 1185م):

القاضي الخطيب أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد بن إبراهيم الأشبيلي، رحل إلى بجاية وتخيرها وطنا، وولى الخطبة وصلاة الجماعة بجامعها الأعظم، وجلس للوثيقة والشهادة وولي قضاء بجاية مدة قليلة[1].

رابعا- الجيش

لا يوجد لدينا الكثير من المعلومات حول المهاجرين الأندلسيين الذين كانت لهم إسهامات في ميدان الجيش إلا النذر القليل، خاصة في مدينة بجاية عاصمة الحماديين إلا ما ذكره لنا ابن خلدون عن البعض منهم، الذين بلغ نفوذهم مبلغا جعل شيوخ الموحدين يضيقون بهم ذرعا، ذلك أن ابن زكريا الحفصي كان قد اصطنع منهم رجالا، ورتّب جندا كثروا الموحدين وزاحموهم في مراكزهم من الدولة[2]، وفيما يلي ذكر لأهم العناصر الأندلسية التي برزت في ميدان الجيش:

محمد بن يحي الأنصاري(ت721هـ-1321م):

من أهل المرية، يُعرف بالقانون، وكان أديبا لبيبا، أخذه حاجب بجاية محمد بن عبد الرحمان بن أبي القمر السلمي بعد سفارته للأندلس رسولا من صاحب إفريقية، ولي لأول أمره الزكاة والمواريث ببجاية، ثم ولي قيادة الأسطول بها[3].

زيد ابن فرحون

اشتغل زيد ابن فرحون بالجيش قائدا للأسطول البحري ببجاية، بعث به السلطان الحفصي مددا حين عزم السلطان المريني أبي الحسن الجواز إلى الأندلس في معركة طريف حيث يذكر لنا ابن خلدون ذلك:...عقد له بعد سفارة أخيه المذكورة على ستة عشر سفينة انتخبها الحفصيون من طرابلس وقابس وجربة وتونس وبونة وبجاية وسار

---

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص41

[2] ابن خلدون، العبر، ج6، ص402

[3] ابن القاضي، المصدر السابق، ج2، ص ص68،69

بها إلى سبتة أين وافى بها أساطيل المغرب وكان زيد بن فرحون قائد ذلك الأسطول بما كان قائده ببحر بجاية[1].

وفي الفترة الأخيرة من هجرة الأندلسيين أصبحت المدينة قاعدة عسكرية تشن منها الهجمات على السواحل النصرانية فيجتمع النفير والطائفة من غزاة البحر، يضعون الأسطول ويتخيرون له أبطال الرجال، ثم يركبونه إلى سواحل الفرنجة وجزرهم على حين غفلة فيتخطفون منها ما قدروا عليه، ويصادمون ما يلقون من أساطيل الكفرة فيظفرون بها غالبا ويعودون بالغنائم والسبي والأسرى، حتى امتلأت سواحل الثغور الغربية من بجاية بأسراهم تضج طرق البلاد بضجة السلاسل والأغلال[2].

هذا الرأي يذهب إليه الحسن الوزان حين يقول: "إن أهل بجاية كانوا على قدر عظيم من الغنى يُسلحون العديد من السفن الحربية المختلفة ويرسلونها لغزو شواطئ اسبانيا"[3]، بعد أن انتظم الكثير منهم وساهموا في صناعة الأساطيل البحرية واندمجوا ضمن فرقها وبدأوا حركة الجهاد البحري ضد الإسبان ما جعل هذه الأخيرة تقوم بشن العديد من الحملات العسكرية ضد بعض المدن كشرشال سنة 937هـ-1531م والتي باءت بالفشل بعد أن صمد أهلها في الدفاع عنها[4].

تشكلت حركة الجهاد البحري من بجاية بفعل تحمس العنصر الأندلسي الذي وهب نفسه للجهاد انتقاما من الإسبان الذين شردوه من وطنه[5]، وهنا نورد قولا لأحد الموريسكيين ويدعى دييغو دياث الذي عاد إلى اسبانيا، وفي أثناء محاكمته من طرف محاكم التفتيش أقر بوجود معامل يعمل بها الموريسكيين تهتم بصناعة السفن وبناء

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص516

[2] نفسه، ج6، ص578

[3] الوزان، المصدر السابق، ج2، ص50

[4] فكاير عبد القادر، الصراع الجزائري الإسباني في الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن السادس عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 200-2001، ص134

[5] عنان، دولة الإسلام، ع4، ص384

أرصفة الميناء ببجاية[1]، الأمر الذي دفع بالكونت بيير نافارو لغزو المدينة واحتلالها متذرعا بالقول بأن أهلها يسلحون العديد من السفن البحرية المختلفة ويرسلونها لغزو الشواطئ الإسبانية[2].

مع وصول الموركسيين إلى الجزائر تحولت جل مدنها الساحلية إلى جبهة متقدمة في الجهاد البحري ضد الإسبان وذلك بفضل الأعداد الكبيرة التي شاركت في الجيش والتي كان دافع الانتقام من الإسبان الذين أوغلوا في اضطهاد الموركسيين عبر التعذيب والطرد في فترات متتالية من تاريخهم بالأندلس، وهو ما يذهب إليه مرثيديس غارسيا حين يؤكد لنا بأن: "مدينة الجزائر عاصمة القرصنة مع وصول الأخوين عروج وخير الدين باربروسا وتوليهما السلطة هناك بعد مساعدة العثمانيين والبربر في الداخل والموركسيين من اسبانيا على التجنيد في صفوف الجيش والجهاد ضد الإسبان، واستطاع بفضل هاته القوات استرجاع المضايق التي كانت تسيطر عليها إسبانيا"[3].

أصبحت مدينة الجزائر القاعدة الرئيسية التي ينطلق منها العثمانيون في حربهم ضد اسبانيا، هذا الوضع زاد في توافد الموركسيين على المدينة فعمل الكثير منهم في صناعة البنادق التي يسلحون بها المراكب الشراعية المتوجهة إلى السواحل الاسبانية، لمساعدة من بقي من إخوانهم على الفرار إلى الجزائر[4].

كما كان لهم دورا كبيرا منذ اللحظات الأولى لاستقرارهم بهذه البلاد في صد الهجمات الصليبية التي اجتاحت سواحل المدينة التي لقبت بجزائر المغازي والمجاهدة

[1] دومينغيز، المرجع السابق، ص ص288،289

[2] الوزان، المصدر السابق، ج2، ص50

[3] مرثيديس غارسيا أرينال، شتات أهل الأندلس (المهاجرون الأندلسيون)، ترجمة ومراجعة: محمد فكري عبد السميع و جمال عبد الرحمان، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة2006، ص169

[4] نفسه، ص173

المحروسة[1]، لأن الكثير من موانئها كان عبارة عن قواعد بحرية تنطلق منها الهجمات ضد الإسبان[2].

يقول لوي كاردياك عن الموركسيين: "إن هجمات القراصنة على السواحل الإسبانية هو في الغالب من عمل الموركسيين المرتدين الذين التجئوا إلى الجزائر، وكانوا يصنعون في شرشال بعض السفن الحربية ... ونظرا لكون أصلهم من اسبانيا فهم يعرفون السواحل ويستطيعون استعمال الكثير من الحيل لإنجاح حركتهم القرصنية ... فكانوا ينزلون ليلا متخفين بلباس المسيحيين فلا يتعرف عليهم أحد لإتقانهم اللغة القشتالية فيفاجئون المسيحيين ويأخذونهم أسرى للجزائر"[3]، لذلك لجأ فرناندو الخامس سنة(912هـ- 1507م) إلى إخلاء الشواطئ الجنوبية من جبل طارق إلى المرية لمدى فرسخين إلى الداخل حتى تكون هذه الأراضي مكشوفة ويمكن مراقبتها إضافة إلى منع الموركسيين الموجودين بالداخل من السفر إلى أبعاد معينة من الشواطئ حتى لا يكون هناك أي اتصال مع المغاربة[4]، ثم عمد الإسبان بعد ذلك إلى الانتقام من الموركسيين بتحويلهم إلى عبيد بعد توسع جبهات القتال في الداخل وتعاونهم مع الحملات العثمانية التي استطاعت إنقاذ العديد منهم[5].

أدى تعاون الموركسيين الباقين بالداخل عبر اتصالهم بإخوانهم من أهل المغرب وإعلامهم بالمداخل و المخارج البحرية ومواقع تمركز الجيوش النصرانية، إلى الدقة في الهجمات العسكرية ضد الإسبان دون التعرض للأخطار، هذه الإحداثيات والمعلومات

---

[1] أبو القاسم سعد الله ، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت2003، ص485

[2] المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة الأساطير والواقع، دار القصبة للنشر، الجزائر 2009، ج2، ص61، مفيدة بن يوسف، الجالية الأندلسية بالجزائر وتأثيراتها الحضارية على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني –القرنين السادس عشر والسابع عشر (16-17)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة الجزائر -2- 2010/2011، ص113

[3] كارديياك، المرجع السابق، ص85

[4] عنان، دولة الإسلام، ع4، ص ص384،385

[5] التميمي عبد الجليل ، تراجيديا طرد الموركسيين من الأندلس والمواقف الإسبانية والعربية الإسلامية منها، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس2011، ص49

كان لها الأثر الكبير في وصول الأتراك المورسكيون إلى اسبانيا ونقلهم للعديد من المستضعفين، وإثارة الفزع والخوف لدى الإسبان الذين كانت غالبيتهم تقع تحت طائلة الأسر[1]، وبحسب الرسالة التي بعث بها الملك الاسباني إلى السفير الفرنسي سنة 1566م فإن عدد المورسكيين المجندين ضمن القوة العسكرية الجزائرية بلغ حوالي ستة آلاف فرد[2].

وفي شرشال التي حاول الإسبان غزوها سنة 937هـ- 1531م فقد استطاع المورسكيون بمساعدة الأهالي من التصدي للعدوان وإفشال الغزو ودحر العدو عبر دفاعهم المستميت عن المدينة[3].

ومن مظاهر المساهمة المورسكية في الجيش والجهاد البحري تلك الأعداد الكبيرة التي استشهدت في الحملات التي قادها النصارى ضد السواحل الجزائرية خاصة حملة شارلوكان ضد المدينة سنة(945هـ-1541م) والتي بلغ فيها عدد الضحايا خمسة آلاف شهيد مورسكي[4].

أما داخليا فقد شاركت أعداد كبيرة من المورسكيين في الحملة التي قادها خير الدين سنة(922هـ- 1517م) للقضاء على حميد العيد حليف الإسبان والمستبد بمدينة تنس ونواحيها[5]، وفي الفترة التي استولت فيها القوات الاسبانية على مدينة بجاية سارع سالم التومي[6] الذي عُيّن حاكما لمدينة الجزائر من طرف الثعالبة إلى إبرام اتفاق مع الإسبان، يقر فيه بسيادتهم على المدينة مع دفع الضرائب السنوية وتسليم الجزيرة (صخرة البنيون) التي كانت تمثل نقطة الدفاع الأولى والمتقدمة لمدينة الجزائر ما دفع

[1] غارسيا، المرجع السابق، ص174

[2] Garcia A Mercedes los Moriscoss, Ed national, Madrid, 1975, pp177,178

[3] فكاير، المرجع السابق، ص134

[4] محمد لمين بلغيث ، فصول في التاريخ والعمران بالغرب الإسلامي، ط1، منشورات انتر سيتي، الجزائر 2007، ص70

[5] مفيدة بن يوسف، المرجع السابق، ص178

[6] سالم التومي حاكم الجزائر الذي ارتكز حكمه على دعم الأسبان له. الصلابي ، الدولة العثمانية ، ص210

بعروج إلى نجدة المدينة بعد أن طلب منه أهلها ذلك، وقد ساعدتهم القوات العسكرية التي كان الموركسيين يمثلون ركيزتها الأساسية حتى قضوا على التومي سنة 924هـ-1516م[1].

رغم المساهمة الكبيرة للمورسكيون في الجيش إلا أننا لا نكاد نرى لهم أي أثر في القيادة العسكرية، خاصة في فترة حكم العثمانيين الذين لم يكونوا يسمحوا لغيرهم من تولى المناصب القيادية، ومع ذلك يمكن القول بأن الأندلسيين تفوقوا على غيرهم من أهل البلاد في الكثير من مناحي الحياة ما جعل منهم الفئة المجتمعية الأكثر تبوأ للمناصب العليا في الدولة خاصة في الفترات الأولى من الهجرة بفضل كفاءتهم ومهارتهم في تسيير شؤون البلاد وقد برز دورهم أكثر وزاد نفوذهم مع تزايد أعدادهم.

[1] هلايلي حنيفي ، أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي المورسكي، دار الهدى، الجزائر 2010، ص51

المبحث الثالث:

إسهامات الأندلسيين في المجال الثقافي

يعتبر المجال الثقافي من المجالات التي أبدع فيها المهاجرون الأندلسيون حيث أثرت هذه الجالية بشكل كبير في المدينة التي لم تكن بحسب البكري، سوى ميناء صغيرا لكن توافدهم عليها أسهم بشكل كبير في تغيير مناخها العام فأصبحت حاضرة المغرب الأوسط يقصدها العلماء والفلاسفة والمتصوفة لما كانوا يجدونه فيها من متعة الإقامة[1].

يقول الغبريني في تقييده عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية: "واني قد رأيت أن أذكر في هذا التقييد من عرف من العلماء ببجاية ... من اشتهر ذكره، ونبل قدره، وظهرت جلالته، وعرفت مرتبته في العلم ومكانته"[2]، ثم يضيف بعد ذلك بأنه بقي خلـــق كثير من أهل المائة السادسة ممن لهم جلال وكمال لم يأتي على ذكرهم[3].

لقد كان لهذه الجالية الأثر والفضل في النهضة العلمية والثقافية التي عرفتها المدينة من خلال إسهاماتهم الفكرية، حيث اشتغل العديد منهم في مجال التدريس وشاركوا في التأليف فتركوا تراثا زاخرا، وحيثما حلوا كان النجاح حليفهم في جميع الميادين العلمية والفنية، فغيروا من طريقة التعليم التي كان يعتمدها أهل المغرب الذين كان مذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، ولا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر، وأما أهل الأندلس فأفادهم التفنن في التعلـــــيم وكثرة رواية الشعر والترسل ومدارسة العربية من أول العمر، حصول ملكة

[1] عمار طالبي، الحياة العقلية في بجاية الفلسفة والكلام والتصوف، مجلة أصالة، عدد 19، ص153

[2] الغبريني ، المصدر السابق، ص20

[3] نفسه، ص55

صاروا بها أعرف في اللسان العربي[1].

ونظرا لتفوقهم عن سواهم من أهل البلاد في مجال التعليم فقد كثر الإقبال عليهم إلى الحد الذي جعلهم يحتكرون مهنة التدريس فأقبل عليهم الطلبة من كل حدب وصوب. يذكر التمكروتي في رحلته أن أهل هذه البلاد[2] كان لهم إقبال كبير على طلب العلم لكثرة ما وجد فيها من الكتب التي لم تكن توجد في غيرها من مدن افريقية كلها، فيقول: "والكتب فيها أوجد من غيرها من بلاد افريقية، وتوجد فيها كتب الأندلس كثيرا"[3].

أولا- الحديث

ويقصد به من اشتغل بالحديث رواية ودراية، واطلع على كثير من الرواة والروايات في عصره، وتميز في ذلك حتى عرف فيه خطه واشتهر فيه ضبطه[4]، ولأن الحديث هو المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي فقد اهتم الكثير من أهل العلم بمعرفة الرواة والأسانيد والتحقق من صحتها وأولوها من العناية ما جعل التخصص فيها لأهل الفضل من أهل العلم، حتى ضاهوا أهل المشرق بل فاقوهم في هذا المجال الذي صاروا فيه روادا، وقد تضلع الكثير منهم في تخريج الأحاديث.

يقول الغبريني في التعريف بان سيد الناس وهو من أهل الحديث: كان راوية، حافظا بالحديث، عارفا برجاله وبأسمائهم وبتاريخ وفاتهم ومبلغ أعمارهم، وكان يقوم على البخاري قياما حسنا، وكان إذا قرأ الحديث يسنده إلى أن ينتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم إذا انتهى الإسناد رجع إلى ذكر رجاله، فيبدأ من الصحابي رضي الله

[1] ابن خلدون، مقدمة، ص ص740-742

[2] يقصد بها بلاد الجزائر

[3] التمكروتي علي بن محمد، النفحة المسكية في السفارة التركية، تحقيق: عبد الطيف الشادلي، المطبعة الملكية، الرباط2002، ص129، الطيبي أمين توفيق ، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، تونس 1997، ج2، ص196

[4] الذهبي ، تذكرة الحفاظ، ج1، ص03

عنه فيذكر اسمه ونسبه وصفته وتاريخ ولادته ووفاته وحكايته إن عرفت له، ثم يتلوه بالتابعي كذلك، ولا يزال يتبعهم واحدا فواحدا إلى أن ينتهي إلى شيخه[1].

وممن كان لهم الفضل والسبق ببلاد المغرب الأوسط علما وتدريسا بعد هجرتهم من الأندلس نذكر:

-ابن الخراط (ت518هـ-1185م):

عبد الحق بن عبد الرحمان بن عبد الله الأزدي الإشبيلي، يعرف بابن الخراط، كتب إليه بالإجازة الحافظ أبو بكر ابن عساكر، سكن بجاية وقت زوال الدولة اللمتونية فنشر بها علمه، وصنف التصانيف واشتهر اسمه وبعُد صيته ولي خطابة المسجد ببجاية.

ذكره الحافظ أبو عبد الله الأبار فقال: "كان فقيها حافظا عالمًا بالحديث وعلله عارفا بالرجال موصوفا بالخير والصلاح والزهد والورع ولزوم السنة والتقلل من الدنيا مشاركا في الأدب وقول الشعر، صنف في الأحكام نسختين كبرى وصغرى، وله في الجمع بين الصحيحين مصنف كبير جمع فيه بين الكتب الستة، وله كتاب المعتل من الحديث وكتاب في الرقائق، ومصنفات أخرى وله في اللغة كتاب حافل ضاهى به كتاب الغريبين للهروي، وكتاب المرشد الذي يتضمن حديث مسلم كله وما زاد عليه البخاري وصفه الشيخ أبو مدين شعيب بأنه عمـــــدة الرواة ورأس المحدثين، له تصانيف كثيرة أكثر الناس من تداولها[2]

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص194

[2] السيوطي جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر ، طبقات الحفاظ، مراجعة وضبط لجنة من العلماء، ط(1) ، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان 1983، ص ص 481،482 ، الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج (1)، ص ص 1350-1352 ، ابن فرحون إبراهيم ابن نور الدين، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق:مأمون بن محي الدين الجنان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان1996، ص ص 276،277، الغبريني، المصدر السابق، ص 42، الصفدي المصدر السابق، ج18، ص ص39،40

-ابن رصيص (ت532هـ-1138م):

أحمد بن طاهر بن عيسى بن محمد أبو العباس أصل سلفه من شارقة[1] من عمل بلنسية، انتقل جده إلى دانية[2] وبها ولد أبو العباس هذا ونشأ، كتب الحديث وتفقه في المسائل، محدثا ضابطًا حسن التَّقْييد معتنيا بلقاء الرجال ورعًا فاضلا رحل إلى العدوة فلقي بقلعة حماد أبا مروان الحمداني وبمدينة بجاية أبا محمد المقري وغيرهما، له تصنيف على الموطأ سماه كتاب الإيماء ضاهي بِهِ كتاب أطراف الصحيحين لأبي مسعود الدمشقي وله أيضا مجموع في رجال مسلم بن الحجاج[3].

-عبد الرحمن بن يحيى بن الحسين(ت580هـ-1185م):

أبو القاسم الأُموي، الإشبيلي، الزاهد، روى عن أبي محمد بن عتاب، وأبي القاسم الهوزني، وشريح، وجماعة كُثر، ونزل بجاية، وألّف الجمع بين الصحيحين وأتى فيه بالأسانيد، روى عنه أبو ذر الخشني وغيره، قال عنه الأبار:"كان مقرئا، محدّثا، زاهدا، ورِعًا"[4].

-أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة محمد بن أحمد، الأنصاري الخزرجي (ت582هـ-1187م):

حافظ محدث، من فقهاء المالكية، عرف في شبيبته بحفظه للحديث ذاكرا للتواريخ والقصص، له معرفة بالطب والهندسة والحساب و الشعر، ولد بقرطبة وسكن غرناطة مدة وبجاية أخرى، روى عنه أبو الحسن ابن عتيق بن مؤمن لقيه ببجاية، له تصانيف كثيرة منها: آفاق الشموس في الأقضية النبوية ومختصره، وإشراق الشموس، ونفس

---

[1] شارقة: حصن بالأندلس من أعمال بلنسية في شرقي الأندلس. الحموي، المصدر السابق، مج3، ص307

[2] دانية: مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية على ضفة البحر شرقا.نفسه، مج2، ص434

[3] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص ص43-65، ابن عبد الملك الراكشي، المصدر السابق، س1، ص ص129-131، الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة 1989، ج1، ص226، ابن فرحون، المصدر السابق، ج2، ص ص201،202

[4] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج41، ص400

الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه[1]، التزم إسماع الحديث والتكلم على معانيه واستمر على ذلك صابراً محتسباً ونفع الله به خلقاً كثيراً[2].

-أحمد بن عبد الصمد ابن أبي عبيدة الأنصاري (ت582هـ-1186م):

قرطبي سكن غرناطة مدة وبجاية أخرى، روى عن أبي بكر بن عبد الله ابن العربي وعنه روى أبوا الحسن ابن عتيق لقيه ببجاية، كان مشهورا بالحديث فالتزم إسماعه والتكلم على معانيه ذاكرًا لتواريخه، له عدة مؤلفات منها آفاق الشموس وأعلاق النفوس في أحكام النبي صلى الله عليه وسلم ونفس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه ومقام المدرك في إفحام المشرك مقاطع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان[3].

-أبو العباس أحمد بن علي بن محمد بن عيسى (كان حيا 572هـ-1174م):

أصله من دانية، روى عن أبي العبّاس بن معد الأُقْليجي، وصحِب أبا الوليد بن خـيرة من دانِية إلى بِجاية فقدماها سنة ثلاث وأربعين وخمس مئة، حدَّث وأخذ عنه خلق كثير وانتُفع بعلمه، كان حيًّا سنة اثنتين وسبعين وخمس مئة [4] .

-ابن بشر الأنصاري (كان حيا ق6هـ-12م):

محمد بن الحسين بن أحمد بن يحيى يكنى أبو بكر ويعرف بالميورقي[5] لأَن أَصله منها، سكن غرناطة ورحل حاجّا سنة سبع عشرة وخمسمائة، وعاد إلى الأندلس بعد مدة طويلة فحدث بغير ما بلد، كان فقيها ظاهريا عارفًا بالحديث واسع الرواية عارفا بالعلل

[1] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، مج1، س1، ص420، نويهض عادل ، معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، تقديم: حسن خالد، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت 1988، ج2، ص758، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج41، ص133، الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص150، ابن مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص226، التنبكتي، المصدر السابق، ص69، الصفدي، المصدر السابق، ج7، ص43

[2] ابن فرحون، المصدر السابق، ص215

[3] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س1، ص ص239-241، ابن الأبار، التكملة، ج1، ص76، الصفدي، المصدر السابق، ج7، ص43، الزركلي، المرجع السابق ، ص150، التنبكتي، المصدر السابق، ص69

[4] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص71، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق ، س1، ق1، ص323

[5] نسبة لميورقة جزيرة في شرقي الأندلس بالقرب. الحموي، معجم البلدان، مج5، ص246

وأسماء الرجال، مشهورا بالإتقان والضبط وأسماء الرجال متقنًا لما رواه يغلب عليه الزهد والصلاح، وسار إلى بجاية حيث حدّث هنالك وسمع منه في سنة سبع وثلاثين وخسمائة[1].

-ابن الصميل(ت600هـ-1204م):

أحمد بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عمر الأنصاري يكنى أبو جعفرٍ وأبو العباس رحل إلى المشرق وحج، ولقي ببجاية أبا محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي فسمع عليـــــه جملة من تصانيفِه[2]، كان محدثًا متقنًا ضابطًا، عُني بضبط أصول كتبه وتقييدها، وشيوخه ينيفون على السبعين[3].

-المعافري (ت605هـ-1209م):

علي بن محمد بن علي بن جميل أصله من مالقة، نزل بجاية وأخذ بها عن أبي محمد عبد الحق بن الخراط وغيره من أهل العلم، كان ورعا زاهدا فاضلا حافظا للحديث عارفا بالقراءات إماما في النحو حسن الخط، ولما افتتح صلاح الدين بيت المقدس التمس إماما يكون خطيبه وصاحب الصلاة به، فأجمع من حضر هنالك من العلماء والأفـــــاضل المشار إليهم على أنه لا أحق من أبي الحسن هذا بهذا المنصب فقدمه لذلك[4].

-الزهري (ت611هـ-1215م):

عبد الله بن عبد العظيم بن عبد الملك أصله من مالقة، كان من أهل العناية بالحديث، روى عن عبد الحق بن عبد الرحمن نزيل بجاية[5]، كتب بخطه علما كثيرا، من آثاره:

---

[1] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص359

[2] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س1، ص363

[3] نفسه، مج3، س5، ص502

[4] نفسه، س5، ق1، ص ص315،316

[5] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص ص293،294

كتاب رجال الموطأ، وكتاب في ذكر الأوليات[1].

-أبو الربيع(ت634هـ-1237م):

سليمان الأندلسي المعروف بكثير، من أهل بلنسية، هو الشيخ الفقيه، الأديب المحدث، الحامل المحصل المجيد المتقن له علم بالحديث ومعرفة برجاله، حافظ لأسانيده، محصل لمعانيه، من أهل الضبط والحفظ، وأما الأدب فشأوه فيه لا يدرك، سبق فيه أهل الزمان وأربى، ولمثله في الفصاحة والبلاغة تحل الحبى، قال عنه أبي الحسن الحرالي: "بلغ كثير في رتبة البلدان أن يكون كأوائل العرب يُحتج بشعره، وذلك لما كان انتهى إليه من الفصاحة والبلاغة حتى صارت له طبيعة، وكان سريع البـــــداهة[2]، وهو محدث الأندلس وبليغها ولا نظير له في الإتقان والضبط وصفه ابن الخطيب بالأديب المحدث[3]، تجول في بلاد المغرب ورحل إلى بجاية[4].

-ابن رزين التجيبي(كان حيا سنة649هـ-1252م):

أبو الحسن ابن رزين علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن أبي بكر من أهل مرسية، سكن سبتة مدة ثم انتقل إلى بجاية، قُرأ عليه وسُمع منه كتاب معرفة علوم الحديث[5].

-أحمد ويقال محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمان ابن سليمان بن محمد الزهري(ت655هـ- 1258م)

بلنسي استوطن بجاية، يكنى أبو بكر ويعرف بابن محرز وليس بأبٍ لهم وإنما هو اسم لحق بهم فشُهروا به، وكان بيتهم قديما يعرف بابن القح، كان أحد رجال الكمال علما وإدراكا وفصاحة مع الحفظ بالفقه والتفنن في العلوم والمتانة في الآداب وحفظ

[1] كحالة، المرجع السابق، ج6، ص76

[2] الغبريني، المصدر السابق، ص279

[3] المقري ، نفح الطيب، ج3، ص566

[4] ابن سعيد، المصدر السابق ج 1، ص398

[5] بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمان ، مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح، دار المعارف، القاهرة 1990، ص45

اللغات[1]، مجودا للقرآن العظيم عارفا بوجوه القراءات ضابطًا لها، حافظًا للحديث راوية له ثقة فيما يأثره، ثبتًا فيما يسنده، روى عن أبيه وعن ابن الربيع وعن عثمان بن سعيد بن الحكم، سماه ابن عميرة بالقاضي أبي عامر[2].

-ابن السراج (ت657هـ-1259م):

أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن قاسم الأنصاري عرف بابن السراج، من أهل إشبيلية، من بيت خير ودين، راوية مسند ثقة في ما يحدث به، أخذ العلم عن ابن بشكوال وابن زرقون و أبي القاسم السهيلي، رحل إلى العدوة واستقر ببجاية سنة 647هـ- 1249م، ثم تولى الإقراء بها لمجموعة من مشيخة الأندلس منهم ابن الأبار القضاعي وابن سيد الناس وابن صالح الكناني وغيرهم، عمر طويلا وانتهى إليه العلم بالرواية والأسانيد والحديث، حتى قيل عنه آخر الرواة بالسماع[3]

-ابن سيد الناس(ت 659هـ-1261م):

أبو بكر محمد بن أحمد بن يحي بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري الإشبيلي أصله من أبدة من عمل جيان، قرأ على يد والده الفقيه أبو العباس وعلى الفقيه أبو محمد الزهري وغيرهم من فقهاء المغرب والمشرق، كان راوية حافظا للحديث عارفا برجاله وبأسمائهم ،وكان يقوم على صحيح الإمام البخاري قياما حسنا، وكان إذا قرأ الحديث يسنده إلى أن ينتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو في معرفة القراءات إمام، ولي الصلاة في الجامع الأعظم ببجاية وأقرأ بها وأسمع، وكثر الآخذون

---

[1] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص ص153،154

[2] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س1، ص481

[3] الغبريني المصدر السابق، ص ص 202-204، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س 1، ق1، ص ص 369-371، التجيبي القاسم بن يوسف السبتي، برنامج التجيبي، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس 1981، ص 134

عنه والسامعون منه والمقتادون به، ذُكر أنه كان يستظهر عشرة آلاف حديث بأسانيدها، اعتنى بالحديث قراءة وتقييدا وملاقاة لرواته[1].

-أبو عبد الله محمد بن علي المرسي(ت728هـ-1328م):

الخطيب الراوية، توفي ببجاية سنة ثمان وعشرين وسبعمائة[2].

-عبد الرحمان بن يحي بن الحسن بن محمد القرشي الأموي:

من أهل إشبيلية يكنى أبا القاسم، انتقل من بلده فنزل بجاية وتصدر بها للإقراء فكـــان مقرئا محدثا زاهدا ورعا، له كتاب في الجمع بين الصحيحين مفيد وضعه علي الاستقصاء والتزام الأسانيد حدث عنه أبو محمد عبد الحق الإشبيلي[3].

-ابن عات النفزِي

أحمد بن أبي محمد هارون بن أحمد بن جعفر بن عبد الملك الشاطبي، يكنى أبو عمر، من أكابر المحدثين الجلة الحفاظ المسندين للحديث والآداب يسرد الأسانيـــــــد والمتون ظاهرا فلا يخل بحفظ شيء منها، رحل إلى المشرق ولقي ببجاية أبا عبد الحق الاشبيلي[4].

ثانيا - الفقه

يقول الغبريني على لسان أبي علي المسيلي "أدركت ببجاية ما ينيف على تسعين مفتـــــيا ما منهم من يعرف أبا علي الحسن بن علي المسيلي من يكون، وإذا كان من المفتين تسعون فكم يكون من المحدثين ومن النحاة والأدباء الفقهاء"[5]

---

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص ص 291-297.

[2] ابن قنفد، المصدر السابق، ص343

[3] ابن الأبار، التكملة، ج3، ص ص33،34

[4] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س1، ص ص732-736

[5] الغبريني، المصدر السابق، ص55

-ابن نصرون الأزدِي (ت547هـ -1153م):

أحمد بن عبد اللَّه بن خميس بن معاوية من أهل بلنسية يكنى أبا جعفر سمع أبا محمد القلني وأبا مروان بن الصيقل وأبا بكر بن العربي وأخذ عنهم النحو والأدب، وكان فقيها أصوليًا فرضيًا أديبًا حافظاً للفقه عارفاً بأصوله نحوياً مجيداً في نظم الكلام ونثره، توفي بجزائرِ بني مزغنا سنة سبع أو ثمانٍ وأربعين وخمس مئة ابن نحوِ الأربعين سنة، ودفن بباب الفخارين أحد أبوابها على ساحل البحر[1].

-الكلاعي:

محمد بن عمار يكنى أبو عبد اللَّه من أهل ميورقة ونزل بجاية، روى عن أبي محمد بـن الوليد نزيل مصر، وكان عالما متفننًا، سمع منه أبو بكر ابن العربي ووصفه بالعلم له شعر في فضل مالك يقول فيه:

كن في ذي المذاهب مالكياً مدينياً وسنياً متينـــــــــــا

ومالك الرضى لا شك فيـــه وقد سلك الطريق المستبينا[2].

-علي بن محمد بن عمارة (عاش في ق6هـ-12م):

بلنسي نزل بجاية، وكان فقيهاً عاقداً للشروط[3].

-ابن ياسين النفزي (590هـ-1194م):

محمد بن عبد الرحمان بن عبد الله بن مطرف بن أبي سهل من أهل شاطبة يكنى أبو عبد اللَّه روى عن أبيه أبي زيد وغيره، كان معدودا في الفقهاء والأدباء له حظ من قرض الشعر، وتوفي في العشر الأول من رمضان سنة تسعين وخمسمائة بمدينة بجاية[4].

---

[1] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص54، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق ، مج1، ص327، ابن فرحون، المصدر السابق، ص205

[2] السبتي عياض بن موسى بن عياض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: عبد القادر الصحراوي، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية 1983، ج2، ص167، ابن الأبار، التكملة، ج1، ص ص326،327

[3] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س5 ق1، ص374، مج3، س5، ص374

[4] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص ص79،80

-ابن عزرة التوزري(كان حيا ق 6هـ-12م):

عمر بن أحمد بن عبد الله بن أحمد ويكنى أبو حفص دخل الأندلس طالبا للعلم فلقي بقرطبة أبا محمد بن عتاب[1] وبمرسية أَبا علي الصدفي[2] وبشاطبة أبا عمران بن أبي تليد، وانصرف إلى العدوة فسكن بجاية، وحدث وأخذ الناس عنه وكان من أهل المعرفة بالفقه والبصر بالحديث وُجد تقييد السماع عليه في سنة 532هـ-1138م.

-أبو زكريا يحي بن الحسن اللفتني (كان حيا ق7هـ-13م):

الشيخ الجليل المحدث الحافظ، من أهل الأندلس رحل إلى بجاية واستوطنها وأقرأ بها وأسمع، جلس بجامعها الأعظم إماما[3]، له آراء فقهية منها رأيه في مسألة الغسلات الثلاث التي قيل بوجوب جميعها إلا أنه خالف هذا الرأي وأنكر ذلك على من قال به[4].

-ابن الزيات (ت ق7هـ-13م):

أبو الحسن علي الشهير بابن الزيات العالم الفقيه الصالح الفاضل الحافظ لمذهب الإمام مالك، الشيخ الفاضل المتعبد أبو الحسن، حافظ المذهب محصل له متقن مجيد، قرأ بالأندلس واستوطن بجاية وأقرأ بها وانتفع الناس بعلمه ودينه، ذكر صاحب الدرايـــة أنه كانت تقرأ عليه سائر الكتب المذهبية، مثل التهذيب[5] والتلقين[6] والرسالة[7] وكـــــان وكـــــان

يحفظ أمهات الكتب [8].

---

[1] محمد بن عتاب الفقيه الإمام أبو عبد الله ساد أترابه وألف كتابا فِي الحديث وكان فِي المائة الخامسة في زمن المعتمد بن عباد. ابن سعيد المغرب في حلى المغرب، ص165

[2] أبو علي الصدفي القاضي الشهير الشهيد من أهل سرقسطة، سكن مرسية. المقري، أزهار الرياض، ج3، ص151

[3] الغبريني، المصدر السابق، ص260

[4] التنبكتي، المصدر السابق، ص632

[5] يقصد به التهذيب في اختصار المدونة .الغبريني، المصدر السابقص197

[6] يقصد به تلقين المبتدئ وتذكرة المنتهي. نفسه، ص197

[7] يقصد بها رسالة أبي زيد القيرواني.نفسه، ص198

[8] التنبكتي، المصدر السابق ، ص321، الغبريني، نفسه، ص197، ابن مخلوف، المصدر السابق ، ج1، ص290

-ابن نعيم الحضرمي (ت636هـ-1239م):

أبو محمد عبد الله بن عبد الله الشيخ الفقيه الجليل، الكاتب المحصل، الفاضل الأديب، أحد الأشياخ المنتصبين للتدريس والرواية، أصله من قرطبة ونشأ بتونس، قرأ عليه أناس كثر وسمعوا منه، شرح مقامات الحريري وكتب على خطبتها نحوا من خمسة عشر كراسا، ذكر أنه كان مشرفا ببجاية في مدة السيد ابن عمران من بني عبد المؤمن، وكان المشارف في ذلك الزمان على سنن العدل، والتـــــزام طرق الفضل[1]

-أحمد بن علي الأنصاري(ت639هـ-1242م):

يكنى أبا العباس وأصله من ميورقة[2]، كان فقيها حافظا عاقدا للشروط ماهرا في المعرفة بها، ولمّا تغلب الروم على ميورقة عنوة كان أحمد بن علي الأنصاري ممن انضوى إلى جبلها، فلما نزل الناس منه صلحا في شعبان ثمان وعشرين وست مئة نفذ إلى بِجاية واستعمل في بعض الأعمال[3].

-النفزي(ت 642هـ-1244م):

عبيد الله بن محمد بن عبيد الله، الشيخ الفقيه، العالم العابد المجيد المجتهد، من أهل شاطبة[4]، "كان من أهل العلم والفضل والدين، مستبحرا متفننا عالما بالفقه وأصوله، وعلم العربية والنحو واللغة والأدب، مشاركا في غيرهما من فنون العلوم، له شعر بارع وأدب غض يانع، استفدت الكثير من حديثه، ... وكان له تقدم في علم المنطق وله تقييد على كتاب المفصل، وكان يقوم عليه قياما جيدا،... بلغ من الزهد والورع مبلغا فاضـــلا، وكان على ما كان عليه السلف الصالح في مأكله ومشربه وتصرفه وقضاء

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص325

[2] ميورقة: جزيرة في شرقي الأندلس بالقرب منها جزيرة يقال لها منورقة. االحموي، المصدر السابق، مج 5، ص246

[3] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س1، ص345

[4] شاطبة :مدينة في شرقي الأندلس وشرقي قرطبة، وهي مدينة كبيرة قديمة. الحموي، المصدر السابق، مج3، ص309

حاجته توفي ببجاية وقبره خارج المدينة"[1]

-ابن برطلة(ت661هـ-1263م):

أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان بن أشكورنة الأزدي الشيخ الفقيه المحدث الراوية من أهل مرسية، أخذ العلم عن ابن المرأة[2]، سكن بجاية وولى بجامعها صلاة الفريضة ورُوى عنه بها، ومارس القضاء بمدينة الجزائر وغيرها، وكان من الثقات الإثبات، كانت لـــــه براعة في الأدب، ترأس الوفد الحامل لبيعة أهل مكة شرفها الله لأمير تونس أبي عبد الله المنتصر الحفصي[3]

-أبو محمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد بن عمر الأنصاري(ت675هـ-1275م):

العالم المحصل المجيد المجتهد، أصله من أبدة وجده عمر هو الواصل إلى بجاية مستوطنا، كان يحمل فنونا من العلم والفقه والأصلان والمنطق والتصوف، ناب عن القضاة فكان هو المشاور عندهم والمعول عليه بل هو القاضي على القضاء يرجعون إليه دون أن يتولاه[4] ، كانت له معرفة باللسان ومواقع المعاني مجملة ومفصلة وبالأحكام كلية أو جزئية، قال عنه ابن المطرف بن عميرة: "أما الكتابة فنحن فيها وإياه على نسق، وأما الشرعية فقد انفرد بها عن الناس"[5] من تلاميذه الغبريني أخذ عنه وأثنى عليه.

-ابن يحي الأزدي(ت691هـ-1292م):

أبو الحسن عبيد الله بن عبد المجيد بن عمر، الشيخ الفقيه الولي الصالح العابد الزاهد، من أهل رندة[6]، رحل إلى العدوة وتخير استيطانه ببجاية فاستوطنها، له علم ووقار

---

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص193

[2] إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق أبو إسحاق الأوسي المالقي المعروف بابن المرأة روى الموطأ وَكان فقيها حافظا للرأي ورأس فِي علم الكلام.الصفدي، الوافي، ج6، ص110

[3] الغبريني، المصدر السابق، ص322، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص196

[4] التنبكتي، المصدر السابق، ص280، ابن مخلوف، المرجع نفسه، ص201

[5] الغبريني، المصدر السابق، ص59

[6] معقل حصين بالأندلس من أعمال تاكرنّا، وهي مدينة قديمة على نهر جار.الحموي، المصدر السابق، مج3 ص73

على سنة الفقهاء والصلحاء، كان يزوره القضاة والأمراء ومَن دُونهم للإستفادة من علمه، وكان غير مسامح في شيء مما يخالف ظاهر الشريعة ولا عامل على شطحات المتصوفة[1].

-أبو العباس أحمد بن محمد القرشي الغرناطي(ت692-1296م):

الشيخ الفقيه، الحافظ المتقن، التاريخي المدرس المحدث، يعرف بالغرناطي، حافظ من الحفاظ، قال فيه الغبريني: "سمعت عنه أنه يحفظ تاريخ الطبري، وذكر لي بعض أصحابنا أنه يحفظ الثعلبي في شرح القرآن، وهو ممن لا يشك فيه حفظه، سمعته في مدة حضوره ببجاية وقد جلس يتكلم بالجامع الأعظم شرفه الله بذكره، فظهر من كلامه ما دل على حفظه وإتقانه في نقله، وهو على طريقة جمهور المعتبرين، له اعتناء بالرواية وبالبحث عن الأخبار ومعرفة الرجال، من أهل العصر ومن المتقدمين، وله تآليف وتصانيف، منها على كتاب الله تعالى طالعت بعضها، وكان له اعتناء بأهل العصر، شرع في تأليف ذكر فيه المصنفين من أهل العصر من أهل المشرق والمغرب وكان أعلم الناس بالكتب المصنفة وأحفظهم لأسمائها[2].

-محمد بن محمد بن عيشون بن عمر بن صباح اللخمي (ت بعد720هـ-1320م):

من أهل مرسية وأصله من يكه من أعمالها، فقيه، عارف بالشروط والرجال، رحل إلى بجاية وأقام بها مدة، وروى عن بعض أعلامها مثل محمد بن صالح الكناني الشاطبي[3] نزيل بجاية [4]، كما عني بالعلم وتقييده فكتب كثيرًا وشغف بذلك فأفاد واستفاد واستفاد

منه خلق كثير[5].

[1] الغبيرني، المصدر السابق، ص107
[2] الغبريني، المصدر السابق، ص ص347،348، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص199
[3] محمد بن صالح الكناني الشاطبي المحدث الخطيب بجامع بجاية. ابن قنفد، الوفيات، ص335
[4] ابن القاضي، المصدر السابق، ج2، ص ص69،70، كحالة، المرجع السابق، ج11، ص256
[5] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، مج1، س1، ص648

-أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن هارون الغساني(ت726هـ-1326م):

من أهل ألمرية وأصله من مرسية ويعرف بالمشامري، من أهل الفضل، سكن بجاية وقُدم للخطابة والإمامة بها[1].

-محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمان بن علي بن شبرين(ت747هـ-1347م):

الشيخ الفقيه القاضي المؤرخ الكاتب البارع، أصله من إشبيلية، كان حسن الخط عذب التلاوة لكتاب الله، من أهل الدين والفضل والعدالة، تاريخيا مقيدا محققا لما ينقله، جرى ذكره في كتاب التاج المحلي بما نصه: "خاتمة المحسنين وبقية الفصحاء اللسنيين، إن تكلم أنصت الحفل لاستماعه"[2]، رحل إلى بجاية وسمع بها عن الإمام أبي على ناصر المشدالي وأبي العباس الغبريني[3].

-محمد بن محمد بن عبد الواحد بن أبي القاسم البلوي(ت747هـ-1347م):

أصله من ألمرية، وكان ممن ترفع إليهم الفتوى ببلده، حافظا للفروع بصيرا بالأحكام مشاركا في أصول الفقه وغير ذلك، رحل إلى بجاية وأخذ بها العلم عن ناصر الدين المشدالي[4].

-أبو العباس أحمد بن عثمان بن عجلان القيسي الإشبيلي **(ت 678هـ-1280م):**

كان محدثا فقيها نحويا، متقدما في ذلك كله، مشهورا بالورع والزهد والفضل، معظما عند الخاصة والعامة، قال عنه الغبريني: الشيخ الفقيه الصدر الكبير، العابد المبارك، أبو العباس أحمد ابن عثمان بن عجلان القيسي أحد أعلام الدين، وإمام من أئمة المسلمين، من مشائخ التقـــوى والورع، منزه عن الميل والطمع، له علم وعمل، وصلاح

[1] ابن القاضي ، المصدر السابق، ج1، ص ص129،128
[2] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص239
[3] نفسه، ج2، ص242
[4] ابن القاضي ، المصدر السابق، ج2، ص80

مكتمل، استوطن بجاية مدة من الزمان واقرأ بها وانتفع به الناس[1].

-علي بن محمد بن عمارة

بلنسي نزل بجاية، وكان فقيهًا عاقدًا للشروط[2].

ثالثا- القراءات:

ومقصدها معرفة أحكام التلاوة من خلال ما تواتر من الصحابة عبر القراءات السبع أو القراءات العشر أو غيرها من القراءات، حيث تم التأصيل لها عبر وضع الضوابط والأحكام، ولأن الأندلس قد اشتهر فيها الكثير من أعلام هذا العلم من أمثال أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني صاحب كتاب التيسير، وأبو القاسم محمد بن فيرة الشاطبي صاحب بحر الأماني ووجه التهاني والتي تسمى أيضا بالشاطبية، والذي اختصر فيه القواعد الواردة في كتاب التيسير والتي سهلت للمعلمين والمتعلمين استيعاب فـــن القراءات في بلاد المغرب والأندلس[3]، فلما هاجر أهل هذا الاختصاص إلى بلاد المغرب أسهموا في نشر هذا العلم نذكر منهم:

-عبد الله بن محمد بن يحيى بن فرج بن الزّهيري العبدري(ت540هـ-1146م):

يكنى أبو محمد، نشأ بالمرية، ورحل إلى أبي داود المقرئ فأخذ عنه بدانية، بجامعها القديم في سنة 492 هـ-1099م، ونزل قلعة حماد من العدوة الشرقية فأقرأ بها نحوا من عشرين عاما، ثم انتقل إلـــى بجاية، وأقرأ بها أيضا نحوا من ذلك وأخذ عنه الناس وأقام بها على السنن، حدث عنه أبو العباس بن عبد الجليل التدمري[4].

-محمد بن حسن بن محمد بن يوسف بن خلف الأنصَاري(ت609هـ-1213م):

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص99، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص287

[2] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س5،ق1، ص374، مج3،س5، ص314

[3] أنخيل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1955، ص406

[4] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص258، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج36، ص ص538،539

وقيل محمد بن حسن بن محمد بن عبد اللَّه بن خلف بن يوسف، من أهل مالقة يعرف بابن صاحب الصلاة وبابن الحاج ويكنى أبا عبد اللَّه، كان مقرئا صدرا في أئمة التّجويد، محدثا متقنا ضابطا، نبيل الخط والتقييد، ديّنا، فاضلا، وصنّف في الحديث، ورحل حاجا فلقي في طريقه ببِجاية أبي عبد الله ابن الحرار، وأبي محمد عبد الحق الإشبيلي ابن الخراط، فأخذ عنهم وسمع منهم[1].

-علي بن هشام بن حجاج بن الصعب اللخمي(ت616هـ-1220م):

من أهل اشبيلية، روى بالأندلس عن أبي بكر بن طاهر النحوي ثم رحل إلى بجاية ومكث بها ما يزيد عن الخمسة أشهر لازم فيها أبا محمد عبد الحق بن الخراط رغبة منه ليقرأ عليه ويأخذ منه، كان مقرءا فاضلا عدلا عالما بالقراءات السبع إماما في تجويد القرآن مبرزا في حفظ الخلاف بين القراء، حتى صارت القراءة بضاعته لا يتقدمه أحد في معرفتها[2].

-محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد الأنصاري(ت621هـ-1224م):

من أهل المرية وأصله من بلنسية يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن اليتيم وبابن البلنسي، تعلم القراءات على أبي الحسن ابن هذيل[3] الذي أجازه، ثم تحول إلى بلاد المغرب طالبا للعلم، نزل ببجاية فلقي بها عبد الحق الإشبيلي وسمع منه، كان راوية مكثرا رحالة في طلب العلم عالي الإسناد، وقد رحـــــــل إليه الناس للسماع منه، لكونه من المعدودين المجودين من مقرئي القرآن[4].

-ابن زاهر الأنصاري(ت654هـ-1256م):

---

[1] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص99، ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص52، ابن عبد الملك المراكشي المصدر السابق، ج4، ص182

[2] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س5، ق1، ص ص417،416

[3] الشيخ الإمام المعمر، مقرىء العصر، أبو الحسن، علي بن محمد ابن علي بن هذيل البلنسي انتهت إليه رئاسة الإقراء لعلوه وإمامته في التجويد والإتقان. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج20، ص506

[4] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص ص123،122، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، مج4، س6، ص ص47،46

أبو عثمان سعيد بن علي بن محمد بن عبد الرحمان البلنسي الشيخ المقرئ، من أهل بلنسية، لقي بالأندلس رجال العلم منهم ابن نوح[1]، رحل إلى العدوة واستوطن بجاية وأقرأ بها وأسمع وأُخذ عنه واستفيد منه، له علم بالقراءات وحظ من العربية، محكم الرواية، متقن الدراية، وتخطط بالعدالة ببجاية وكانت صفته، لـــــــم يكن له عمل ولا حرفة ولا خلطة للناس سوى الاشتغال بإقراء القرآن رواية وتفهيما وبسطا وتعليما[2].

-ابن عقاب الجذامي (كان حيا ق7هـ-13م):

يوسف بن ابراهيم بن احمد الشيخ المقرئ المجود، من أهل شاطبة، يكنى بابن عقاب، قـــــرأ بالأندلس على كبار علمائها، وجال بمدنها، وانتقل إلى العدوة فلقي ببجاية العالم أبي الحسن بن أبي نصر[3] والعالم الجليل أبو محمد عبد الحق ابن سبعين[4].

-ابن خيرة(ت634هـ-1237م):

علي بن أحمد بن عبد الله بن محمد من أهل بلنسية، إمام صلاة الفريضة والخطبة بجامعها، تلا بقراءة ورش، رحل حاجا فلقي ببجاية عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي الحافظ فأخذ عنه وأجاز له[5].

-ابن عياش(كان حيا 715هـ-1316م):

محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن خلف بن محمد بن سليمان بن أحمد بن حزب الله بن عامر بن سعد الخير يعرف بالبلفيقي، نشأ بألمرية، عمل بالقضاء والإقراء ببلده،

---

[1] أبو عبد الله محمد بن أيوب بن محمد ابن وهب الأندلسي البلنسي الغافقي العلامة كان رأسا في الفقه، والقراءات، والعربية، وعقد الشروط. الحنبلي، مج7، ص ص62،63

[2] ابن الجزري، المصدر السابق، ج1، ص275، الغبريني، المصدر السابق، ص ص289،290

[3] ابو الحسن علي بن فتح عالم محدث فقيه .الغبريني، المصدر السابق، ص ص82-85

[4] ابن سبعين قطب الدين، المتزهد الفيلسوف.ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري، طبقات الأولياء، تحقيق: نور الدين شريبة، ط2، مكتبة الخانقي، القاهرة 1994، ج1، ص442، الفهري أبي عبد الله محمد بن عمر بن رشيد السبتي، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة والوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار التونسية للنشر، تونس 1982، ج2، ص ص309-313

[5] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق ، س5، ص160، ابن الأبار، التكملة، ج3، ص237

ثم ترمى إلى الرحلة فأخذ عن العلماء والصلحاء بالقطر الغربي ثم رحل إلى بجاية نافضا إياها من العلماء والأدباء وأخذ العلـــــم بها، ثم صرف عنانه إلى الأندلس، فتصرف في الإقراء والقضاء والخطابة[1].

-ابن خضر الصدفي(ت674هـ-1276م):

أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن بن محمد الشاطبي الشيخ الفقيه المقرئ الراوية، له معرفة ورواية واسعة بالقراءة، يقول عنه الغبريني: "ما رأيت أتقن منه في القراءات ولا أضبط منه في طريق الروايات"[(2)]، من تصانيفه: كتاب في مرسوم الخط، وجزء في بيان مذهب ورش في تفخيم اللام وترقيقها، كان يُرغب الطلبة في الأخذ عنه ويعينهم على ذلك، ولم يكن له عمل سوى الاشتغال بالقرآن، استفاد منه خلق كثير في علم القراءات وفي طريق الضبط ما حصلت به المنفعة، ومع ذلك كان قليلا ما يجيز طلابه في طريق القراءات إلا بعد التحصيل الجيد، لقي المشائخ ببجاية، أبو بكر ابن محرز وأبو عثمان ابن زاهر وأبو عبد الله الأبار وأو المطرف ابن عميرة وأبو بكر ابن سيد الناس وأبـو الحسن ابن السراج وأبو عبد الله بن عبد الرحمن بن برطلة وأبو الحسن ابن أبي نصر وغيرهم، عده العبدري آخر من بقي من علماء بجاية[3].

ابن عجلان (ت678هـ-1280م):

أحمد بن عثمان القيسي إشبيلي الأصل أحد أعلام الدين والفقه من أئمة المسلمين، تلا بالقراءات السبع وروى الحديث وتفقه به، أخذ العلم عن أعلام كُثر منهم ابن عصفور بتلمسان وأبي الحسن بن نصر ببجاية وعنه أخذ أبو العباس الغبريني،الذي ذكر بأنه:

---

[1] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص ص143-146، ابن فرحون، المصدر السابق، ج2، ص ص269،270

[2] الغبريني، المصدر السابق، ص85

[3] الغبريني،المصدر السابق، ص86، العبدري، المصدر السابق، ص ص84-92

"استوطن بجاية مدة من الزمن وأقرأ بها وانتفع به الناس علما وعملا"[1]، وكانت له طريقة خاصة بالتدريس، اعتنى فيها بالعربية والحديث والقراءات، "فكان إذا جلس للإقراء يحضر بين يديه الكتب المقروءة عليه، فإذا فتح الطالب الكتاب، أخذ هو الكتـــاب في يده، ويقرأ الطالب وتقع المعارضة، وحينئذ يقع الشرح منه لما يقرأه القارئ وهذا من تثبته وتحوطه رضي الله عنه"[2].

ابن مشون (ت689هـ-1290م):

محمد بن يوسف بن إبراهيم الأمي يكنى أبو عبد الله، نزيل ألمرية وأصله من بلفيق من شرق الأندلس، كان من أساتذة ألمرية ومقرئيها، رحل إلى العدوة وقرأ عن كبار علمائها، وأجاز له الخطيب أبو عبد الله بن صالح الكناني نزيل بجاية وغيره، تصدر بعدها للإقراء فكانت له مشاركة في العربية وتحقق بعلم الحساب والفرائض[3].

-محمد بن صالح بن أحمد بن محمد ابن أبو عبد الله الكناني الشاطبي(ت699هـ-1297م):

الفقيه المالكي المقرئ خطيب بجاية وشيخها بالجامع الأعظم ما ينيف عن ثلاثين عاما، يعرف بابن رحيمة وهو أعلى الناس إسنادا بالشاطبية رواها سماعا، أصله من شاطبة، رحل إلى العدوة واستوطن بجاية، واستجاز وأجاز وروى وأقرأ واستمتع به خلق كثير، كان عالما بالقراءات متقن فيها مجيد لها، وله معرفة بعلم العربية والنحو واللغة والأدب ورواية متسعة في الحديث[4]، قال عنه العبدري: "لم أرى بها (بجاية) من أهـل الشيمة الفضلى أمثل مـــن الشيخ الفقيه ...دأبه على تجويد الكتاب...قرأت عليه جميع

[1] ابن مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص287

[2] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س1، ص ص284،285، ابن الجزري، المصدر السابق ، ج1، ص335، الغبريني، المصدر السابق، ص99

[3] ابن القاضي، المصدر السابق ، ج2، ص58

[4] ابن قنفد، الوفيات ، ص335، الغبريني المصدر السابق، ص79، ابن الجزري، المصدر السابق، ج2، ص137

قصيدة الشيخ الإمام أبي القاسم قاسم بن فيرة الرغيني الشاطبي في القراءات"[1].

-محمد بن أحمد بن حيان الأوسي الأنصاري أبو عبد الله(ت718هـ-1318م):

الشيخ المقرئ المحدث الراوية، أخذ عن جماعة كبيرة من القراء والمحدثين بالأندلس وبلاد المغرب ومصر، رحل إلى بجاية وأخذ بها العلم عن ابن السراج وأجاز له[2].

محمد بن قاسم بن أحمد الأنصاري(ت768هـ-1367م):

من أهل ألمرية وأصله من جيان، يكنى أبو عبد الله ويعرف بالمليلوط، رحل مع أبيه واستقر بالجزائر ثم تحول منها إلى بجاية فأوطنها، وأخذ بها عن محمد بن صالح بن أحمد الكناني الشاطبي نزيل بجاية وعليه كان اعتماده، كان من أهل الفضل والدين غلبت عليه هنالك المعرفة بالمربي فقدم للصلاة والخطبة بالجامع الأعظم لاتفاق أهلها عليه[3].

-يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن محمد بن قاسم بن علي الفهري:

من أهل غرناطة ، يكنى بأبي الحجاج ويعرف بالساحلي، صدر في حملة القرآن، عمـــــل بالخطابة بالمسجد الأعظم بغرناطة، ثم رحل إلى بجاية وأخذ بها العلم عن المشدالى وأبي عبد الله بن يحي الزواوي[4].

-محمد بن الحسن بن محمد بن سعيد الأموي:

كان من المهرة من مجودي القرآن ومتقني آدائه، تلا بالسبع، ومن جلة المحدثين، ولــــه جودة الخط والنبل والوراقة، رحل إلى الحج فلقي ببجاية أبي محمد عبد الله بن محمد المقري فأخذ عنه[5].

-محمد المنت وأبو الحسن علي

[1] العبدري، المصدر السابق، ص ص 84،85، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص252

[2] ابن القاضي ، المصدر السابق، ج2، ص254

[3] نفسه، ص74

[4] ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص347

[5] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س4، ص ص179- 181

عملا بالتدريس ببجاية متخصصين في علم القراءات، إلى أن ولي أبو الحسن الخطابة بالجامع الأعظم، يذكره ابن خلدون حينما يشير إلى يحيى بن محمد بن المنت الحضرمي فيقول: "كان أبوه وعمه قدما على جالية الأندلس وكانا ينتحلان القراءات، وأخذ أهل بجاية عن عمه أبي الحسن علم القراءات، وكان خطيبا بجامع السلطـــان"[1].

-محمد بن محمد بن عبد الله بن معاذ اللخمي:

من أهل إشبيلية، يعرف بالفلنقي ويكنى أبا بكر وأبا عبد الله، عالم بالقراءات، من أدباء إشبيلية، رحل إلى قلعة حماد فقرأ بها على أبي بكر عتيق بن محمد الردائي، وكان إماما فِي صناعة الإقراء على الرواية مشاركا فِي علم العربية والآداب يجمع إلى ذلك براعة الخـــط وجودة الضبط[2]، وله تأليف في القراءات سماه بالإيماء إلى مذاهب السبعة القراء وأرجوزة سماها لؤلؤة القراء[3].

رابعا- اللغة والآدب

أسهمت البيئة الاجتماعية بشكل ملحوظ في الأدب الأندلسي، فقد أنبأنا التاريخ أن عوامهم من أهل الحرف والصناعات كانوا يتذوقون البيان، وينطقون الحكمة ويجري على ألسنتهم العذب من أنواع الكلام وهو ما يشير إليه المقري بقوله: "والنحو عندهم (الأندلسيين) في نهاية من علو الطبقة، حتى إنهم في هذا العصر كأصحاب عصر الخليل وسيبويه، لا يزداد مع هرم الزمان إلا جدّةً، وهم كثيروا البحث فيه وحفظ مذاهبه كمذاهب الفقه، وكل عالم في أيّ علم لا يكون متمكناً من علم النحو فليس عندهم بمستحق للتمييز ... وعلم الأدب المنثور من حفظ التاريخ والنظم والنثر ومستظرفات الحكايات أنبل علم عندهم، وبه يتقرب من مجالس ملوكهم وأعلامهم، ومن لا يكون فيه

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص516

[2] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص ص20،21

[3] الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص24

أدب من علمائهم فهو غفلٌ مستثقلٌ، والشعر عندهم له حظ عظيم، وللشعراء من ملوكهم وجاهة، ولهم عليهم وظائف، والمجيدون منهم ينشدون في مجالس عظماء ملوكهم المختلفة، ويوقّع لهم بالصلات على أقدارهم... وإذا كان الشخص بالأندلس نحوياً أو شاعراً فإنه يعظم في نفسه لا محالة ويسخف ويُظهر العجب، عادةٌ قد جُبلوا عليها"[1]، لذلك ظهر تفوقهم جليا في هذا المجال ما ساعدهم على إظهار ملكاتهم التي بلغوا فيه القمة لما كان لهم من تفنن في مجال اللغة حيث يقول ابن خلدون في ذلك: "وأمّا أهل الأندلس فأفادهم التّفنّن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل ومدارسة العربية من أول العمر، حصول ملكة صاروا بها أعرف في اللسان العربي ... فكانوا لذلك أهل حظ وأدب بارع"[2].

ازدهرت علوم اللغة ونبغ أهلها فأبدعوا في ذلك نثرا وشعرا، لا يضاهيهم في ذلك إلا أهل المشرق، فهذا ابن عياش ت595هـ-1198م وهو من أهل الأندلس كان لكتابته السبق على غيرها وهي التي امتازت بالسجع والجناس والطباق وبعض المحسنات الفنية التي استحسنها أهل العلم وسلكوا مسلكه، وقد مالوا إليه تاركين من هو دونه[3].

كل هذه الملكات وغيرها من أهل الأدب جرى عليها الحال وهاجر الكثير منها إلى المغرب وسنأتي على ذكر من استقر منهم ببجاية عاصمة الحماديين أو مر بها:

-علي بن محمد بن محمد بن شعيب (ت537هـ-1143م):

يكنى أبو الحسن وأصله من أشون ، نزل جزائر بني مزغنا من شرقي العدوة، كان أديباً نحوياً لغوياً حافظاً تاريخياً، واستملى منه أبو محمد بن حبيب " أماليه الأدبية

---

[1] المقري، نفح الطيب، ج1، ص ص221،222، بوحسون عبد القادر، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني(633-962هـ/1235-1554م)، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان 2007-2008م، ص74

[2] ابن خلدون، مقدمة، ص742

[3] السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص493

" المنسوبة إليه فأملاها من ذكره، وهي أمال نبيلة مفيدة شاهدة بفضل حفظ وجودة اختيار وحسن تصرف[1].

-طاهر بن عبد الرحمان بن سعيد بن أحمد الأنصاري(ت540هـ-1146م):

أصله من دانية، عرف بالذكاء والنبل وجودة الفهم والتحصيل، تصدر للتدريس فكانت العربية والأدب مجاله، مع حظ من علم النجامة، وحدّث ببجاية في بلاد بني حماد[2].

-أبو ذر الخشني

مصعب بن أبي بكر بن مسعود بن عبد الله بن مسعود، المحدث المقرئ النحوي الجليل، من عظماء نحاة الأندلس، أصله من جيان وروى بقرطبة عن ابن بشكوال وغيره من علماء الأندلس، أخذ ببجاية عن عبد الحق الأزدي الإشبيلي حتى صار أحد الأئمة المتقدمين ضبطا وتقييدا، إماما في العربية عالما بكتاب سيبويه، اشتغل بالإقراء في بجاية واشبيلية وفاس[3]، أجاز له أبو طاهر السلفي، وكان رئيسا في صناعة العربية عالما بها قائما عليها درسها حياته كلها ورحل الناس إليه فيها مع المعرفة بالآداب واللغات والأخذ بخط من قرض الشعر، وله تأليف في شرح غريب السير لابن إسحاق وتأليف صغير في العروض حدث واخذ عنه جلة من الشيوخ[4].

-التدمري (ت555هـ-1160م):

[1] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س5، ج1، ص388، ج3، ص327، ابن الأبار، التكملة، ج3، ص188

[2] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج2، س4، ص143، ابن الأبار، التكملة، ج1، ص273، السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص18

[3] ابن أبي زرع ، المصدر السابق، ص42

[4] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص188، ابن مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص246

أحمد بن عبد الجليل بن عبد الله يكنى أبو العباس، نشأ بألمرية، وكان عالما بالعربية واللغات والآداب، ومقدما في صنعة الإعراب، ضابطاً للغات، ذو حظٍ من قرض الشعر، سكن بجاية وقتا وألف بها لمحمد بن علي بن حمدون وزير ابن الناصر الصنهاجي كتابا سماه نظم القرطين وضم إشعار السقطين جمع فيه أشعار الكامل للمبرد والنوادر لأبي علي البغدادي، وله كتاب التوطئة فِي العربية، وله شرح في كتاب الفصيح لثعلب وله أيضا في شرح أبيات الجمل للزجاجي كتاب مفيد سماه شفاء الصــدور فــرغ من تأليفــه سنة ثمان وثلاثين وخمسمـــائة، وآخر اختصره منه سمــاه المختزل، وله أيضا كتاب الفوائد والفرائد وكتاب في التوطئة[1].

-محمد بن أحمد بن طاهر الأنصاري(ت580هـ-1185م):

الشهير بالنحوي، من أهل إشبيلية يكنى أبا بكر ويعرف بالخدب أخذ علم العربية عن أبي القاسم بن الرماك وأبي الحسن بن مسلم ورأس أهل وقته فيها، درّس في بلاد مختلفه وكان قائما على كتاب سيبويه وأصول ابن السراج ومعاني القرآن للفراء والإيضاح للفارسي، صار رئيس النحويين بالمغرب في زمانه بلا مدافعة، وأفهمهم لأغراض سيبويه، وأحسنهم قياماً على كتابه، وأنبلهم إشارة إلى ما تضمنه، وله عليه تعليق سماه بالطرر لم يسبق إلى مثله، وكان يحترف بالتجارة ودخل مدينة فاس فرغب إليه أهلها في الإقراء فقعد لذلك وأقام مدة هنالك، أخذ عنه جماعة منهم أبو ذر الخشني وغيره، ثم ارتحل يريد الحج فأقرأ بمصر وبحلب وأقسم أن يقرئ بالبصرة حيث وضع سيبويه كتابه فأقرأ بها وكر راجعا بعد أَداء الفريضة فاختلط في طريقه واستقر بمدينة بجاية على هذه الحال يتكلم في مسائل النحو إلى أن توفي بها، من تلاميذه أبو الحسن بن خروف[2]

[1] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س1، ص ص235،236، ابن الأبار، التكملة،ج2، ص56، السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص321، الزركلي، المرجع السابق ، ج1، ص143، كحالة، المرجع السابق، ج1، ص260

[2] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س5، ص ص648-651، السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص28

-ابن الجنان(ت610هـ-1214م):

أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المعروف بابن الجنان من أهل مرسية، استقر ببجاية وكانت بينه وبين كُتّاب عصره مكاتبات ظهرت فيها براعته، كتاباته شهيرة تُضرب بها الأمثال، عرف بالإبداع والإتقان وجودة الخط، وهو من نظراء ابن المطرف بن عميرة المخزومي، فكثيرا ما كانا يتراسلان بما يعجز عنه الكثيرون من الفصحاء ولا يصل إليه إلا القليل من البلغاء، ومن ذلك ما رد به ابن المطرف على كتابه حيث يقـــــــول: "تحييك الأقلام تحية كسرى وتقف الأفهام دون مداك حسرى[1].

-محمد بن جعفر بن أحمد بن محمد بن جعفر بن سفيان المخزومي(ت632هـ-1235م):

من أهل جزيرة شقر، يكنى أبا عبد الرحمن، كان له حظ من الكلام نثرا ونظما، سمع أباه أبا أحمد بن جعفر ورحل حاجا فلقي فِي طريقه أبا محمد عبد الحق بن عبد الرَّحمن الأشبيلي نزيل بجاية فأخذ عنه وسمع منه بها بعض تواليفه ككتاب التهجد وأجاز له، وروى عنه بالإجازة أبو عبد الله بن الأبار[2].

-ابن دحية الكلبي(ت633هـ-1235م):

أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي الشيخ المحدث الحافظ، من كبار المحدثين من أهل ميورقة، سمع بالأندلس لأبي القاسم بن بشكوال فصار بصيرا بالحديث حسن الخط وافرا في اللغة[3]، استوطن بجاية وروى بها وأسمع، وكان من أحفظ أهل زمانه باللغة حتى صار حوشي اللغــة ولا يحفظ الإنسان من اللغة حوشيها إلا وذلك أضعاف أضعاف محفوظه من مستعملها[4]، له عدة كتب منها:

- التنوير في مولد السراج المنير

---

[1] الغبريني ، المصدر السابق، ص ص349،350، أرسلان، المرجع السابق، ج3، ص ص511،512

[2] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، مج4، س6، ص ص165،166، ابن الأبار، التكملة، ج2، ص ص134،135

[3] أرسلان، المرجع السابق، ص325

[4] الغبريني، المصدر السابق، ص ص269،270، المقري ، نفح الطيب، ج2، ص99

- العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور
- شرح أسماء النبي صل الله عليه وسلم
- النبراس في أخبار خلفاء بني العباس

وله ديوان شعر جمع فيه ترجمة لشعراء المغرب سماه المطرب في أشعار أهل المغرب[1].

-أبو الربيع سليمان الأندلسي(634هـ-1237م):

سبق التعريف به في علم الحديث إلا أن موهبته فاقت ذلك حيث سبق أهل زمانه في الأدب ولمثله في الفصاحة والبلاغة تحل الحبى، قال عنه الحرالي: "بلغ كثيرا في رتبة البلدان أن يكون كأول العرب يحتج بشعره وذلك لما انتهى إليه من الفصاحة والبلاغة حتى صارت له طبيعة، له كتاب الاكتفاء في سير النبي صلى الله عيه وسلم والخلفاء الثلاثة، كما كان له نقد على المؤلفين والمصنفين، ومن جملة نقوده ما كان يقـوله على كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي: ومتى ماتت العلوم حتى تحيي علوم الدين ومازالت حية وما تزال"[2].

-كثير العلياوي(ت636هـ-1239م):

أديب مشهور من أهل إشبيلية، رحل إلى بجاية[3].

-أبو عبد الله محمد بن الجيان المرسى(ت650هـ-1252م):

من أهل مرسية، محدّث، راوية، كاتب بليغ رائق الخط كان من أعاجيب الزمان عالماً بارعاً فى النثر والنظم، تولى الوزارة حيناً لابن هود، وهو الذي كتب على لسانه وصيته الشهيرة لأخيه، ولما استولى النصارى على مرسية سنة 641 هـ-1244م

---

1 المقري ، نفسه، ج2 ، ص104

2 الغبريني ، المصدر السابق، ص ص 279،280

3 ابن سعيد، المصدر السابق، ج1، ص398

غادرها إلى أوريولة، ثم نزح إلى المغرب، واستقر بمدينة بجاية[1]، وكانت بينه وبين كتاب عصره مكاتبات ظهرت فيها براعته[2].

-ابن محرز (ت655هـ-1258م):

أبو بكر محمد بن احمد بن عبد الرحمان بن محمد بن سليمان بن محمد الزهري، يعرف بالشيخ الفقيه الحافظ اللغوي الأديب، احد رجال الكمال علما وإدراكا وفصاحة، من أهل بلنسية، قرأ بالأندلس ولقي بها أفاضل العلماء منهم والده وابن نوح وأبو العطاء بن النذير الفهري وغيرهم، ارتحل إلى بجاية واستوطنها فكان معظما عند أهلها[3]. اشتغل بالتعليم فكانت تقرأ عليه الكتب الفقهية وكتب الحديث وكتب اللغة والأدب لما كان له من تحصيل في هذه الفنون، عرف برأس الجماعة الأندلسية ببجاية فكان وقته لا يخلو من الاشتغال بالعلم يأتيه أهل العلم إلى منزله وعنده مجتمعهم، منهم ابن الأبار وابن المطرف وابن سبعين وغيرهم[4].

-ابن عميرة (ت658هـ-1260م):

أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين أحمد بن عميرة المخزومي، من أهل جزيرة شقر [5] من أعمال جيان، استوطن بجاية مدة طويلة وأقرأ بها ودرّس، وله أدب هو فيه فريد دهـره وسابق أهل عصره والناس يتداولون كتبه ويؤثرونها على كتب غيره ويفضلونها، فكتاباته علمية أدبية جامعة بين كتابة العلماء والأدباء[6].

---

[1] عنان، دولة الإسلام ع4، ص455

[2] الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص29

[3] الصفدي، المصدر السابق، ج1، ص162

[4] الغبريني، المصدر السابق، ص283، المقري، نفح الطيب،ج4، ص66

[5] شقر: جزيرة في شرقي الأندلس. الحموي، المصدر السابق، مج3، ص354

[6] الغبريني، المصدر السابق، ص ص 298-301، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س1، ق1 ص ص150-152

مال إلى الأدب فعد من كبراء مجيدي النظم، وأما الكتابة فهو علمها المشهور وواحدها الذي عجزت عن الإتيان به ثانية الدهر، وأما الكتابة فهو فارسها الذي لا يجارى وصاحب عينها الذي لا يبارى وقـــــدوة البلغاء وعمدة العلماء وصدر الجلة الفضلاء[1].

-ابن الأبار (ت658هـ-1260م):

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمان بن احمد بن أبي بكر القضاعي الشهير بابن الأبار من أهل بلنسية، أخد القراءة عن ابن نوح وصاحب أبو الربيع بن سالم بضعا وعشرين سنة وهو الذي ندبه لوضع كتاب التكملة لصلة [2]. رحل إلى العدوة واستقر ببجاية بعدما أدركته جفوة من أمير تونس، فأقام بها طويلا عاكفا على العلم ونشره[3]، وأقرأ بها وروى وأسمع، برع في اللغة والأدب وتردد بين تونس وبجاية كاتبا ووزيرا، صنف وألف وهو ممن لا ينكر فضله ولا يكاد كتاب من الكتب الموضوعة في الإسلام إلا وله فيه رواية إما بعموم أو بخصوص، له تآليف حسنة منها كتاب اللجين في مراثي الحسين، وكتاب التكملة لكتاب الصلة، وكتاب الحلة السيراء[4]. وصاحب القصيدة السينية التي استصرخ فيـــــــها أمير تونس لنجدة لنجدة

المسلمين في بلنسية والتي كان مطلعها:

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا إن السبيل إلى منجاتها درسا[5].

-ابن عصفور(ت669هـ-1271م):

[1] المقري، نفح الطيب، ج1، ص314، ابن قنفد، الفارسية، ص122

[2] الغبريني، المصدر السابق، ص309

[3] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س6، ص269

[4] عنان، دولة الإسلام ع3 ق2، ص ص 707،706

[5] ابن خلدون، العبر، ج6، ص386، المقري، أزهار الرياض، ج3، ص207

أبو الحسن على بن مؤمن بن محمد بن علي الحضرمي يعرف بابن عصفور، الشيخ الفقيه الأستاذ النحوي من أهل بلنسية، قرأ بها على جماعة من أكابر العلماء مثل أبي الحسن الدباج، ثم ارتحل إلى بجاية واستوطنها وكان بها أستاذا، قرأ عليه خلق كثير وانتفعوا بعلمه، له تآليف في العربية هي من أحسن التصانيف، منها المقرب والإيضاح وشرح أبيات الإيضاح[1]، لقب بحامل لواء العربية فلم يكن عنده ما يؤخذ عنه سوى العربية ولا تأهل لغير ذلك[2].

-أبو عثمان سعيد بن حكم بن عمر بن حكم بن عبد الغني القرشي(680هـ - 1281م):

الشيخ الفقيه، من أهل طبيرة[3] غرب الأندلس، دخل بجاية وبقي بها مدة، ثم انتقل إلى تونس، جمع بين الرواية والدراية وعلو المنصب وبعد الهمة، وله مكارم أخلاق وسخاء ومروءة وانتخاء، وكانت صلاته تصل في كل وقت إلى جماعة من الفقهاء والصالحين ببجاية، له علم بالعربية والأدب، وله نظم ونثر وكتابة مستحسنة، وله مشاركة في العلوم، وله رواية عالية، وكان فصيح القلم واللسان بارع الخط، وهو ممن لا ينكر فضله، ولا يجهل نبله، وكثيرا ما كان يقصده الطلبة وغيرهم فينزل كل واحد منهم خير منزل، ويحله منه خير محل فمن جملتهم الفقيه الأديب البارع أبو الربيع سليمان كثير والفقيه الرواية أبو عبد الله التلمساني[4].

-أبو بكر محمد بن الحسن بن يوسف بن حبيش (أو ابن جيش)اللخمي (686هـ- 1287م):

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص ص317-319

[2] الكتبي محمد بن شاكر ، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق:إحسان عباس،دار صابر، بيروت 1974، مج 3، ص ص 109،110، السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص210، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س5،ق1، ص ص413،414

[3]طبيرة: بالفتح ثم الكسر بلدة بالأندلس. الحموي، المصدر السابق، مج4، ص21

[4] الغبريني، المصدر السابق، ص ص303-306، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، مج2، س4، ص ص30-34

أصله من مرسية وبها نشأ، وتجول ببلاد الأندلس ثم انتقل إلى بجاية ثم إلى تونس التي استقر بها واتصل برجال الدولة الحفصية وبها كانت وفاته، كان شاعراً مجيداً[1].

-أبو جعفر اللبلي (ت691هـ-1292):

أحمد بن يوسف الفهري اللبلي الفقيه النحوي الأستاذ اللغوي أصله من لبلة[2] بالأندلس حيث قرأ وتعلم، ثم ارتحل إلى العدوة وسكن ببجاية وأقرأ بها مدة ثم ارتحل إلى المشرق، كان له علم جليل بالعربية وكان ينبسط لإقراء كتبها، له تواليف كثيرة منها شرح الفصيح وتآليف في الأذكار والإعلام بحدود قواعد الكلام، كما له البغية في اللغة وكتاب في التصريف[3].

-ابن سوادق (ت722هـ-1322م):

أحمد بن عبد الملك الجذامي من أهل ألمرية سكن بجاية الى أن توفي بها ، كان أديبا كاتبا شاعرا بارعا ، ينظم الشعر ويجيد التوشيـــــح ويتصرف في فنون الأدب[4]، ويذكر ابن حجر العسقلاني: "أنه انتقل إلى بجاية ونال من صاحبها حظوة"[5].

-محمد بن أحمد بن عبد الله الهاشمي(ت723هـ-1323م):

يعرف بابن شلبطور، من أعيان أهل ألمرية ومن أهل الحل والعقد بها، له حظ

---

[1] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، مج4، س6، ص184، ابن رشيد السبتي أبي عبد الله محمد بن عمر، رحلة ابن رشيد، دراسة وتحليل: أحمد حدادي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية2003، ج1، ص330، السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص92، محمد رزوق، دراسات في تاريخ المغرب، ط1، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء1991، ص42

[2] لبلة: قصبة كورة بالأندلس كبيرة يتصل عملها بعمل أكشونية وهي شرق من أكشونية وغرب من قرطبة. الحموي، المصدر السابق، مج5 ص10

[3] المقري، نفح الطيب، ج2، ص208، السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص ص402،403، الصفدي، المصدر السابق، ج8، ص192

[4] ابن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص128

[5] ابن حجر، المصدر السابق، س1، ص192

وقسط من حوك الشعر أقام ببجاية مدة من الزمن مع القائد أبو الحسن[1].

-ابن حيان النفزي (ت745هـ-1345م):

محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي الجياني الأَصل الغرناطي المولد والمنشأ، شيخ النُّحاة والبحر الذي لـــم يعرف الجزر بل المد سيبويه وهو إمام النحو، جال فِي بِلاد المغرب وسمع منه ببجاية أَبا عبد الله محمد بن صالح الكنَاني[2].

خامسا- التاريخ

عرفت الكتابة التاريخية في هذه الفترة ازدهارا منقطع النظير، فقد ظهرت كتب التراجم والسير بشكل لافت كان للأندلسيين اليد الطولى فيه، وقد برز بشكل كبير منهم أبو عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبار والذي كانت له العديد من المؤلفات في هذا المجال وهي غاية في الأهمية نذكر منها الحلة السيراء وكتاب التكملة لكتاب الصلة وإعتاب الكتاب وغيرها من الكتب[3]، كما أبدع أبو الخطاب بن دحية الكلبي نزيل بجاية في هذا الميدان أيما إبداع فكان له التنوير في مولد السراج المنير، والنبراس في تاريخ خلفاء بني العباس وتاريخ الأمم في أنساب العرب والعجم[4]، وكذلك محمد بن عبد الرحمان التجيبي نزيل تلمسان وصاحب كتاب معجم رجاله وكتاب مناقب السبطين الحسن والحسين، وهو الذي روى عنه خلق كبير من أهل الأندلس والمغرب[5]، كما كان كان لأبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن قاسم الغرناطي المعروف بابن الأزرق المالقي الذي استقر بتلمسان العديد من المؤلفات في هذا المجال، نذكر منها تحبير السياسة في تحرير الرياسة وهو المؤلف الذي لم يؤلف مثله وقد جمع فيه بين سياسة

[1] ابن القاضي ، المصدر السابق، ج2، ص ص70-72

[2] السبكي، المصدر السابق، ج9، ص278

[3] السمرائي خليل إبراهيم ، عبد الواحد ذنون طه، ناطق صالح مطلوب، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، دار الكتاب الوطنية، بنغازي ليبيا2000، ص350

[4] المقري، نفح الطيب، ج2، ص104

[5] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، مج4، س6، ص389

الدين والدنيا[1]، ولعل أبرز هؤلاء يحي بن خلدون الذي كتب لأبي حمو موسى الثاني وله مؤلف غاية في الأهمية يؤرخ فيه لتاريخ الدولة العبدوادية سماه بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد.

سادسا- التصوف

هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة وقد اختلف الناس في ظهوره كاختلافهم في تعريفه لكن الغالب أن هذا التيار ظهر بعد القرن الثالث الهجري لما ذكره ابن خلدون من أن لفظ الصوفية لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك ببلاد المشرق[2]، أما الأندلس فلم يُعرف به إلا في أواخر القرن الثالث الهجري، ويعتبر محمد بن عبد الله بن مسرة القرطبي العائد إلى الأندلس أول من أدخل هذا التيار إلى البلاد تحت ستار من النسك والورع، فالتف حوله جمهرة كبيرة من الأتباع، واختلف الناس في أمره فمنهم من كان يرتفـــع به إلى مرتبة الإمامة في العلم والزهد والورع، ومنهم من كان يرميه بالزندقة[3].

ثم صار التصوف علما مدوّنا كما وقع في سائر العلوم التي دونت بالكتاب لقول ابن خلدون: "فلما كتبت العلوم ودونت وألف الفقهاء في الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك، كتب رجال من أهل هذه الطريقة(يقصد المتصوفة) في طريقهم فمنهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الأخذ والتّرك كما فعله القشيري في كتاب الرسالة والسهر وردي في كتاب عــوارف المعارف وأمثالهم، وجمع الغزالي بين الأمرين في كتاب الإحياء فدون فيه أحكام الورع والاقتداء"[1].

---

[1] الشفشاوني محمد بن عسكر الحسني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق: محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط 1977، ص24

[2] إحسان إلهي ظهير، التصوف المنشأ والمصادر، ط1، إدارة ترجمان السنة، لاهور باكستان 1986، ص40

[3] عنان، دولة الإسلام، ع1، ق1، ص431

شكل التصوف بعد ذلك أحد أبرز مظاهر الحياة الدينية في المجتمع الإسلامي وأصبح الركيزة الأساسية والمقوم الروحي والثقافي وحتى السياسي والاقتصادي من حيث التأثير في الحياة الاجتماعية، وزاد انتشاره ببلاد المغرب مع بداية القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي مع خروج العديد من أقطاب هذا التيار لا حقا بفعل التضييق الذي مورس بحقهم خاصة في فترة حكم المرابطين الذين كانت لهم نظرة معادية لكل ما هو صوفي. ومع كل التضييق زاد انتشاره ببلاد المغرب، وهو ما تؤكده عديد الأسماء التي ورد ذكرها في المصادر التاريخية التي هاجرت من الأندلس إلى المغرب الأوسط والتي شكلت عاملا أساسيا في انتشار هذا التيار بهذه البلاد خاصة بعد المأساة التي عرفتها الأندلس والتي فقدت على إثرها الكثير من الحواضر الإسلامية بفعل حروب الاسترداد المسيحية التي جعلت الكثير من أهلها يهجرونها.

ساهم قدوم هذه الفئة من المجتمع والتي يأتي في مقدمتهم أبي مدين شعيب الذي استقر أول أمره في بجاية التي لم تكن خاضعة لحكم المرابطين ثم ارتحل بعد ذلك إلى تلمسان التي لم يُقدر له أن يسكنها بل يدفن فيها، ليصبح قبره بمدينة العباد مزارا لأتباعه، في نشر التصوف عبر تدريسه للمصنفات التي أضحت مصدرا روحيا ينهلون منه ما يسد حاجتهم من المعرفة.

كما ساعد الاستقطاب الذي أبداه الموحدون الذين كانت سياستهم تخالف كل السياسات السابقة للدول التي كانت قبلهم، ذلك أن حكام هذه البلاد كانت لهم ميولات صوفية، فقد كان الخليفة عبد المؤمن بن علي (ت558هـ-1163م) قد تلقى تعاليم الصوفية على يد الصوفي أبي محمد عبد السلام التونسي قبل لقائه بالمهدي بن تومرت في رباط

[1] ابن خلدون، مقدمة، ص613

ملالة، وكذلك كان الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن زاهدا متقشفا[1]، حيث سمح لأهل العلم الخوض في عديـــد المسائل التي لم يكن يسمح بها سابقا ما أدى إلى شيوع هذا التيار ببلاد المغرب[2].

وعندما استشعر الموحدون قوة هذا التيار حاولوا الاستفادة منه، ووضعوه تحت المراقبة وذلك باحتوائه وجعله جزءا من نظام الدولة لكسب أكبر قاعدة من الأتباع والمريدين في صالحهم، ليقينهم بالنفوذ الروحي والسلطة الرمزية التي يتمتع بها رموز الطريقة التي تقارع في كثير من الأحيان أصحاب السلطة الفعلية على نفوذهم السياسي، وهو ما يذهب إليه المراكشي بالقول: وانتشر في أيامه (يقصد أبي يوسف يعقوب المنصور) للصـالحين والمتبتلين وأهل علم الحديث صيت، وقامت لهم سوق وعظمت مكانتهم منه ومن الناس[3].

ورغم ما لفق بحق الشيخ أبي مدين شعيب حينما كثر أتباعه ببجاية حيث كثرت الدسائس بحقه حتى استدعاه المنصور إلى عاصمة الخلافة لاستجلاء الحقيقة منه، إلا أن المنية وافته قبل الوصول إليه بالقرب من مدينة العباد، التي أصبحت لاحقا مزارا بعد أن أمر الخليفة الناصر بتشييد ضريح لهـــذا الولي الصالح، الذي انتشرت طريقته بكامل بلاد المغرب.

تغيرت الأمور مع بزوغ نجم الموحدين الذين أعطوا كل الاهتمام للمتصوفة على حساب الفقهاء، فنمت الظاهرة ووجدت لها الكثير من الأتباع وذلك لما كان يراه العامة من بزخ العيش لدى الفقهاء الذين نصبوا أنفسهم للفتوى طلبا للرياسة والظهور الدنيوي وحرصا على جمع حطام الدنيا، بعكس ما كان عليه المتصوفة الذين سلكوا طريق

---

[1] بونابي الطاهر، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 الهجريين/12و13 الميلاديين نشأته – تياراته– دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر(دت)، ص198

[2] الأخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان 633–962هـ/1236–1554م، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي قسم التاريخ جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان 2004–2005، ص215

[3] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص202

الزهد ومجاهدة النفس، ما جعل حكام البلاد يُضفون عليهم لباس الإجلال، وبذلك أصبح للمتصوفة الحيز والنفوذ الكبيرين على حساب الفقهاء الذين لم يكن لهم من بد سـوى التعايش مع الوضع الجديد، بل إن البعض منهم أصبح يرى بأن التصوف والفقه أخوان في الدلالة على أحكام الله[1].

انتشرت حركة الزهد والتصوف في الفترة اللاحقة بشكل يسترعي الانتباه نظرا لعديد الظروف التي أسهمت في ذلك منها الفتن والحروب وكثرة المظالم وابتعاد الناس عن جادة الطريق، إضافة إلى كثرة الآفات الاجتماعية وانغماس الكثير من أهلها في ملذات الحياة الدنيا، فانشغلوا باللهو ومعاقرة الخمر ومخالطة النساء وتقليدهن في أزيائهن حتى صار سلوك العامة من الناس بعيدا عن صحيح الدين.

يقول الشاعر:

أصبحت فيمن له دين بلا أدب ومن له أدب عار من الدين[2].

كل هذه الآفات جعلت الناس يتعلقون بمن يقودهم إلى بر الأمان ويخرجهم من التيه الذي هم فيه، وهنا يربط الطاهر بونابي بين الآفات الاجتماعية وظهور التصوف بقوله: "إن هذه الظاهرة إنما جاءت انعكاسا لما كانت تشهده المدينة، ويبرر ذلك بتطوره بهـــا أكثر من غيرها ما يؤكد التلازم بين انتشار الآفات الاجتماعية وظهور التصوف بكثرة خاصة في حاضرة بجاية"[3].

هذه الأوضاع دفعت بأقطاب التصوف إلى الدعوة إلى العودة إلى الله وسلوك السبيل الصحيح لقول الشاعر:

من كان يرغب في النجاة فماله غير اتباع المصطفى فيما أتـــــى

[1] زروق أحمد ، عدة المريد الصادق، تحقيق: الصادق بن عبد الرحمان الغرياني، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان2006، ص51، كرطالي أمين، الفقهاء والحياة السياسية في المغرب الأوسط خلال القرنين (9–10هـ /15–16م) ، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم والحضارة الاسلامية جامعة وهران، 2013–2014، ص41

[2] ابن القاضي ، المرجع السابق، ج1،2، ص553، بونابي المرجع السابق، ص99

[3] بونابي، المرجع نفسه، ص ص93،94

ذاك السبيل المستقيم وغيـــــره سبل الغواية والضلالة والـــــردى

فأتبع كتاب الله والسنن التـــي صحت فذلك إذا اتبعت هو الهدى[1].

اعتبرت بجاية الأكثر استقطابا للمتصوفة من أهل الأندلس مقارنة بالأعداد التي استقرت في تلمسان أو غيرها من الحواضر، بعد أن توافد عليها الكثير من أقطاب

الصوفية الأندلسيين مؤسسين بذلك النواة الأولى لهذا التيار ومساهمين في تشكيل العديد من الاتجاهات الصوفية التي لم تكن معروفة ببلاد المغرب[2]، ويمكن إرجاع ذلك لعدة عوامل أهمها :

- أن المدينة لم تكن خاضعة لحكم المرابطين الذين ضيقوا على المتصوفة لذلك كـــان استقرارهم بهذه المدينة أكثر من غيرها.

- سلوك الحماديين سياسة الانفتاح تجاه المتصوفة، الأمر الذي جعل متصوفة المغرب والأندلس يلجأون إلى مملكة بني حماد عندما اشتدت بهم النوائب، فكان أول من طـرق بابهم أبو الفضل ابن النحوي[3] الذي فر من المرابطين وفقهائهم سنة 507هـ- 1113م، كما نزح إليها أبو بكر بن الحسين الميورقي بعد محنة قتل شيخه ابن العريف[4] بمراكش سنة535هـ-1141م على يد المرابطين[5].

---

[1] السيوطي جلال الدين ، طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، دار النوادر، الكويت2010، ص106

[2] بونابي الطاهر ، نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط ، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم الجزائر2004، عدد2، ص18

[3] ابن النحوي يوسف بن محمد بن يوسف التوزري أبو الفضل صاحب المنفرجة. ابن قنفد، الوفيات، ص268

[4] محنة ابن خروف كان العبّاد يأتونه ويجتمعون لسماع كلامه، وبَعُدَ صِيتُه، فثار الحسدُ في نفوس فقهاء بلده، فرفعوا إلى السّلطان أنّه يروم الثّورة والخروج كما فعل ابن تومرت، فأرسل ابن تاشفين إليه وقيّده، وحُمِل إلى مراكش، فتوفي في الطريق عند مدينة سلا. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج36، ص ص404، 405

[5] المقري، نفح الطيب، ج2، ص155

- وجود أهم أقطاب التصوف بها مثل أبي مدين شعيب جعل الغالبية من المريديـــن والأتباع وطلبة العلم يقصدونها دون غيرها.

- سقوط الدولة الموحدية وتدهور الأوضاع السياسية بالأندلس شجع الكثير من أهـل العلم والمتصوفة إلى الهجرة إلى بجاية

- اضطراب الأوضاع بالأندلس وتعاظم حركة الاسترداد المسيحية جعلت العديد من أعلام هذا البلد يقصدون بجاية تحديدا حاملين معهم مصنفاتهم في مجال التصوف، حيث نجد كل من أبي الحسن عبيد الله النفري الشاطبي قد أدخل مختصره على حلية الأولياء لأبي النعيم وعمل على تدريسه لطلبته، وكذلك فعل ابن السراج مع قوت القلوب لأبي طالب المكي والإرشاد لأبي المعالي حيث قام بتلقينهما لطلبة العلم، ومثلهما فعل أبي العباس أحمد بن أحمد المالقي حين قام بتدريس كتاب الإرشادات والتنبيهات لابن سينا وبذلك نجحوا في تشكيل اتجاهات صوفية جديدة تميزت بتلازم التيارين السني الذي يمثله أبو مدين شعيب وأتباعه والتيار الفلسفي الـــذي يمثله محي الدين بن عربي وابن سبعين والششتري وأتباعهم.

وفيما يلي ذكر لأهم الأسماء الأندلسية التي هاجرت إلى بجاية وكان لها تأثير كبير في مجال التصوف:

-ابن بشر (ت537هـ-1143م):

محمد بن الحسين بن أحمد بن يحيى الأنصاري يكنى أبو عبد اللّه وأبو بكر ويعرف بالميورقِي لأن أصله منها وسكن غرناطة، وروى عن أبي علي الصدفي، ورحل حاجاً وعاد إلى الأندلس بعد مدة طويلة فحدث في غير ما بلد لتجوّله واخذ عنه الناس، كان فقيهًا صالحًا محدثًا ظاهري المذهب، يغلب عليه الزهد والصلاح عارفاً بالحديث وأسماء الرجال متقناً لما رواه إلتجأ إلى بجاية هارباً من صاحب المغرب، فحـــدّث بها وسُمع

منه[1].

-أبو مدين شعيب (ت594هـ-1198م):

شيخ مشايخ الإسلام في عصره أبو مدين شعيب بن الحسن الأنصاري الولي المشهور،كان من أهل العمل والاجتهاد، منقطع القرين في العبادة والنسك أصله من حصن قطنيانة من عمل إشبيلية، انتقل إلى العدوة ونزل بجاية فأقام بها وكان يفضلها على كثير من المدن ويقول إنها معينة على طلب العلم الحلال ولم يزل بها يزداد حاله رفعة على مر الليالي وترد عليه الوفود وذوو الحاجات من الأفاق[2]، حتى صار من أعيان مشايخ المغرب وصدور المقربين، ملأت شهرته الآفاق وصيرورته إمام الصدّيقين في وقته بلا شقاق[3]، وهو الذي يرجع إليه الفضل في نشر التصوف في سائر بلاد المغرب[4]، وهو سيد العارفين وقدوة السالكين ...وصدرا من صدور الأولياء الصالحين...جمع الله له علم الشريعـــــة والحقيقــة فقصده بالزيـارة الناس من جميع الأقطار.

ذُكر أنه تخرج على يده ألف شيــخ من الأولياء، وجماعة كثيرة من العلماء والمحدثين[5] والمحدثين[5] وكان يلازم كتاب الإحياء ويعكف عليه[6].

-يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن غالب بن محمد بن عبد العزيز (ت604هـ-1207م):

---

[1] ابن الأبار، المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2000 ص139، ابن الأبار، التكملة، ص359، المقري، نفح الطيب، ج2، ص155، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج36، ص450، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، مج4، س6، ص185

[2] ابن الزيات أبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التوفيق، ط2، منشورات كلية الآداب، الرباط 1997 ص319

[3] مقديش محمود ، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: علي الزواوي و محمد محفوظ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان1988، مج2، ص284

[4] Georges Marcais La Berberie Musulmane et Orient en Moyen âge Edition ontaingneParis1946 P293

[5] الغبريني، المصدر السابق، ص 22، ابن مريم، المصدر السابق، ص ص108-114، المقري ، نفح الطيب، ج 7، ص ص 136،137، ابن القنفذ، أنس الفقير، ص92

[6] ابن الأحمر، المصدر السابق، ص257

من أهل مالقة يعرف بابن الشيخ ويكنى أبا الحجاج، رحل حاجا في عقب سنة ستين وخمسمائة فلقي في طريقه ببجاية أبا محمد عبد الحق الإشبيلي وسمع منه تأليفه الكبير في الأحكام الشرعية، كان منقطع القرين في الزهادة والعبادة والصلاح كثير المعروف سهل الخليقة مجتهدا في العمل، يشار إليه بإجابة الدعوة[1]، خلّف مؤلفا كبيرا سماه: كتاب ألف باء للألباء جمع فيه ما جادت به قريحته من أدب وتاريخ ومواعظ.

-ابن سبعين (ت 669هـ-1271م):

أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين من أهل مرسية، رحل إلى العدوة وسكن بجاية مدة، لقيه من أصحابها أناس كثر أخذوا عنه وانتفعوا به في فنون خاصة[2]، لُقب بقطب الدين وانتحل التصوف فمالت إليه العامة والخاصة وكثر مريدوه، انقطع إلى الطريقة داعيا إليها ومحرضا عليها، وله مشاركات في المنقول والمعقول[3]، ذكر ابن الخطيب أن الناس اختلفوا فيه فمنهم من كفره واتهمه بالزندقة ومنهم من عظمه وقلده، وقد حصل له من الشهرة مـــا لم يحصل لغيره، له الكثير من الكتب نذكر منها: كتاب البدو وكتاب اللهو وكتاب بد العارف وكتاب الدرج وغيرها الكثير[4].

-جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيد بونة الخزاعي (ت624هـ-1227م):

الصوفي الكبير الولي الشهير، قرأ ببلنسية وغيرها من بلاد الأندلس، يكنى أبو أحمد الولي، وهو أحد الأعلام المنقطعي القرين في طريق كتاب الله، كان شيخ المتصوفة في وقته وعلا ذكره وبعد صيته في العبادة[5]، أخذ القراءات السبع عن ابن هذيل وسمع منه،

[1] ابن الأبار، التكملة، ج4، ص ص219،220، الذهبي، تاريخ الإسلام، مج13، ص107
[2] ابن الخطيب، الإحاطة، ج 4، ص ص 31،32، الغبريني، المصدر السابق، ص237
[3] التنبكتي، المصدر السابق، ج 1-2، ص 279-280
[4] إبن الخطيب، الإحاطة، مج4، ص 35
[5] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص197

منه، وكان يحفظ نصف المدونة، رحـــل إلى المشرق حاجا فلقي في طريقه جلة من العلماء

والزهاد أشهرهم أبي مدين شعيب فصحبه كثيرا ولازمه وأخذ عنه وانتفع به[1].

-الحرالي (ت637هـ-1241م):

أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحرالي التميمي، الشيخ الفقيه الزاهد الورع بقية السلف وقدوة الخلف أصله من حرالة من أعمال مرسية[2]، ولد بمراكش ورجع إلى الأندلس وأخذ بها عن أكابر العلماء فيها مثل ابن خروف، كان من أعلم الناس بمذهب الإمام مالك متفنناً في كثير من العلوم[3]، من كراماته أن مدينة بجاية أصابها جدب، فأرسل إلى داره من يسوق الماء إلى الفقراء، فامتنعت زوجته كريمة ونهرت رسله فقال للرسول: "قل لها يا كريمة والله لأشربن من ماء المطـــــر الساعة، فرمق السماء بطرفة ودعا الله سبحانه وتعالى ...حتى كان المطر كأفواه القرب"[4].

رحل إلى المشرق وأخذ عن علمائها واتصف بالزهد وتخلى عن الدنيا فكان إماما للتصوف إلى توفي بحماه، صنف في كثير من الفنون كالأصلين والمنطق وله كتاب مفتاح الباب القفل على فهم القرآن المنزل وفي رواية نفح الطيب مفتاح اللباب، وكتاب في المعقولات وبالمجمل هو من العلماء الموسوعيين الذين لا تكاد تجد علم إلا وله فيه تصنيف أو تأليف[5].

-ابن عربي (ت 638هـ-1240م):

---

[1] النباهي أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي، تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق: لجنة التراث العربي، ط5، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت 1983، ص137، ابن الخطيب، الإحاطة ، ج1، ص462

[2] نويهض، معجم المفسرين، ص352

[3] ابن مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص260

[4] المقري، نفح الطيب، ج2، ص ص187-189 ، الصفدي، المصدر السابق ، ج20، ص120، العكري ، المصدر السابق، ج7، ص330

[5] الغبريني، المصدر السابق، ص146

أبو عبد الله محمد بن علي الطائي الحاتمي الشهير بمحي الدين ابن عربي، أصله من مرسية وسكن إشبيلية، رحل إلى العدوة ونزل بجاية في رمضان سنة 597 هـ-1201م[1]، وأخذ العلوم عن حضرة العارف الشيخ أبي مدين شعيب، له من التآليف ما هو أكثر من الكثير في علم التصوف منها كتاب النصوص وكتاب الإسراء إلى المقام الأسري وكتاب مواقـــع النجوم وكتاب المعــارف الإلهية[2]، وذكـــر السخاوي في الضوء اللامع حينما سئل عنه قال: "اختلف الناس فيه ما بين مكفر ومقطب"[3].

-أبو الفضل قاسم بن محمد القرشي القرطبي(ت662هـ-1264م):

قال عنه الغبريني: الشيخ الفقيه، المنقطع الصالح الزاهد الورع المتعبد المستجاب الدعوة، مولده بقرطبة وبها نشأ، حُبب إليه العمل الصالح وبُغضت له الدنيا، حكي عنه بعض فقراء بجاية أن له الكثير من الكرامات[4].

-الششتري (ت668هـ-1270م):

أبو الحسن علي بن عبد الله النميري عروس الفقهاء وأمير المتجردين وبركة لابسي الخرقة، من قرية ششتر من عمل واد آش، كان مجودا للقرآن قائما عليه عارفا بمعانيه، جال الآفاق وآثر التجرد للعبادات وصحب أبا مدين شعيب وابن سبعين، له علم بالحكمة ومعرفة بطريق الصوفية، أسس طريقة صوفية سميت بالششترية وهي فرع من فروع السبعينية[5]، صنف الكتب الكثيرة في التصوف نذكر منها: العروة الوثقى

---

[1] نفسه، ص156،157، عنان، دولة الإسلام، ع3 ق2، ص679

[2] الغبريني، نفسه، ص157

[3] التنبكتي، المصدر السابق، ص549

[4] الغبريني، المصدر السابق، ص174

[5] عبد المنعم الحسني القاسمي ، أعلام التصوف في الجزائر مند البدايات إلى الحرب العالمية الأولى، ط 1، دار الخليل القاسمي، الجزائر 1427هـ، ص239

وكتاب المقاليد الوجودية في أسرار الصوفية والرسالة العلمية والرسالة القدسية في توحيد العامة والخاصة وديوان شعر ذكر منها صاحب فوات الوفيات أكثر من خمسين مؤلفـــا[1]، له مناقب كثيرة ذكـــرها الغبريني في عنوان الدراية، وأضاف عليها:".. وكان لطلبة يرجحونه على شيخه أبي محمد ابن سبعين"[2].

-أبو محمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد الأنصاري(ت 675 هـ-1276م):

الشيخ الفقيه الإمام العالم المحصل الصوفي المحقق المتفنن أصله من أبدة وجده عمر هو الواصل إلى بجاية مستوطنا، كان يحمل فنونا من العلم والفقه والأصلان، أصول الدين وأصول الفقه والمنطق والتصوف، كثرت الاستفادة منه، أثنى عليه الكثير من أهل العلم وقالوا أنه لم يكن في المغرب الأوسط مثله، كما أثنى عليه أبو محمد عبد الحق ابن سبعين في بعض كتبـــه، لـه قصيدة صوفية من نحو 500 بيت لخصها له أبو الحسن علي بن أحمد التجيبي.

أخذ عن أبي الحسن الحرالي وعنه أخذ أبو العباس الغبريني وغيره، عرض عليه قضاء قسنطينية فامتنع[3].

من خلال هذا العرض يمكن أن نقول بأن جل المتصوفة الذين استقروا ببجاية تهربوا أو تعففوا عن تولي عن المناصب الرسمية في الدولة رغبة عند الكثير منهم للتفرغ للعلـــم ولطلبة العلم، في حين كان للعديد منهم أدوارا اجتماعية كبيرة أسهمت بشكل كبير فـــي التصدي للكثير من المصاعب التي حاقت بالمجتمع

سابعا- الطب

يقول ابن خلدون: "وأما الطب فهو صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يتبين

---

[1] المقري ، نفح الطيب، ج2، ص ص 185،186

[2] الغبريني، المصدر السابق، ص239

[3] الغبريني، المصدر السابق، ص57، ابن مخلوف ، المرجع السابق، ج1، ص287، التنبكتي، المصدر السابق، ص280 نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص36

المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن، وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها وما لكل مرض من الأدوية مستدلين على ذلك بأمزجة الأدوية وقواها وعلى المرض بالعلامات المؤذن بنضجه وقبوله الدواء"[1]، ولأن صناعة الطب من الضرورات التي لا غنى للناس عنها حيث وجدوا ومتى وجدوا فهي تختلف عندهم بحسب المواضع وكثرة التغذي وقوة التمييز فتكون الحاجة إليها أمس[2].

انتشرت المعارف العلمية ببلاد المغرب عبر بوابة الأندلس التي شهدت تطورا لم يسبقه إليه قطر من أقطار الدول الإسلاميـــــة في عصره بفعـل المجهودات الجبارة التي بذلها أهل الاختصاص من خلال تصنيفهم للعديد من المؤلفات في هذا المجال إلا أن مهنة الطب من المهن التي شهدت إهمالا كبيرا ببجاية فكانت هذه الصناعة أشد الصنائع ضياعا[3]، رغم الهجرة المكثفة لأهل الأندلس إلا أن قلة منهم مارست هذا التخصص النوعي، ومن خــلال المصادر التاريخية والتراجـم الخاصة بالأعـلام الذين مارسوا مهنة الطب وسكنوا ببجاية نأتي على ذكر:

-أبوالصلت(529هـ-1135م):

أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت من أهل إشبيلية وهو من أكابر الفضلاء في صناعة الطب حيث بلغ فيها مبلغا لم يصل إليه غيره من الأطباء، وكان الأوحد في العلوم الرياضية والموسيقى مجيدا اللعب بالعود[4]، أمتن علومه الفلسفة والتلحين فهو الذي لحن الأغاني الإفريقية وإليه تنسب[1]، نزل بالمهدية عند صاحبها علي بن يحي بن

---

[1] ابن خلدون، مقدمة، ص650

[2] ابن أبي صبيعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق: نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت(دت)، ص17

[3] الغبريني، المصدر السابق، ص76

[4] ابن أبي صبيعة المصدر السابق، ص501، ابن الأبار، المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط3، دار الكتاب المصري القاهرة دار الكتاب اللبناني بيروت1989، ص 56، سعيدوني ناصر الدين ، التجربة الأندلسية بالجزائر مدرسة بجاية الأندلسية

تميم ابن المعز بن باديس، ومنها إلى بجاية التي مكث بها واتصل به علماؤها وبها ولد له عبد العزيز الذي كـــان بارعـــا في لعب الشطرنج وبها توفي[2]، قيل عنه أنه وحيد عصره وفريد دهره والمنفرد بفرائد نظمه ونثره ذو يد قوية في علوم الأوائل[3].

-ابن عتيق(ت598هـ-1202م):

علي بن عيسى بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مؤمن الأنصاري، من أهل قرطبة، حدث ببجاية وغيرها من بلاد العدوة، وكان مشاركا في علم الطب وله تواليف في ذلك[4]، فاق عدد شيوخه المائة وخمسون أكثرهم أعلام ومشاهير صقلوا مواهبــه حتى صار ماهـــرا في علـم الكـــلام والطـــب وموفقـــا في العـــلاج[5]، وكان بصيرا بالقراءات والحديث، يشارك في علم الطّب ونظم الشعر، صنّف في علم الطّب والأصول[6].

-أحمد بن أبي عبد الله محمد بن أبي الخليل مفرج الأموي(ت637هـ-1240م):

أصله من اشبيلية ويكنى أبو العباس، أخذ علم النبات حتى سمي بالعشاب، أجازه أهل المشرق والمغرب حتى صار إمامهما، نزل ببجاية وأخذ العلم بها عن أبو الحسن علـي بن أبـي نصر بن عبد الله، وأبـو محمد بن يبكي، قال عنه ابن فرحون في ديباجه "كان أعجوبة زمانه في معرفة علم النبات وتمييز العشب وتحليلها"[1].

ومكانتها في الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط(ق6-7هـ/12-13م)، محاضرات الندوة الوطنية الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، القسم3، الحضارة والعمارة والفنون، ط1، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض1996، ص94

[1] المقري، نفح الطيب، ج 2، ص ص 105، 106

[2] ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص ص243- 246.

[3] القفطي جمال الدين ، تاريخ الحكماء، تصنيف: جوليوس ليبرت، الهند1908، ص 80، ابن سعيد الأندلسي أبي الحسن علي بن موسى، رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق1987، ص 63

[4] ابن الأبار، التكملة، ج 1، ص ص 221،222 ، ابن القاضي ، المصدر السابق، ج1،2، ص482

[5] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج 5، ص261، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج42، ص360

[6] ابن الجزري، المصدر السابق، ج1، ص493

-أبو العباس أحمد بن خالد(ت660هـ-1262م):

من أهل مالقة، قرأ بالأندلس ومراكش، ولقي جملة من الأفاضل ولازم الفقيه الإمام أبو عبد الله الموماني ملازمة كثيرة، فاقت العشرين سنة، وكان يقول أن مثل هذه المدة لازم أرسطو أفلاطون، كان متحملا لأصول الفقه ولأصول الدين على طريقة الأئمة المتقدمين، وكانت له شركة في الطب، وله مشاركة في الحكمة في الطبيعيات والإلهيات، وكان قليل الكلام كثير الملكة في إمساك نفسه في البحث، جلس للإقراء ببجاية وكان يُقرأ عليه في منزله، من تلامذته الغبريني الذي قال: "قرأت عليه جملة من "الإرشاد"، وجملة من "المستصفى"، وقرأت عليه في بدء أمري بعض "معيار العلم" في علم المنطق، وقرأ عليه بعض أصحابنا "الإشارات والتنبيهات" لابن سينا من فاتحتها إلى خاتمتها، وكان مسدد النظر حسن الفكر"[2].

-ابن أندراس(ت674هـ-1275م):

أبو القاسم محمد بن أحمد الأموي المرسي من أهل مرسية ورد بجاية مستوطنا، حيث تبسط للطب طبيبا باحثا ومدرسا، كان يحضر لمجالسه نبهاء الطلبة ويُجري من الأبحاث ما تعجز الكتب عنه، له رجز نظّم فيه الأدوية واستكمله ببجاية التي وفرت له ظروف العمل والإبداع، ففي جبلها أمسيول تنبت في جمل من النبات المنتفع بها في صناعة الطب مثل البرباريس والقنطوريون والراوند والأسفيوس وغير ذلك من الحشائش[3] ، قال عنه الغبريني: "كان إذا سئل عن المسألة الطبية كثيرا ما يتوقف عن الجواب إلا بعد نظر ورأيت غيره من الأطباء ممن يقصر عن معرفته إذا سئل ساعة ما يسأل يجيب"[4]، اشتغل طبيبا لأمراء بجاية ثم انتقل إلى تونس لدى أميرها المستنصر

---

[1] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، مج1، س1، ص652، ابن فرحون، المصدر السابق ، ج1، ص ص191،192

[2] الغبريني، المصدر السابق، ص73، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص286

[3] الحميري، الروض المعطار، ص ص80،81

[4] الغبريني، المصدر السابق، ص76

حيث أصبح من خاصة أطبائه، واعتبر من كبار الأطباء الأندلسيين في وقته حيث اشتهر في تشخيص الأمراض والتبسط في البحث، إضـافة إلى العلوم الأخرى كالعربية وأصول الدين[1].

-الشقوري(ت741هـ-1340م):

أبو تمام بن علي بن محمد اللخمي أصله من غرناطة عائلته من أهل الفضل والديانة ومن بيت طب، كانت له رحلة إلى المشرق حيث قرأ هناك الطب بالمارستانات في القاهرة المعزية، حذق في العلاج على طريقة المشارقة، وفي أثناء عودته استقر ببجاية لفترة من الزمن منتصبا فيها للطب والمداواة قبل أن يعود إلى بلده، له العديد من

التواليف الطبية التي كان لا يفتر عن الاشتغال بها[2].

ومن المورسكيين الذين برعوا في مجال الطب نجد الطبيب خابيير من بلنسية والذي كان من بين أسرى الحرب أو من نتائج عمليات القرصنة، وكذلك الجراح غارسيا دياس من أهل طليطلة[3].

ثامنا-أعلام أندلسيون آخرون مروا ببجاية

-محمد بن شريح بن محمد بن شريح بن أحمد بن محمد بن شريح بن يوسف بن عبد الله بن شريح الرعيني(ت563هـ-1168م):

من أهل إشبيلية يكنى أبا بكر، صحب أبا بكر بن عربي في رحلته إلى المغرب، وكان من نبهاء بلده ووجوههم والمقدمين فيه بذاته وبسلفه[4].

-عبد اللَّه بن إبراهيم بن الحسن بن منتيال الوراق (ت611هـ-1215م):

---

[1] نفسه، ص75

[2] ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص ص240،241

[3] قشتيلو، المرجع السابق، ص53

[4] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص30، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س4، ص250

من أهل مربيطر وسكن بلنسية يكنى أبا محمد رحل حاجّا فسمع في طريقه من أبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأشبيلي نزيل بجاية[1].

-عبد الملك بن حبيب بن كذا السلمي

ذكر ابن الأبار أن حبيب هذا لما اغتيل بتلمسان سنة خمسة وعشرين وست مائة كان له ولد اسمه عبد الملك كان ببجاية[2]، وهو ليس عبد الملك بن حبيب الذي قال فيه محمد بن عمر بن لبابة : فقيـــه الأندلس عيسى بن دينار، وعالمـــها عبـد الملك بـن حبيب، وعاقلها يحيى بن يحيى[3].

-التميمي(ت720هـ-1320م):

أبو محمد بن عبد الله بن أحمد بن أبي القاسم عبد الرحمان بن عثمان، الشيخ الفقيه القاضي الفاضل، أحـد قضاة العدل وولاة الدين والفضل، رحل مع أبيه إلى بجاية ولقي بها أبا عبد الحق الاشبيلي فأخذ عنه وسمع منه[4].

رغم كل هذا الزخم لم تعد بجاية تلك المدينة الزاخرة بأعلامها حيث صارت إلى غير ذلك بعد أن فقدت بريقها بفعل تناقص طلبة العلم بها، وهو ما نقف عليه في قول العبدري الذي زار المدينة في أثناء رحلته المشهورة والتي بدأها من تلمسان حيث يأتي على ذكر المدينة:"وهذا البلد بقية قواعد الإسلام ومحل جلة من العلماء الأعلام ...غير أنه قد اعتراه من الغير ما شمل في هذا الأوان البدو والحضر، وقد غاض بحر العلم الذي كان به حتى عاد وشلا[5] وعفا رسمه حتى صار طللا[6]، وبه آحاد من طلبة العلم

---

[1] ابن الأبار، نفسه، ج2، ص287

[2] نفسه، ج1، ص229

[3] ابن خاكان، وفيات الأعيان، مج6، ص145

[4] الغبريني، المصدر السابق، ص244

[5] الوشل: الماء القليل. المعجم الوسيط

[6] الطلل: ما بقي شاخصا من آثار الديار وغيرها. معجم المعاني الجامع

قد اقتصروا على مطالعة الصحف والدفاتر، وسلكوا في ترك تصحيح الرواية طريقا لم يرضه الأعلام الأكابر ... ولم ير بها من أهل العلم والفضل غير الفقيه العالم أبي عبد الله محمد بن صالح بن أحمد الكناني الشاطبي[1].

المبحث الرابع:

إسهامات الأندلسيين في المجال الاقتصادي

ساهم الأندلسيون بشكل كبير في المجال الاقتصادي منذ الفترة التي سبقت تأسيس المدينة من طرف الحماديين حيث كانت إحدى المحطات التجارية التي تربط المشرق بالمغرب حيث اشتغل الكثيرا منهم بالتجارة التي ساهمت فيها عدة عوامل منها القرب الجغرافي والموانئ البحرية خاصة ميناء ببجاية، لقول الإدريسي: "بجاية مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد، والسفن إليها مقلعة، وبها القوافل منحطة، والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة، والبضائع بها نافقة، وأهلها مياسير تجار، وبها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء والمشرق وبها تحل الشدود وتباع البضائع بالأموال المقنطرة، ...وبها ما يكفي

[1] العبدري، رحلة العبدري، ص ص83،84

لكثير من البلاد، وبها دار صناعة لإنشاء الأساطيل للقتال ولإنشاء السفن الحمالة والمراكب النقالة... وبها من الصناعات كل غريبة ولطيفة"[1].

لكن مع اشتداد حروب الاسترداد المسيحية ضد المدن الأندلسية هاجر الكثير منهم فرادى وجماعات وتوافدوا على المدينة واستقروا بها بعد أن ساءت أحوالهم إثر المعاملات السيئة التي انتهجتها السلطات الاسبانية ضدهم خاصة بعد سقوط آخر معاقلهم بالجزيرة[2].

ساعد وجود العديد من الورشات الكبرى بالمدينة كصناعة الجلود و النسيج والورق والخزف والحرير والخياطة وغيرها في استقرار المهاجرين، واندمج الكثير منهم بسرعة في المجتمع الجزائري وأصبحوا يسمون بالجزائريين بدل الغرناطيين أو الاشبيليين أو القرطبين[3]، وشكلوا بذلك عنصرا مهما في المجالات الاقتصادية التي باشروها بفضل الثروة الضخمة التي نقلوها معهم من إسبانيا والتي أحيوا بها اقتصاد مدينة الجزائر[4]، وقد تفوقوا على أهل البلاد في مجالات التصنيع التي كانت من اختصاصهم دون سواهم.

أولا- الصناعة

شملت الهجرات الأندلسية لبلاد المغرب الأوسط الكثير من أهل الصنائع والحرف الذين أسهموا في العديد من الصناعات خاصة منها الصناعة الحربية كالأسلحة وتحضير البارود وتطوير صناعة السفن خاصة بميناء الجزائر، الذي وجدت به دار

---

[1] مقديش، المصدر السابق، مج1، ص93

[2] برنشفك، المرجع السابق، ج1، ص417

[3] عبد المجيد قدور، الهجرة الأندلسية إلى المغرب الإسلامي ونتائجها الاجتماعية والحضارية الجزائر كنموذج، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 20، ديسمبر 2003، ص173

[4] هلايلي، المرجع السابق، ص130

لصناعة الأساطيل البحرية السفن الحمّالة[1]، كما اشتهروا بصناعة الطرز والحياكة والزرابي وصناعة الأسترة المرصعة.

ومن أبرز المصنوعات التي برز فيها الأندلسيون وكان لها رواجا كبيرا نجد صناعة الموشي الذهبي الذي نقله أهل مالقة ومرسية وألمرية[2]، ومن أمثلة ذلك ما أسهم به الموركسيون من خلال امتهانهم لصناعة الحرير التي برعوا فيها وكانت سببا في ثراء مدينة الجزائر[3]، بعد أن استطاعت الكثير من الأندلسيات من فتح مصانع صغيرة وورشات تعمل في مجال هذه الصناعة التي كُنّ على دراية كبيرة بها أثناء تواجدهن بالأندلس وقد جلبن هذه الحرفة معهن إلى الجزائر[4]، وقد ارتبطت الكثير من المهن بأسماء من مارسوها مثل الحوكي ابن محمد الأندلسي والحداد محمد الأندلسي وصانع الشواشي الحاج علي بن الحسن الأندلسي والعطار أحمد بن أحمد الأندلسي وصانع الصابون علي بن عمر الأندلسي[5]، ما جعل من مدينة الجزائر مدينة غنية بمشاغلها ومصانعها المتطورة[6].

ومن بين الصناعات التي أبدع فيها الأندلسيون ببجاية نجد صناعة الخزف والزليج وصناعة الجلود خاصة بعد سقوط مدينة قرطبة[7]، وهو ما يذكره المقري عن الصناعة: "ويصنع بغرناطة ثياب اللباس المحررة الصنف الذي يعرف بالملبد ويصنع ببلاد

---

[1] مقيدش، المصدر السابق، ج1، ص93، سعيدوني، دراسات أندلسية، ص22

[2] العبدري، المصدر السابق، ص23

[3] ج.س.كولان، الأندلس، ترجمة: إبراهيم خورشيد و عبد الحميد يونس و حسن عثمان، ط1، دار الكتاب البنانبي ودار الكتاب المصري، بيروت القاهرة 1980، ص144

[4] طيان شريفة ، ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد العثماني، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 1990-1991، ص13

[5] غطاش عائشة ، سجلات المحاكم الشرعية وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بمجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني، مركز البحث في الأنتربولوجية الاجتماعية والثقافية مجلة إنسانيات، وهران1977، عدد3، ص ص69-76

[6] سعيدوني ناصر الدين ، صور من الهجرة الأندلسية إلى الجزائر، المجلة العربية، سبتمبر 1994عدد27، ص ص238،237

[7] عز الدين عمر أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، بيروت 1983، ص230

الأندلس نوع من المفصص يعرف ببلاد المشرق بالفسيفساء تبسط بها قاعات الديار وتعرف بالزليجي يقيمونه مقام الرخام"[1].

ثانيا- الزراعة

لقد كان أهل الأندلس من أكثر الشعوب تطورا في استخدام التقنيات المتطورة في فلاحة الأرض وتربية الماشية وغرس الحدائق وتنظيم الري ومعرفة أحوال الجو، وكل ما يتعلق بفنون الزراعة وخصائص النبات فكانت مزارعهم وحدائقهم مضرب الأمثال في الجودة والعطاء والنماء، وقد استطاعوا بفضل خبراتهم الزراعية من استصلاح الكثير من الأراضي خاصة بنواحي متيجة[2] وشرشال[3] وعلى ضفاف نهر الصومام وبجاية التي تذكر بعض المصادر التاريخية أنها اقتطعت للمهاجرين الأندلسيين الذين وجدوا بها من التشابه مع المدن الأندلسية، ما جعلهم يستقرون فيها، فموقعها الجغرافي الاستراتيجي كان دافعا لنزولهم بها إضافة إلى مناخها الذي يشبه مناخ الأقاليم الأندلسية الشرقية[4]، وبذلك أصبحت المدينة وما حولها بفضل مهاراتهم والتقنيات التي استعملوها تشتهر بزراعة الأشجار المثمرة كالتفاح والبرتقال والزيتون[5]، إضافة لزراعة الأراضي بأشجار التوت واشتغلوا بصناعة الحرير[6]، وهو الأمر الذي أشار إليه مارمول مارمول عن مدينة شرشال التي قصدها الكثير من الأندلسيين فأقاموا على استصلاح الأراضي وزراعة الأشجار المتنوعة من الكروم والزيتون وشجر التوت الذي تقتات

---

[1] المقري، نفح الطيب، ج1، ص202

[2] مَتِّيجَةُ: بفتح أوله، وكسر ثانيه بلد في أواخر إفريقية من أعمال بني حمّاد وهي مدينة على نهر كبير عليه الأرحاء والبساتين ويقال إنها متّيجة ولها مزارع ومسارح وهي أكثر تلك البلاد كتّانا ومنها يحمل وفيها عيون سائحة وطواحين. الحموي، المصدر السابق، مج5، ص53

[3] شرشال: مدينة في المغرب في ناحية برشك بينهما عشرون ميلاً، وهي متحضرة بها مياه جارية وآبار عذبة وفواكه كثيرة. الحميري، الروض المعطار، ص340

[4] سعيدوني، مدرسة بجاية، ص82

[5] سعيدوني، دراسات أندلسية، ص ص21،22

[6] الوزان، المصدر السابق، ج2، ص34

منها دودة القز، والتي يرجح أنها دخلت في الفترة التي سبقت حكم الموحدين فصار الحرير أهم مواردهم"[1].

أما في البليدة فقد غرست ونمقت فيها البساتين حسب النظام الأندلسي وأجروا حولها المياه بصفة فنية غاية في الإبداع، حتى صارت مدينة شاملة جامعة لأنواع الفواكه، والمنتوجات الزراعية ذات الطابع الصناعي خاصة منها الورود التي كان يصنع منها ماء الورد[2]. واستعملت النواعير التي تحركها الدواب، وهو نظام أندلسي انتقل إلى بلاد المغرب وبلاد النصارى في شمال إسبانيا[3]، كما أدخل المورسكيون منتجات زراعية عرفتها شبه الجزيرة الأيبيرية مثل نبات الصبار أو ما سمي بالتين البربري[4]، الذي اشتهرت به العديد من المدن كالقليعة وبرشك إضافة إلى شرشال.

ثالثا- التجارة

ساعدت الخبرة والممارسة التي برع فيها الأندلسيون أكثر من غيرهم خاصة في مجال المعاملات والمبادلات التجارية مع الأوربيين وللتنظيم المحكم الذي اتسموا به وهم بالأندلس[5]، في إحياء الكثير من المدن المغربية التي كانت في حكم الاندثار[6].

كما اعتبر الموقع المميز لمدينة بجاية الساحلية من أهم العوامل التي ساعدت في تمركز الكثير من التجار الأندلسيين بها، حيث أسهمت موانئها في ممارسة العديد من

---

[1] مارمول كربخال، إفريقيا، ترجمة: محمد حجي وآخرون، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط1984، ج2، ص356

[2] سعيدوني، دراسات أندلسية، ص50

[3] بلغيث محمد أمين ، الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ جامعة الجزائر 2002-2003، ج1، ج2، ص530

[4] مرثيديس، المرجع السابق، ص182

[5] رزوق، المرجع السابق، ص48

[6] غيلاني السبتي، دور البحرية الجزائرية والعثمانية في إنقاذ مسلمي الأندلس 1492م-1640، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، جامعة باتنة، الجزائر 2015، العدد14، ص76

الأنشطة الزراعية والتجارية التي ساعدت في استيطانهم بها بعد أن ازدادت الأفواج المهاجرة إليها، حيث استقروا داخلها وخارجها[1].

وفي عهد المورسكيين اتسع النشاط التجاري للأندلسيين خاصة تجارة بيع الأسرى المسيحيين وتمويل مشاريع الجهاد البحري، وقد ظلت هذه التجارة من أهم موارد الجاليات الأندلسية والعامل الحاسم في تنشيط الحركة الاقتصادية بالجزائر[2].

وبفضل هذه الأموال وتلك التي نقلوها معهم استطاعوا أن يشتروا الكثير من الأراضي الفلاحية التي عملوا على تطويرها بعدما أصبحت من الممتلكات الخاصة بهم[3].

المبحث الخامس:

إسهامات الأندلسيين في المجال الاجتماعي

امتاز الأندلسيون بالحفاظ على موروثهم الثقافي والاجتماعي بعد هجرتهم لبلاد المغرب متميزين بذلك عن أهل البلاد في لباسهم ومعيشتهم وأسمائهم رغم مرور الكثير من الزمن على وجودهم بها، وهو ما نقف عليه في مشاهدات الرحالة عبد الباسط بن خليل اللمطي التي ضمنها في كتابه الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم حين نزل بتونس، والتي يبين فيها من خلال ما شاهده أن الجالية الأندلسية كانت محافظة على كل مميزاتها الاجتماعية والثقافية رغم مرور أكثر من ثمانية أجيال على هجرة

[1] برنشفك، المرجع السابق، ج1، ص417

[2] سعيدوني، دراسات وأبحاث، ص141

[3] سعيدوني، دراسات أندلسية، ص23

سكان شرق الأندلس إلى بلاد المغرب[1]، لكن وبرغم التقديس الذي مارسوه بحق هويتهم الأندلسية وخصوصياتهم الموروثة والمكتسبة إلا أن البعض منهم ومع مرور الزمن اندمج في المجتمع حينما أيقن بأن العودة إلى الأندلس أصبحت غير ممكنة وأن هذه الأرض(بلاد المغرب الأوسط) هي أرضهم ووطنهم الجديد، حتى أن الأسماء التي كانوا يتسمون بها مثل الغرناطي والإشبيلي والقرطبي وغيرها من الأسماء تلاشت وأصبح الجميع يعرف لاحقا باسم المنطقة التي يسكن بها[2].

إلا أن ابن خلدون يذكر أن الهجرة الأندلسية أسهمت بشكل كبير في ازدهار الحياة الاجتماعية في العهد الحفصي، حيث يذكر لنا أن العديد منهم نقلوا معهم العديد من مظاهر الحياة الاجتماعية إلى البلاد التي استقروا بها حتى أصبحت هذه البلاد تشبه في مظاهرها أحوال بلاد الأندلس حيث يقول: "وفي أيامهم عظمت حضارة تونس، وكثر ترف ساكنها، وتأنّق الناس في المراكب والملابس والمباني والماعون والآنية"[3]، "وكانت لهم سمات بها لطف أخلاق وشمائل بالنسبة إلى أهل بر العدوة وسائر بلاد المغرب ...لمخالطة من سكن عندهم من أهل إشبيلية من الأندلس"[4].

ذلك أن المجتمع الحمادي كان منفتحا على كل الثقافات وقد ساد قدر من الحرية في العادات اقتربت في كثير من الأحيان حد التفسخ الذي يجب علاجه، وهو ما وقف عليه المهدي ابن تومرت[5] في أثناء رحلته لبجاية التي وجد فيها من الفوضى ما يوجب الثورة على الوضع، ومن ملامح هذا التفسخ أن الصبيان كانوا يلبسون زي النساء ومن اختلاط الرجال بالنساء[6]، وصار الملوك والأمراء من الدولة يعتنون بالمغنين وأهل الفن

[1] الطالبي، المرجع السابق، عدد26، ص79
[2] قدور، المرجع السابق، ص173
[3] ابن خلدون، العبر، ج6، ص ص432،433
[4] القلقشندي أبي العباس أحمد ، صبح الأعشى، المطبعة الأميرية، القاهرة 1915، ج5، ص115
[5] محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي البربري، المدعي أنه علوي، حسني، وأنه المهدي، وأنه الإمام المعصوم. العكري، المصدر السابق، ج6، ص117
[6] البيدق أبي بكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي ابن تومرت، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1971، ص13

عموما ويستخدمونهم في قصورهم ويجلسون إليهم، ويأتي في مقدمة هذه الفنون الفن الأندلسي الذي ساد بفعل الاستيطان الكثيف للجالية ببجاية التي أصبحت في شغفها للموسيقى وانصرافها إلى الطرب شبيهه بمدينة إشبيلية[1].

نقل الأندلسيون معهم مختلف العادات والتقاليد الاجتماعية في الأكل والملبس واصطبغت معيشة البجائيين بالصبغة الأندلسية في العديد من مظاهر الحياة اليومية، ولا يزال إلى اليوم سكان العديد من المدن كشرشال ودلس ينطقون الكثير من المفردات بطابع أندلسي[2]، ذلك أن الطائفة الأندلسية التي حافظت على لهجتها العربية بغرناطة استطاعت أن تساهم في انتشار واستعمال اللغة العربية في المناطق التي كانت تستعمل اللهجة البربرية، بعدما فرضوا على سكان المدن التي استقروا بها استعمال اللغة العربية إلى جانب لهجتهم البربرية، إضافة إلى استعمال بعض المفردات الاسبانية أو ما يعرف بـ: La Langua franka التي أصبحت شائعة في مدينة الجزائر لا حقا[3].

ومن الآثار التي ظهرت مع قدوم الأندلسيين إلى الجزائر ذلك المظهر الخاص بلباس المرأة التي كانت ترتدي سروالا مصنوعا من الكتان وفوقه حايك أبيض اللون من الكتان أيضا وفي أحيان أخرى من الحرير وفي قدميها قبقابا أو خفا من جلد رقيق ذي لون فاقع مطرز بخيوط ذهبية أو فضية[4].

أما في الجانب الديمغرافي فقد كان للهجرة الكثيفة للمدن الجزائرية خاصة تلك التي تلت سقوط غرناطة وعمليات الطرد الأثر الكبير في تعويض النقص الذي شهدته البلاد

---

[1] العكاك عثمان ، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، ترجمة أبو القاسم سعد الله محمد البشير الشنيتي و إبراهيم نجارو، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2003، ص292

[2] يحياوي، المرجع السابق، ص94

[3] طيبي مهدية، نموذج من العائلة الأندلسية في مدينة الجزائر في الفترة العثمانية القرنين 17 -18م من خلال سجلات المحاكم الشرعية وثائق الأرشيف الوطني الجزائري، مجلة الدراسات التاريخية، العدد14، 2012، ص191

[4] طيان، المرجع السابق، ص21

بعد الانهيار الديمغرافي الذي ضرب المنطقة بفعل الأمراض والأوبئة والمجاعات خاصة مدينة الجزائر التي تعرضت إلى انهيار وانكماش بشري، ما جعل هذه الهجرة تكون بمثابة المخلص للمدينة من الأزمة التي تعاني منها وذلك بإعادة الحياة لها[1].

لكن هذه الهجرات المتتالية نحو مدينة الجزائر سرعان ما أدت إلى ارتفاع عدد السكان بشكل لافت شكل ضغطا على المدينة اضطر معه حاكمها إلى تحويل العديد منهم إلى المدن المجاورة والأرياف، ومن ذلك ما حدث سنة 1512م عندما عانى أهل البلاد من المجاعة ما جعل رئيس الشرطة يقوم بإخراج العديد منهم[2].

أما بخصوص اللهجة التي كانت مستعملة فقد كان الغالب عند المورسكيون المتأخرين عدم معرفتهم باللغة العربية، حتى أنهم أخذوا تصاريح من الهيئات الدينية بتعلم الدين الإسلامي عبر تآليف كتبت لهم باللغة الاسبانية إلى أن تم الاستغناء عن ذلك مع مرور الوقت وتعاقب الأجيال اللاحقة وتعلمها في المدارس العربية[3]، وحتى أسماؤهم لم تكن عربية بل كانت إسبانية مدجنة سارعوا إلى تغييرها لاحقا.

لكن في العموم كان الموريسكيون ناقلين للثقافة الإسبانية عبر لغة التخاطب التي كانت بينهم والخط الذي كانوا يكتبون به[4]، كما أسهموا في انتشار التعامل بالنقود الاسبانية بين سكان المدن الجزائرية نظرا لكثرة الطلب عليها بعد ما جلبوا منها الكثير في أثناء هجرتهم من إسبانيا[5].

---

[1] الطالبي، المرجع السابق، ص53

[2] رزوق، المرجع السابق، ص132

[3] غارسيا، المرجع السابق، ص180

[4] غارسيا، المرجع السابق، ص183

[5] سعيدوني، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني(1792-1830)، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص ص195،196

المبحث السادس:

إسهامات الأندلسيين في المجال الفني(المعمار الموسيقى الخط)

أولا- المعمار

منذ الهجرات الأولى وحتى سقوط غرناطة توالى المهاجرين الأندلسيين على أرض المغرب الأوسط وسكن معظمهم بالمدن الساحلية التي عرفت نهضة عمرانية لم تشهدها من قبل، حيث بنيت القلاع والحصون وشيدت المدن على طول الساحل، وقام العديد منهم عقب استقرارهم بها بتأسيس و تعمير مدن جديدة، ورغم أن مدينة بجاية اكتست صبغة الجمال في البناء، وقد شهد عمرانها نهضة كبيرة يصفها لنا صاحب الاستبصار بقوله: "وفي بجاية موضع يعرف باللؤلؤة ... متصل بالمدينة، فيه قصور من بناء ملوك صنهاجة لم ير الراؤون أحسن منها بناءا ولا أنزه موضعا... فجاءت من

أحسن القصور وأتمها منتزها وجمالا"[1]، ورغم أن الإشارات الواردة في هذا النص لا تؤكد بأن للأندلسيين دورا في هذا الازدهار العمراني إلا أن إشارة البكري إلى أن المدينة كانت عامرة بالأندلسيين يعزز من الاعتقاد بأن لهم الفضل الكبير في هذه النهضة العمرانية خاصة بعد أن أعاد إليها المهاجرون جزءا من الفردوس الذي فقدوه ببلادهم، وأصبحت تضاهي حواضر المغرب كلها، ووُجد بها حيٌّ بأكمله سكنته أغلبية من الأندلسيين عُرِف بحي الأندلسيين، فازدهرت المدينة وزاد توسعها وشيدت بها المنازل والمساجد، زيادة عن الأسواق والحمامات والجنان والبساتين، ومن آثارهم كذلك القصور التي شيدوهاعلى النمط الذي عندهم والذي ليس له من المنعة بقدر ما به من الرونق والجمال[2].

لقد كان للصناع والمهندسين الأندلسيين الذين جاءوا لبلاد المغرب أعظم الأثر في نشر معارفهم وفنونهم التي اشتهروا بها، حيث عم الازدهار الحضاري والرخاء في كل بلاد المغرب، فأقام السلاطين على بناء القصور وغرس الحدائق على الطريقة الأندلسية مستعينين في ذلك بمهارات البنائين والنجارين والدهانين لتشييد مايريدون وفق الصنعة الأندلسية.

يذكر ابن خلدون ذلك: "وأما المغرب فانتقل إليه منذ دولة الموحدين من الأندلس حظ كبير من الحضارة ...وانتقل الكثير من أهلها إليها طوعا وكرها، فكان فيها حظ صالح من الحضارة واستحكامها ، ومعظمها من أهل الأندلس ... فأبقوا بها وبأمصارها من الحضارة آثارا"[3].

ومن سمات البناء الأندلسي في بجاية وجود القلاع المزينة جدرانها بالفسيفساء والجص المجزع والخشب المنقوش المزدان بألوان اللازورد العجيبة، حتى أن هذه الأعمال الغنية

[1] الحميري، الروض المعطار، ص ص81،82

[2] مارمول، المرجع السابق، ج2، ص377

[3] ابن خلدون، مقدمة، ص464

تساوي أكثر من قيمة البناء نفسه[1]، إضافة إلى استعمال زاوية الميل في سقف الكثير من المباني ما يجعل منها محمية من العوامل الطبيعية بفعل ذلك الانحدار الخفيف[2]، وبذلك أضحت المدينة ببناياتها ذات صبغة أندلسية تتألف من طابقين وفناء تنفتح عليه كل الغرف وتتوسطه عين ماء أو نافورة أو بئر وبه من الأشجار الكثير، هي الغالبة في البناء[3]، كما أشار إلى ذلك الرحالة مارمول كاربخال بقوله: "أن بعض المباني في أعلى الجبل بمدينة بجاية الحمادية كانت قد بنيت على الطراز والنمط الموركسي[4].

أما في مجال الري فقد أبدعوا في ذلك واستغلوا بعض القنوات القديمة واستعملوها في جلب المياه لمدينة الجزائر[5].

وبالمجمل فقد أسهموا في إعادة بناء وإعمار الكثير من المدن التي سنأتي على ذكرها فيما يلي:

-بناء مدينة شرشال

تعتبر شرشال من المدن التي عمّرها الأندلسيون بعد سقوط غرناطة حيث قصدها أهلها واستوطنوها وأعادوا بناء دورها وقد أصبحوا في مائتي ألف أو يزيدون[6]، وقد تطرق إلى ذلك المؤرخ الإسباني مارمول كاربخال حين أشار إلى المدينة بعد نزوح المهاجرين الأندلسيين إليها حيث قاموا على إحياءها وإعمار ما كان مخربا بها حتى صار عمرانها قائما[7]، والأمر نفسه يذهب إليه الحسن الوزان حين يقول بأن المدينة ظلت لفترة طويلة مدينة مهجورة بسبب الحرب التي كانت دائرة بين الحفصيين والزيانيين حتى أواخر القرن الخامس عشر الهجري حيث قصدها الغرناطيون بعد سقوط

[1] الوزان، المصدر السابق، ج2، ص50

[2] التميمي، تراجيدياطرد الموريسكيين، ص ص68،69

[3] سعيدوني، دراسات أندلسية، ص132

[4] مارمول، المرجع السابق، ج2، ص377

[5] قشتيليو، المرجع السابق، ص50

[6] الوزان، المصدر السابق، ج2، ص34

[7] مارمول، المرجع السابق، ج2، ص356

مدينتهم وأعادوا بناء عدد مهم من دورها وجدّدوا القلعة وأنشأوا فيها صناعة المراكب واشتغلوا بصناعة الحرير، فعاشوا في رخاء دائم حتى أصبحوا يسكنون في مائتين وألف بيت[1].

-بناء مدينة تنس

هذه المدينة أسسها البحريون من أهل الأندلس من البيرة وأهل تدمير في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ، حيث كانوا يُشتُّون بها إذا سافروا من الأندلس، في مرسى على ساحل البحر، فتجمع إليهم بربر ذلك القطر ورغبوا في الانتقال إلى قلعة تنس وسألوهم أن يتخذوها سوقا ويجعلوها سكنى، ووعدوهم بالعون والرفق وحسن المجاورة والعشرة، فأجابوهم وانتقلوا إلى القلعة، وخيموا بها، وانتقل إليهم من جاورهم من أهل الأندلس وغيرهم فكانت من المدن المفضلة لديهم وقد أُولعوا بسكناها والصيد فيها[2].

-بناء مدينة البليدة

يعتبر المهاجرين الأندلسيين المتأخرون المؤسسون الفعليون للمدينة والمعمرون لها حيث طلب الشيخ أحمد الكبير الأندلسي والجالية التي كانت معه من حاكم الجزائر وقتها خير الدين بربروس قطعة أرص يسكنون عليها، فاقتطعهم الأرض التي توجد بها مدينة البليدة الحالية فبنوا عليها مدينة البليدة سنة 942هـ-1536م وشيدوا عمرانها على شاكلة البناء الأندلسي واستوطنونها [3].

-بناء مدينة القليعة

أما مدينة القليعة والتي يعتبر اسمها تصغير لكلمة القلعة ومدلولها يؤكد على هويتها فقد بنها الأندلسيون الذين سكنوا المدينة بعد عمليات الطرد التي طالت

---

[1] الوزان، المصدر السابق، ج2، ص34

[2] البكري، المصدر السابق، ج2، ص242، الميلي، المرجع السابق، ج2، ص109،110

[3] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص61

الموريسكيين الباقين في إسبانيا والذين شيدوها قبالة الساحل لتكون عينهم التي يراقبون بها العدو، ثم ازداد توافد الموريسكيين عليها فتوسع عمرانها[1].

-بناء مدينة تدلس

تعتبر مدينة تدلس أو دلس الموطن الرئيسي للأندلسيين، منذ قدوم معز الدولة بن صمادح من المريّة فارا من المرابطين لما ملكوا الأندلس، تنفيذا لوصية والده، فنزل على المنصور الذي أقطعه تدلس وأنزله بها[2]، فابتنى بها المدينة واستقر بها، وقد شيد بها بعد ذلك من العمارة والبنيان ما جعل الأندلسيين يستقرون بها ويجعلوها موطنا لهم بعد الهجرة التي تلت سقوط آخر معاقلهم بالأندلس، وقد أصبحت المدينة ديار منتزهات وبها من رخص الفواكه والأسعار والمطاعم والمشارب ما ليس يوجد بغيرها مثله[3].

وبالمجمل فإن التأثير الأندلسي في مجال العمران كان كبيرا عبر كل مراحل الهجرة فالفنون والأنماط الأندلسية من بناءات وموسيقى مازالت حية إلى الآن وعلى رأسها الطراز المعماري والحرف الفنية التي عمل الموريسكيون على إحيائها من جديد وأخذت دفعة جديدة[4].

ثانيا- الخط

الخط مظهر من مظاهر العمران والحضارة التي يشيد به ابن خلدون فيقول: "هو صناعة شريفة إذ الكتابة من خواص الإنسان التي يُمَيز بها عن الحيوان، وأيضا فهي تطلع على ما في الضمائر وتتأدى بها الأغراض إلى البلاد البعيدة فتقضي الحاجات ... ويطّلع بها على العلوم والمعارف وصحف الأوّلين وما كتبوه من علومهم وأخبارهم فهي شريفة بهذه الوجوه والمنافع، وخروجها في الإنسان من القوّة إلى الفعل إنّما يكون بالتّعليم وعلى قدر الاجتماع والعمران والتّناغي في الكمالات والطّلب لذلك تكون جودة

---

1 سعيدوني، دراسات أندلسية، ص ص47، 48

2 ابن خلدون، العبر، ج6، ص234

3 الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص259

4 دومينغيز، المرجع السابق، ص288

الخطّ في المدينة إذ هو من جملة الصّنائع[1]، فقد كان لأهل الأندلس التأثير البارز في هذا المجال، حين أقبل عليهم أهل المغرب فعكفوا على التعلم منهم حتى صار للخط العربي منهج تدريس واستقلالية لها معلمون يأخذون بقوانين العربية وتجويد الخط لأن الشأن في تعليم الخط ليس تعلم كل حرف بانفراده بقوانين يلقيها المعلم للمتعلم وإنما يتعلم بمحاكات الخط في الكلمات جملة وتكرار ذلك من المعلم إلى أن تحصل له الإجادة فيصبح مجيدا[2].

وهكذا تغلب خط الأندلسيين على الخط الإفريقي الذي عفا عليه الزمن حتى نسي خط القيروان والمهدية بنسيان عوائدهما وصنائعهما، وصارت خطوط أهل إفريقية كلها على الرسم الأندلسي بتونس وما إليها، و الأمر نفسه حصل في دولة بني مرين بعد ذلك بالمغرب الأقصى حيث غزا لون من الخط الأندلسي هذه البلاد لقرب جرارهم وسقوط من خرج منهم إلى فاس، ونسي عهد الخط فيما بعد عن سدة الملك وداره، كأنه لم يعرف، فصارت الخطوط بإفريقية والمغربين على الرسم الأندلسي بعدما كانت مائلة إلى الرداءة بعيدة عن الجودة[3].

ونظرا لارتباط الخط بالكتابة فقد أصبح الكتاب الأندلسيون نموذجا يُحتدى به في هذا الفن لما كانوا يتمتعون به من اختيار للمفردات واستعمال المحسنات البديعية التي قلدهم فيها الكثير من معاصريهم من أهل المغرب[4]، وقد أفادتنا السير والتراجم بالكثير من الأعلام الأندلسيين التي برزوا في هذا المجال لأن صفة حسن الخط التي تميزوا بها جعلتهم يتبوؤون المناصب العليا في الدولة، ومن ابرز هؤلاء نذكر:

-أحمد بن يحيى بن أحمد بن عمِيرة الضبِي(ت599هـ-1203م):

---

[1] ابن خلدون، مقدمة، ص524

[2] نفسه، ص318

[3] ابن خلدون، مقدمة، ص529

[4] عمارة سيدي محمد، هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط خلال القرن (7هـ – 13م) ودورهم الثقافي، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية جامعة وهران، 1433-1434هـ 2012-2013م، ص122

من أهل مرسية يكنى أبا جعفر وأبا العباس، عظيم الأندلس في الكتابة وفي فنون من العلوم[1]، رحل حاجا فلقي في طريقه ببجاية عبد الحق الإشبيلي وأخذ عنه، كان حسن الخط صحيح النقل والضبط ثقَة صدوقا جلدا على الوراقة محترفًا بها تأثل منها مالا كبيرا وكتب بخطه علما كثيرا[2]، من تصانيفه بغية الملتمس في تاريخ الأندلس ومطلع الأنوار لصحيح الآثار[3].

-أبو محمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد بن عمر الأنصاري(675هـ-1285م):

كان له خطوط جميلة وهو في كل واحد منها ابن مقلة زمانه، يكتب الشرقي والغربي على فنون من ريحاني وتحساني وديواني وغير ذلك من أنواعه، ومن أبدع حاله في خطة إذا بدأ بنوع حكم عليه إلى آخره حتى لا يوجد فيه حرف واحد من غيره، يقول الغبريني: "وقد رأيت كثيرا ممن يشارك بين خطين فيختلط كتبه"[4].

-سعيد بن حكم بن عمر بن أحمد بن حكم بن عبد العزيز بن حكم القرشي:

الشيخ الفقيه الأجل، دخل بجاية وبقي بها مدة[5]، أخذ بها عن أبي الحسن بن أبي نصر البجائي وأبو زكريا بن عصفور التلمسانيان، وأبو العيش بن عبد الرحيم، وأبو العباس بن يوسف ابن فرتون، وصار مقصودا من البلاد النائية مرغوبًا في لقائه من أصنافِ الناس، فانتابه أهل العلم وطلبته من بلاد الأندلس وبر العدوة، فكان يحسِن إليهم ويستجلب ودهم ويجيد القيام بهم ما أقاموا لديه، وكان حسن الخط بارع المنازع فيه، يكتب خطوطا مختلفة كلها نهاية في الحسن، شديد العناية بجمع دفاتر العلم وأعلاق الكتب حتى جمع منها ما لا نظير له كثرة وجودة[6].

---

[1] ابن سعيد، المصدر السابق، ج2، ص363

[2] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص ص83،84

[3] الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص268، كحالة، المرجع السابق، ج2، ص200

[4] الغبريني، المصدر السابق، ص57

[5] الغبريني، المصدر السابق، ص303

[6] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، بقية السفر الرابع، ص ص28،29

-أحمد بن محمد بن حسن بن خضر:

اشتهر في بجاية وتوفي بها، ألّف كتاباً حسناً كثير الفائدة في رسوم الخط وجزءاً في قراءة ورش وجزءاً في بيان مذهب ورش في تفخيم اللام وترقيقها[1]، قد سبق التعريف به.

ثالثا- الموسيقى

عرفت بلاد الأندلس انتشارا كبيرا للموسيقى مع قدوم أبرز أعلامها من المشرق، فبوصول زرياب إلى الأندلس قادما من بغداد شاعت مجالس الطرب بين خاصة القوم من الأمراء والأثرياء، ثم ما لبثت أن انتشرت بين العامة فلم تعد فنًا وحسب بل أصبحت علما متمما للفلسفة والطب ولها علاقة وصلة بالأشعار وخاصة منها الموشحات والأزجال[2]، ويعتبر أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الذي قال فيه المقري "وامتن علومه الفلسفة والطب والتلحين"[3]

أول من أدخل الموسيقى الأندلسية إلى افريقية، ومعه جلب فن الغناء وساهم في انتشاره، فكان له بذلك دورا شبيها بالدور الذي لعبه زرياب بالأندلس، حيث غزت على يديه أمواج الطرب الأندلسية بلاط الحفصيين والمدينة (يقصد بالمدينة بجاية)[4]،

وهو ما نقف عليه في قول المقري عن أبي الصلت: "رحل عن بلده اشبيلية إلى إفريقية وأقام في كنف أصحابها من أمراء الصنهاجيين حيث يرجع إليه الفضل في إدخال الفنون الموسيقية إلى هذه البلاد حتى شاعت فيها الاغاني والموسيقى الاشبيلية"[5].

أما في عهد الدولة النصرية فقد بلغ الغناء مداه في الانتشار حتى عمت به الدكاكين والمحلات، وصار أهل البلاد يُعرفون بحبهم للفن وميلهم للغناء والطرب والرقص[1].

---

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص59ن ابن مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص287

[2] الطالبي، المرجع السابق، ص71

[3] المقري، نفح الطيب، ج2، ص105

[4] الطالبي، المرجع السابق، ص72

[5] نفسه، ص72

واستنادا إلى ما أورده ابن خلدون عن جالية الأندلسيين التي استوطنت بجاية وتونس يظهر لنا جليا مدى التأثير الذي أحدثوه بهذه البلاد في مجال الطرب والغناء، حيث استعملوا فيه من الآلات الحديثة التي لم تكن معروفة قبل وصولهم لها، ومنها بعض الآلات الموسيقية التي كانت تستخدم لدى الغرناطيين وبعض المدجنين مثل الغيطة وهي عبارة عن قصبة جوفاء بأبخاش في جوانبها معدودة ينفخ فيها فيخرج الصوت من جوفها، وكذلك البوق وهو آلة من نحاس أجوف في مقدار الذراع يتسع إلى أن يكون انفراج مخرجه في مقدار دون الكف في شكل بري القلم، وكذلك القانون والرباب، وهي الآلات التي وجدت لها مكانا بهذه البلاد والبلاد المجاورة لها كتونس التي أصبحت فيها الموسيقى امتدادا للموسيقى الأندلسية[2].

ومع توالي هجرة الأندلسيين إلى العدوة حملوا معهم ما جادت به قرائحهم من فنون وموسيقى وأورثوها لأهل المغرب فصارت صناعة الغناء بهذه البلاد على أزمان الطوائف حين أخذ بها البربر عملا بناموس الانقياد والتقليد[3]، يقول في ذلك ابن خلدون: "فأورث بالأندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه إلى أزمان الطوائف، وطما منها بإشبيلية بحرا زاخرا وتناقل منها بعد ذهاب غضارتها إلى بلاد العدوة بإفريقية والمغرب وانقسم على أمصارها[4].

ومن الطبوع التي انتشرت ببلاد المغرب وهي في الأصل من تراث أهل الأندلس فن الموشح، الذي يعتبر من اختراعات أهلها التي استحسنها أهل المشرق وساروا ينزعون منزعهم، بعكس ما يقول به البعض من أن هذا الفن جاء مع من ارتحلوا من بلاد المشرق إلى بلاد المغرب، وفي استدلال لهذا الرأي نستدل برأي ابن سناء الملك(ت608هـ-1212م) وهو مشرقي يعزو تقصيره في نظم الموشحات إلى عدم

---

[1] الطوخي أحمد محمد ، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1997، ص130

[2] نفسه، ص133

[3] عويس، المرجع السابق، ص242

[4] ابن خلدون، مقدمة، ص540

تربيته ونشأته في كنف بيئة أندلسية فيقول: "وكيفما كانت موشحاتي تكون لتلك الموشحات -(الأندلسية)- كظلها وخيالها، وأشهد أنها ناقصة عن قدر كمالها، واعذر أخاك فإنه لم يولد بالأندلس ولا نشأ بالمغرب، ولا سكن بإشبيلية ولا أرسى على مرسية[1]، وهو الأمر نفسه الذي يذهب إليه ابن خلدون حين يدلل على ذلك: "وأما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فناً سموه الموشح"[2]، وهو فن مستحدث من فنون الشعر إلا أنه لا يتقيد بالمنهج التقليدي الذي سارت عليه القصيدة العربية في وزنها وقافيتها وإنما هم متحرر ويتميز بتغيير الوزن والقافية كلما استدعت الحاجة إلى ذلك، إلا أنه لا يخالف في ميزاته و خصائصه القصيدة العربية ولم يخرج فيها عن مذهب الإعراب إلا قليلا[3].

وقد تحدث الصوفي أبو مدين شعيب في هذا الفن والذي كان يُعبَر عنه بالمكفر لأن صاحبه ينظمه ليكفر به عن الذنوب بكثرة ذكر الموت فيقول:

أنت قد سقيت شـــــــارب   من رائق كان أو كدر

سهمك في الغير فيك صائب   ما لك من نصله مفر[4]

كما كان لمحمد بن أرفع رأسه الذي أجاد في هذا الفن وفاقت شهرته بلاد الأندلس إلى بلاد العدوة فصارت موشحاته تغنى في بلاد المغرب[5].

---

[1] أدي ولد آددب، المفاضلات في الأدب الأندلسي الذهنية والأنساق، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر2015، ص361، أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن سناء الملك، دار الطراز في عمل الموشحات ، تحقيق: جودت الركابي، ط3، دار الفكر، دمشق1980، ص 39

[2] ابن خلدون، مقدمة، ص817

[3] الجراري عباس ، الموشحات، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط المغرب، عدد2، 1961، ص33

[4] عناني محمد زكريا ، ديوان الموشحات الأندلسية، ط2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1986، ص51

[5] ابن سعيد، المصدر السابق، ج2، ص18

نقل الأندلس من كنوز الموسيقى ما كانت تزخر به بلادهم فصارت هذه البلاد وارثة لفنونها[1]، وقد تميز أهلها بلطف معشرهم ورقة شعورهم وميلهم الفطري إلى تذوق الفن حتى صارت المدينة شبيهة بمدن الأندلس في شغفها بالموسيقى وانصرافها إلى الطرب. ويرجح أن يكون هذا الانتشار الذي عرفته المدية راجعا للمنع الذي مارسه المرابطون بحق كل من يمتهن هذا الطبع من الفنون، فكانت الوجهة المفضلة للكثير منهم مدينة بجاية بحكم أنها لم تكن تحت سلطانهم فاستوطنوها، وقد صار أهلها بعد ذلك ميالون الى المرح والرقص لا سيما منهم الأمراء الذين كانوا منفتحين على كل الثقافات وميالين لأهل الفن الذين منحوهم كل الرعاية واستخدموهم بقصورهم[2]، ولم تكن بجاية وحدها التي اشتهرت بالمرح بل نجد أن الكثير من المدن كانت بنفس الميزة، فهذا مارمول كاربخال يقول في أهل تدلس: "وسكانها ما بين صباغ وصياد والكثير منهم مولع بالضرب على العود والقيتار[3]. والأمر عن أهل تدلس يذكره الحسن الوزان بعد زياته للمدينة فيقول: "يقضون حياة مرحة فيكاد كل منهم يحسن العزف على العود والقانون"[4].
يمكن القول بأن الموسيقى الأندلسية إرتبطت بشكل كبير في بجاية بالمتصوفة وأهل الكلام خاصة القصائد الروحية الخاصة بالمدح والتوسل وذكر مناقب الأولياء والصالحين، وهو ما نقف عليه اليوم في الالتزام الموجود في هذا الصنف من الغناء الملتزم.

ومع مرور الزمن اكتسبت طابعا جزائريا ذا صبغة أندلسية وبأسماء مختلفة منها الحوزي والمالوف وغيرها من الطبوع الأخرى.

---

[1] الطمار محمد ، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983، ص245

[2] الوزان، المصدر السابق، ج2، ص51، عويس، المرجع السابق، ص ص272،273

[3] مارمول، المرجع السابق، ج2، ص372

[4] الطالبي، المرجع السابق، ص 73، رزوق، المرجع السابق، ص73

الفصل الثالث:

الإسهامات الحضارية للمهاجرين الأندلسيين بتلمسان

المبحث الأول: العائلات الأندلسية التي هاجرت إلى تلمسان

المبحث الثاني: إسهامات الأندلسيين في المجال السياسي

المبحث الثالث: إسهامات الأندلسيين في المجال الثقافي

المبحث الرابع: إسهامات الأندلسيين في المجال الاقتصادي

المبحث الخامس: إسهامات الأندلسيين في المجال الاجتماعي

المبحث السادس: إسهامات الأندلسيين في المجال الفني

280-202

تمهيد

تلمسان وبعضهم يقول تنمسان، بالنون عوض اللام "مدينة بالمغرب الأوسط اختطّها الملثمون، وهي بالأصل مدينتان متجاورتان مسوّرتان، بينهما رمية حجر، إحداهما قديمة والأخرى حديثة"[1]، يقال لها بافرزت، يسكنها الجند وأصحاب السلطان، واسم القديمة أقادير ويسكنها الرعية[2]، "وهي قفل بلاد المغرب على رصيف للداخل والخارج لا بد منها والاجتياز بها على كل حالة"[3]، وهي مملكة جليلة واسعة المدى كثيرة الخيرات ذات حاضرة وبادية وبرّ وبحر، لها أسواق ضخمة، ومساجد جامعة، وهي دار علم متوسطة في قبائل البربر، ومقصد تجار الآفاق، زكية الأرض من الزرع والضرع، وبها حصون كثيرة في غاية المنعة والحصانة مع أنها في وطأة لكنها محصّنة البناء[4]، وسكانها من بني عبد الواد أصحاب تلمسان، وفرقة تعرف بمغراوة ويليهم تجين، وكلّهم من زنانة، ومدينة تلمسان مدينة عظيمة قديمة فيها آثار للأولين كثيرة تدل على أنها كانت دار مملكة لأمم سالفة، وهي الآن قاعدة المغرب الأوسط[5].

لا يزال عمرانها يتزايد وخطّتها تتسع الصروح، إلى أن نزلها آل زيان واتخذوها دارا لملكهم، وكرسيّا لسلطانهم، فاختطوا بها القصور المؤنقة والمنازل الحافلة واغترسوا الرياض والبساتين وأجروا خلالها المياه، فأصبحت أعظم أمصار المغرب، فرحل الناس إليها من كل حدب ونفقت بها أسواق العلوم والصنائع، ونشأ بها العلماء واشتهر فيها الأعلام، وضاهت أمصار الدول الإسلامية والقواعد الخلافية"[6].

---

[1] الحموي، المصدر السابق، مج2، ص44

[2] البغدادي صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق وتعليق: علي محمد البجاوي، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان 1954، ج1، ص ص272،273

[3] الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص250

[4] العمري شهاب الدين أحمد بن يحي ابن فضل الله ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: محمد عبد القادر خريسات و عصام مصطفى هزايمة و يوسف أحمد بني ياسين، إصدار مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة2001، ج4، ص125

[5] الحميري، الروض المعطار، ص135

[6] ابن خلدون، العبر، ج7، ص105

فسكنها العلماء والصلحاء والعباد والزهاد، فأصبحت سوق العلم نافقة، وبها تجارة المتعلمين والمعلمين[1].

كل هذا الزخم الذي عرفته المدينة ارتبط ارتباطا وثيقا بالأندلسيين الذين بدأت هجرتهم لبلاد المغرب الأوسط في فترات متقدمة تميزت بأنها هجرات فردية أو هجرات لطلب العلم أو حتى هجرات عبور للبقاع المقدسة لأن الوحدة السياسية والجغرافية كانت تساعد على ذلك، لكن تأزم الأوضاع السياسية بالأندلس جعل هذه الهجرة تتحول من هجرات طوعية إلى هجرات اضطرارية بعد سقوط الحواضر الإسلامية بيد نصارى اسبانيا.

هذه المرحلة تزامنت مع قيام الدولة الزيانية التي تعاملت مع المأساة بكل اهتمام ورعاية حيث أصدر مؤسس الدولة يغمراسن بن زيان ظهيرا منح بموجبه العناية الكاملة للمهاجرين الأندلسيين يعوضهم عن ما فقدوه ببلادهم، ما جعل الكثير منهم يستقر بهذه البلاد ويسهم في تطويرها وقد نتج عن ذلك نهضة علمية و رقي حضاري استطاعت بفضله تلمسان أن تجد لنفسها مكانا بين حواضر المغرب والمشرق.

تتابعت الهجرة واستقر الكثير منهم بهذه البلاد بعد أن أغدق عليهم حكامها بما هم أهل له، ورغم أن الدولة كانت تعاني في مرحلة التأسيس من عديد المشاكل السياسية والاقتصادية إلا أنها كانت تعلم بأن هذا الإنفاق على المهاجرين سيعود عليها بالفائدة، ومن ذلك أن الدولة كانت تعيش حياة البداوة في مرحلة تأسيسها وهذه الفئة من المجتمع الأندلسي الذي تمرس الكثير من أفراده في دواليب الحكم يمكنه أن يقدم الخدمة.

اندمج الكثير منهم في بلاط الزيانيين بعد أن استقطبهم سلاطين الدولة لعلمهم بمهارتهم وكفاءتهم في تسيير شؤون البلاد ولحاجتهم الماسة إليهم، فاستطاعوا أن يتقلدوا

[1] القلصادي أبي الحسن، رحلة القلصادي، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة الوطنية للتوزيع، تونس، ص95

المناصب العليا ويتركوا بصمات واضحة في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والفكرية.

ومن بين الوظائف التي امتهنها الأندلسيون كانت الوزارة والحجابة والكتابة والتعليم وغيرها الكثير الذي سنفصل فيه لاحقا، حيث أجادوا وبرز الكثير منهم، وبالإجمال فقد أدى وجود العنصر الأندلسي بالمغرب الأوسط إلى التأثير في الحياة العامة ككل.

وفيما يلي ذكر لأهم العوائل والشخصيات التي هاجرت إلى تلمسان وأسهمت في نهضته منذ القرن السادس الهجري وحتى نهاية الدولة الزيانية:

المبحث الأول:

العائلات الأندلسية التي هاجرت إلى تلمسان

هاجرت العائلات الأندلسية إلى تلمسان في فترات متقدمة وبدأت في الاستقرار بهذه المدينة، فنشأ من خلال هذه الهجرة مصطلح البيوتات أو العائلات أو ما اصطلح عليه ابن خلدون باسم الجماعة الأندلسية[1]، التي نأتي على ذكرها فيما يلي:

أولا- عائلة أبي العيش الخزرجي (ت571هـ-1176م):

يرجع دخول هذا البيت إلى العدوة المغربية قبل سقوط إشبيلية حيث هاجر عبد الرحيم بن محمد بن أبي العيش بن خلف بن عبد الله[2] المكنى أبا بكر إلى مراكش قادما إليها من الأندلس أين حدّث بها وأقرأ وأخذ عنه الكثير[3]، توفي بمراكش التي ولد بها ابنه محمد الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لبيت أبي العيش الــذي هاجر إلى تلمسان ونبغ فيها، وكان من نسله:

-محمد بن عبد الرحيم بن محمد بن أبي العيش:

من سكان تلمسان وبها نشأ، أصله من الأندلس، أخذ بتلمسان عن التجيبي ومفرج بن سعادة وغيرهما، كان أديبا ناظما ناثرا بارع الخط له مشاركة في فنون العلوم، رحل الناس إليه وتنافسوا في الأخذ عنه لعلو روايته واشتهار عدالته، صنف في الحديث ورجاله والمواعظ والرقائق مصنفات مفيدة، منها: أربعون حديثا في الحب في الله، وفي فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخرى في المواعظ، وفي الفقر وفضلِه، وتفسير كتاب الله العزيز، وكتاب في أصول الفقه[4]، وله في طريقة الزهد منظومات بديعة منها الحقائق المصونة في الألفاظ الموزونة في ذكر أسماء الله

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص438، خليفي، المرجع السابق، ص27

[2] ابن الأبار، التكملة، ج3، ص60، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج39، ص408، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص218

[3] ابن مخلوف، نفسه، ص151، ابن الأبار، المعجم، ص246، السملالى العباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، مراجعة عبد الوهاب منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط 2002ج8، ص ص152،151، ابن الأبار، التكملة، ج3، ص60

[4] ابن مرزوق، المصدر السابق، ص121، يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص29

الحسنى وصفاته، أجاد فيها وبلغ الغاية منها في ذكر اسم الله تعالى حيث يقول:

الله قل وذر الوجود وما حوى إن كنت مرتادا بلوغ كمـــال

فالكل دون الله إن حققتـــه عدم على التفصيل والإجمال

واعلم بأنك والعوالم كلهـــا لولاه في محو وفي اضمحلال[1].

أرسله السلطان أبو تاشفين سفيرا لغرض الإصلاح

-عبد الرحيم بن محمد أبي زيد بن عبد الرحمان بن محمد بن أبي العيش:

عالم متفنن ذو معرفة بالوثائق بارع الخط، خطيب الجامع الأعظم بتلمسان وإمامه[2].

-يحي بن محمد بن عبد الرحيم بن أبي العيش:

يكنى أبا زكريا، كانت له معرفة بالفرائض وبصير بالحساب والهندسة، عمل بالأشغال السلطانية لدى أبو حمو موسى الثاني[3].

-محمد بن عبد الرحمن بن أبي العيش الخزرجي (911هـ-1506م):

يكنى أبا عبد الله، مفسر أديب شاعر فقيه أصولي أصله من إشبيلية بالأندلس، ولد ونشأ بتلمسان، وأخذ عن أشياخها، من آثاره شرح الأسماء الحسنى في جزئين، وتفسير القرآن الكريم و كتاب في أصول الفقه وفتاوى نُقل بعضها في المعيار، حلاه ابن مريم بأنه: "من فقهاء تلمسان الأجلة وعلمائها الأهلة"[4].

ثانيا- عائلة ابن الصيقل أو الصقيل:

-أحمد بن سلمة بن أحمد بن يوسف الأنصاري المعروف بابن الصيقل(ت598هـ-1202م):

---

[1] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، مج5، س8، ص205

[2] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص31

[3] نفسه، ج1، ص31

[4] التنبكتي، المصدر السابق، ص ص579،580، ابن مريم، المصدر السابق، ص ص252ن253، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص 274، نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص246، نويهض، معجم المفسرين ، مج1، ص799

يكنى أبا جعفر، من أهل لورقة[1] وسكن تلمسان، وهو أول من رحل من العائلة، روى عن ابن بشكوال وغيره من أهل العلم، وكان ذا عناية فائقة بالحديث، من أهل المعرِفة به وبصناعته مع الضبط والإتقان، وافر الحظ من العربية درّسها بتلمسان وسمع منه خلق كثير[2]، استدعاه أبو يوسف يعقوب المنصور بن أبي يعقوب بن أبي محمد عبد المؤمن بن علي إلى حضرته بمراكش ليسمع بها عليه الحديث، فقدمها وأسمع بها ثم عاد إلى تلمْسين[3] في ذي قعدةِ سنة خمس وثمانين وخمس مئة[4].

-أبو زكريا يحي بن الصيقل:

الولي الفقيه العالم، كان محدثا ورعا حافظا زاهدا ذا كرامات كثيرة واطلاعات صوفية لا يكاد يفارق المساجد والقبور[5].

-أبو الحسن بن الصيقل:

هو يحيى بن عيسى بن علي بن محمد بن أحمد المرسي تلمسيني، يكنى أبو الحسن ذكر يحيى بن خلدون عنه أنه كان راوية للحديث، عدلا صالحا[6]، شديد العناية بطريق الرواية موصوفا بالعدل والرواية[7].

ثالثا - عائلة ابن جبل الهمداني:

-أبو محمد عبد الله بن محمد بن جبل الهمداني(ت557هـ-1162م):

من أهل وهران وأصله من الأندلس، يكنى أبو محمد، كان فقيها خطيبا مفوها، عمل بالقضاء لدى عبد المؤمن بن علي ونال دنيا عريضة[1].

---

[1] لورقة: مدينة كبيرة بالأندلس، قاعدة كورة تدمير، هي أكرم بقاع الأندلس وأكثرها خيراً، الحموي، المصدر السابق، مج5، ص25، القزويني زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت لبنان (دت)، ص555

[2] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص82، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، مج1، س1، ص ص312،311، السملالي، المصدر السابق، ج2، ص91

[3] يقصد بها تلمسان وردت في الكثير من المصادر بهذا الاسم

[4] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، مج1س1، ص ص312،311

[5] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص51، ابن مريم، المصدر السابق، ص305

[6] نفسه، ج1، ص33

[7] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، مج5، س8، ص328،327

-أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن مروان بن جبل الهمداني(ت601هـ-1205م):

ذكره ابن حمويه الدمشقي في رحلته أنه من ألمرية أصلا، وكان والده من الأجناد، وولي مدينة وهران وبها ولد له أبو عبد الله الذي نشأ بتلمسان، مجدا في الفقه والأدب، أكثر من مطالعة كتب ابن حزم ومال لعلم الظاهر[2]، ولي قضاء تلمسان فكان سريع الفصل بين الخصوم موصوفا بالعدل عارفا بالأحكام متبحرا في حفظ المسائل[3].

-محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمداني(ت601هـ-1205م):

أَصله من الأندلس ويكنى أبو عبد اللَّه ولي قضاء تلمسان ثم نقل إلى قضاء الجماعة بمراكش بعد أبي جعفر بن مضاء[4] في آخر سنة أَربع أو أول سنة 585هـ-1189م وصرف عن ذلك إلى إشبيلية سنة اثنين وتسعين، كان فقيهاً متمكناً، حميد السيرة، شديد الهيبة، عارفا بالأحكام، ميالا إلى العدل مستبحرا في حفظ المسائل، سريع الفصل بين الخصوم، موصوفا بالعدل، لم يجلد أحد طول ولايته بسوط [5].

-مروان بن محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمداني:

الفقيه الأجل، أخذ عن أبيه ببلده تلمسان ومراكش وغيرهما، كان فقيها حافظا للمسائل بصيرا بالفتيا في النوازل، ولي قضاء تلمسان وسبتة وغرناطة ومرسية[6].

---

[1] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص304، السملالي، المصدر السابق، ج8، ص192، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص150

[2] ابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى الأندلسي، الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار المعارف، مصر (دت)، ص ص29-33، ابن الابار، التكملة، ج2، ص161

[3] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص46

[4] قاضي الجماعة بمراكش، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، مج5، س8، ص8

[5] ابن عبدالملك المراكشي، نفسه، مج5، س8، ص235، ابن الأبار، التكملة، ج2، ص161، عنان، دولة الإسلام، ع3، ق2، ص655، نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص350، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج43، ص68

[6] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، 32، ابن عبد الملك المراكشي، الذيل، مج5، س8، ص ص277،278

-موسى بن محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمداني:

تلمسيني وهراني الأصل حديثا شلوبانيه[1] قديما، سكن مراكش وقتا، روى عن أبيه وتفقه به وبغيرِه، واستُقضي بمالقة ثم بغرناطة[2].

رابعا- عائلة العقباني:

يعود بروز أول اسم من هذه العائلة الأندلسية التي هاجرت من عقبان[3] مع نهاية القرن السابع والتي اشتهر منها:

-سعيد بن محمد بن محمد العقباني التلمساني (ت720هـ-1320م):

هو سعيد بن محمد العقباني التلمساني، أول نجباء بيته، ذو نبل ونباهة وتفنن في العلوم، عُرف بالإمام العلامة، فقيه مذهب الإمام مالك، ولي القضاء بتلمسان ما ينيف عن الأربعين سنة، كما تولى قضاء بجاية أيام السلطان المريني أبي عنان، قال عنه المجاري :"هو الإمام المحقق وحيد أهل زمانه في المعقول وقدوتهم في المنقول"[4]، له تآليف كثيرة منها شرح البردة وشرح جليل على ابن الحاجب، أخذ عنه العلم جماعة من السادات منهم ابنه قاسم العقباني وابن مرزوق الحفيد[5].

-أبو الفضل قاسم بن سعيد بن محمد العقباني (ت854هـ-1450م):

الإمام أبو الفضل وأبو القاسم شيخ الإسلام ومفتي الأنام العلامة الحافظ القدوة العارف المجتهد المعمر، أحد الشيوخ المحققين الفضلاء الأعلام ملحق الأحفاد بالأجداد، أخذ عن والده وحصل العلوم حتى وصل درجة الاجتهاد، عكف على تعليم العلوم وعلى تدريس المعدوم منها والمعلوم فأفاد الأفراد وأمتع جهابذة النقاد، منهم يحي

---

[1] قرية على ضفة البحر، بساحل غرناطة، بينها وبين المنكب عشرة أميال، الحميري، الروض المعطار، ص343، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، مج3، س5، ص384

[2] ابن عبدالملك المراكشي، نفسه، مج5، س8، ص293

[3] قرية بالأندلس، نويهض، معجم المفسرين، الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص101

[4] المجاري أبي عبد الله محمد ، برنامج المجاري، تحقيق: محمد أبو الأجفان، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان1982، ص129

[5] ابن مخلوف، المرجع السابق ، ص250، ابن مريم، المصدر السابق ، ص ص106، 107التنبكتي، المصدر السابق، ص189

المازوني والحافظ التنسي والونشريسي، قال فيه القلصادي: "شيخنا وبركتنا الفقيه الإمام المعمر، ملحق الأصاغر بالأكابر العديم النظير والأقران مرتقي درجة الاجتهاد بالدليل والبرهان ولي القضاء بتلمسان في صغره"[1].

-أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني(ت840هـ-1436م):

هو أحمد بن قاسم بن سعيد بن محمد العقباني، قاضي تلمسان وفقيهها، ولد بتلمسان وبها نشأ[2].

-محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني(ت871هـ-1467م):

من كبار علماء المالكية والعارف بالنوازل، له مشاركات في الأدب، من آثاره تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، حيث كان فقيه عصره وذا ملكة في التصوف[3]، تولى خطة القضاء في تلمسان التي لم يكن يلجُها إلا ذووا العلم و الدين والصلاح، أوكل له السلطان الزياني أبو عبد االله محمد الثالث مهمة دبلوماسية إلى تونس لمقابلة السلطان الحفصي أبي عمرو عثمان لما كان يمتاز به من دهاء وحسن تصرف[4]، من آثاره حفظ الشعائر وتغيير المناكر[5].

-أبو القاسم ابرهيم بن قاسم بن سعيد العقباني (ت880هـ-1476م):

قاض، حافظ للحديث، من فقهاء المالكية، من أهل تلمسان، وبها نشأ وأخذ عن مشيختها، ثم ولي قضاءها، أخذ عنه أحمد الونشريسي وأثنى عليه ونقل عنه في كتبه، قال عنه صاحب نيل الابتهاج: "حصّل وبرع، وألف وأفتى، وتولى القضاء بعد عزل

---

[1] ابن مريم، المصدر السابق، ص147، السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمان ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت(دت)، ج6، ص181، التنبكتي، المصدر السابق ، ص ص365،366، ابن مخلوف، المصدر السابق،367، 368

[2] ابن مريم، المصدر السابق، ص51، التنبكتي، المصدر السابق ، ص152، نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص236

[3] التنبكتي، المصدر السابق، ص 548، نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص237

[4] الزركشي، المصدر السابق، ص153، حساني نبيلة، القضاء والقضاة في عهد الدولة الزيانية(633هـ962 .1235 م1554 م)مذكرة لنيل شهادة الماجستير معهد التاريخ، جامعة الجزائر 1996، ص155

[5] كحالة، المرجع السابق، ج8، ص309

ابن أخيه العلامة محمد بن أحمد"[1]، له فتاوى نقلها صاحب الدرر المكنونة في نوازل مازونة[2].

-أحمد بن محمد بن قاسم العقباني(ت890هـ-1485م):

فقيه مالكي مشارك في عديد العلوم، من أهل تلمسان وبها نشأ وسلسلة سلفه سلسلة العلم والفضل[3].

-عبد الواحد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني(ت896هـ-1491م):

قاض، من فقهاء المالكية، ولد ونشأ وتعلم بتلمسان، ثم ولي قضاء الجماعة بها[4].

-محمد بن أبي يحي العقباني(941هـ-1534م):

هو محمد بن أبي يحي بن قاسم بن سعيد العقباني، اشتغل بالتدريس دون ممارسة القضاء[5].

-أحمد بن محمد العقباني(980هـ-1571م):

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن قاسم بن سعيد العقباني، نشأ بتلمسان وتعلم بها وكانت له حصة مباركة من الفقه إلى أن هاجر إلى فاس حيث تصدر للتدريس إلى أن وافته المنية هناك[6].

خامسا-عائلة بنو الملاح:

يرجع أصلها إلى مدينة قرطبة حيث قال عنهم ابن خلدون: هم أهل بيت من قرطبة كانوا يحترفون فيها بسكة الدنانير والدراهم، ... نزل أولهم بتلمسان مع جالية

[1] التنبكتي، المصدر السابق، ص65

[2] السخاوي، المصدر السابق، ج1، ص117، نويهض، أعلام الجزائر، ص236

[3] الشفشاوني، المصدر السابق، ص123، نويهض، أعلام الجزائر، 236

[4] التنبكتي، المصدر السابق ، ص288، نويهض، أعلام الجزائر، ص237

[5] نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ-13م إلى القرن 10هـ-16م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد2009-2010، ص ص86، 87

[6] الشفشاوني، المصدر السابق، ص123

قرطبة فاحترفوا بحرفتهم الأولى وزادوا إليها الفلاحة[1]، ولأن العملة هي إحدى شارات الملك ورمز من رموز السلطة وقوة الدولة فقد أولى سلاطين بني زيان لهذا الجانب الكثير من الاهتمام من خلال هذه العائلة التي كان لها الفضل الكبير في إنشاء العملة الزيانية التي ظلت تتعامل بالدراهم الموحدية لفترة من الزمن، حيث عمل عبد الرحمان بن محمد بن الملاح صاحب الأشغال لدى يغمراسن بن زيان[2].

لكن ظهور العائلة بشكل كبير كان في عهد السلطان أبي حمو موسى الأول حيث نالت فيه من المناصب والحظوة والعناية الكثير، فولى على حجابته منهم لأول دولته محمد بن ميمون بن الملاح ثم ابنه محمد الأشقر بن ميمون بن الملاح، ثم ابنه إبراهيم بن محمد من بعدهما، وأشرك معه من قرابته علي بن عبد الله بن الملاح إلى أن هلكوا جميعا على يد السلطان أبو تاشفين مع من كان من بطانته[3]، وبالجملة فقد تقلد بنوا الملاح من المناصب الكثير حيث خصهم سلاطين الدولة الزيانية برعايتهم وعنايتهم وقد نالوا شرف المساهمة في بناء الدولة حتى لقوا مصرعهم جميعا.

سادسا-عائلة الآبلي:

أصلهم من الأندلس من بلاد الجوف، منها هاجر أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري التلمساني، المعروف بالآبلي، وأخوه أحمد حيث استخدمهم يغمراسن بن زيان وولده في جندهم قوادا للجيش[4] بهنين[5]، أما ابنه إبراهيم فمال إلى انتحال العلم فبرع فيه وعكف الناس عليه في تعلمه، وصفه ابن القاضي ب: "ملحق الأحفاد بالأجداد"[6]، ووصفه يحي بن خلدون: " بشيخنا العالم الأعلى ... من بيت نباهة في

[1] ابن خلون، العبر، ج7، ص ص140،141
[2] يحي ابن خلدون، المصدر السابق ، ج1، ص111
[3] ابن خلدون، العبر، ج7، ص140-141، يحي ابن خلدون، نفسه ، ج1، ص127-131
[4] ابن خلدون، الرحلة، ص49
[5] هنين: ناحية من سواحل تلمسان من أرض المغرب. الحموي، المصدر السابق، مج5، ص419
[6] ابن القاضي المكناسي، المصدر السابق، ج2، ص265، ابن مخلوف، المصدر السابق، ص221

الجند ...كان طالبا عاكفا على العلم ...إلى أن فاق أهل زمانه في العلوم العقلية كلها، حتى أني لا أعرف بالمغرب وإفريقية فقيها كبيرا إلا وله عليه مشيخة"[1]، وخير حلاه القاضي أبو عبد الله بن المقري بقوله: "لقيت فيمن لقيت بتلمسان رجلين، أحدهما عالم الدنيا، والآخر نادرتها، أما العالم فشيخنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري الآبلي، وأما النادرة، فأبو عبد الله بن شاطر *"[2]

سابعا–عائلة ابن سعود الخزاعي:

أصل سلفهم من الأندلس من بني سعود، والقادم من الأندلس على تلمسان أبوهم الذي ارتحل عن الأندلس إلى بر العدوة، واستقر بتلمسان هو وولده فاستوطنها إلى أن توفي بها[3]، استقرت العائلة بتلمسان، وكانت قبل ذلك عائلة قضاة وأرباب تحصيل في العلوم، عبر البحر منهم للعدوة محمد، والفقيه موسى بن سعود وأحمد الذي استقر بتلمسان وبها قلد الوزارة والقيادة والكتابة[4]، ثم برز اسم محمد بن أحمد بن سعود كصاحب الأشغال لدى السلطان الزياني أبي سعيد بن يغمراسن ثم الحجابة لدى السلطان أبي زيان بن أبي سعيد، وفي عهد السلطان أبو حمو موسى الأول أصبح صاحب الأشغال من جديد[5]، ثم برز من بعده ابنه علي بن محمد بن سعود الخزاعي الذي كان حافظا لغويا شاعرا مجيدا مقدما في التاريخ وصاحب كتاب تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع

---

[1] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص57

* محمد بن أحمد بن شاطر اللخمي أبو عبد الله من أهل مراكش، وأصل سلفه من الأندلس واستوطن مدينة فاس.ابن الأحمر، المصدر السابق، ص431

[2] ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص203

[3] ابن الأحمر المصدر السابق، ص249

[4] السملالي، المصدر السابق ، ج9، ص177

[5] يحي ابن خلدون، المصدر السابق ، ج1، ص ص118-122-127

والعمالات الشرعية، وهو صاحب القلم الأعلى، برز في العربية حتى أصبح على رئاستها حلاه عنه ابن مرزوق: "بالفقيه الحسيب الفاضل الكاتب"[1].

ثامنا-عائلة ابن داود البلوي:

وهم الذين ذكرهم الشيخ ابن الغازي في فهرسته وصاحب أزهار الرياض بالقول: "وكان جماعة من علماء الأندلس خرجوا إلى تلمسان قبل أخذ غرناطة ولكن لما رأوا استطالة العدو عليها، وأنه آخذها لا محالة قوصوا رحالهم عنها فنزلوا بتلمسان المحروسة وأخذت الحضرة الغرناطية بعد ارتحالهم بقريب"[2].

ومن أبرز أفراد هذه العائلة نذكر:

-علي بن أحمد بن داود البلوي الأندلسي الغرناطي:

يكنى بالوادي آشي هاجر مع أبنائه من الأندلس واستقر بتلمسان[3]، قال عنه ابن غازي في فهرسته: العالم العلامة الأكمل الثقة، تميز في الفقه والعربية وتصدر للإقراء والإمامة والخطابة والتدريس وغيرها، ثم تورع عن القضاء[4].

-أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن داود البلوي الأندلسي:

الإمام الفقيه العالم المتفنن الماهر الألمعي الناظم الناثر أخذ عن والده والشيخ القلصادي والمواق[5] وابن مرزوق الكفيف وأجازه ابن غازي[6]، ارتحل مع أبيه وإخوته من

[1] ابن مرزوق، المصدر السابق، ص415

[2] المقري، أزهار الرياض، ج1، ص71

[3] المجاري، المصدر السابق، ص31، السخاوي، المصدر السابق، ج5، ص167

[4] التبكتي، المصدر السابق، ص341

[5] محمد بن أحمد الأنصاري من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالموّاق،حاله: كان معلما لكتاب الله تعالى، ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص175

[6] أبو عبد الله محمَّد بن حسن بن عطية السبتي: يعرف بابن غازي العالم الفاضل المتفنن الفقيه المحقق المتقين العارف بالشروط. ابن الأبار، التكملة، ج2، ص160، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص235

غرناطة بعد التسعين وثمانمائة فنزلوا بتلمسان، وأخذ عمن أدرك من شيوخها حينئذ[1]، له شرح على الخزرجية[2].

تاسعا-عائلة أبي عبد الله الأنصاري البري:

ومنهم محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري الوشقي[3] أبو عبد الله البري المتوفي في حدود سنة 680هـ-1281م، وصاحب كتاب العدة المختصر من كتاب العمدة والجوهرة في نسب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه العشرة[4]. وهو أخ الشيخ أبي إسحاق التلمساني

-أبي إسحاق التلمساني أبو بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني:

الفقيه العارف بعقد الشروط المبرز في العدد والفرائض، الأديب الشاعر الماهر في كل ما يحاول، نظم في الفرائض الأرجوزة المحكمة التي تعرف بالتلمسانية والتي لم يؤلف في فنها مثلها[5].

-عائلة أبو عبد الله الزغل:

هو أبو عبد الله محمد بن سعد المعروف بالزغل، للتفريق بينه وبين أبى عبد الله محمد بن على بن سعد المعروف بأبى عبد الله الصغير، أحد ملوك الأندلس وآخرهم، دخل الزغل فى صراع مع أخيه أبى الحسن بن سعد الذى تولى الحكم بعد وفاة أبيه سعد بن محمد سنة (868 هـ-1464م)، واستمر الصراع عدة سنوات وانتهى بانقسام المملكة إلى قسمين، حيث حكم الزغل مالقا في حين حكم أبو الحسن غرناطة، وبعد

[1] المقري، أزهار الرياض، ج3، ص305، القلصادي، المصدر السابق، ص28

[2] ابن مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص273

[3] نسبة إلى وشقة مدينة بالأندلس ينسب إليها طائفة من أهل العلم ، الحميري، الروض المعطار ، ص612، الحموي، المصدر السابق، مج5، ص377

[4] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق ، س8، ص280، التجيبي، المصدر السابق، ص266، بكر أبو زيد، طبقات النسابين، ط1، دار الرشد للنشر والتوزيع، الرياض 1987، ص130

[5] ابن فرحون، المصدر السابق، ج1، ص274، ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص326، ابن مخلوف، المصدر السابق ، ج1، ص202، ابن مريم، المصدر السابق، ص55، يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص39، عبد الحق حميش، سير أعلام تلمسان، ط1، دار التوفيقية، تلمسان 2011، ص186

وفاة أبى الحسن بن سعد استولى الزغل على كل البلاد سنة (888هـ-1483م)، إلا أن الحرب قامت بينه وبين ابن أخيه أبى عبد الله الصغير، لتتقسم المملكة من جديد إلى قسمين، غرناطة بيد أبو عبد الله الصغير ووادى آش بيد الزغل، وقد حاول الأخير الاستعانة بالملوك المسلمين فى إفريقية ومصر لإنقاذ مالقا أقوى ثغور الأندلس، من حصار النصارى لكن المدينة سقطت في أيديهم سنة (892هـ-1487مـ)، واستطاعوا السيطرة على وادي آش سنة (895 هـ-1490م) بعد استسلام الزغل بناءًا على المعاهدة التي وقعها معهم، فبادر بالجواز لبر العدوة فجاز لوهران، ثم لتلمسان، واستقر بها، وبها نسله إلى الآن يعرفون ببني سلطان الأندلس[1]، لكن لا نعرف له أي مشاركة أو مساهمة في بلاد المغرب.

[1] المقري، نفح الطيب، ج4، ص524

المبحث الثاني:

إسهامات الأندلسيين في المجال السياسي:

لقد كان لهجرة الأندلسيين إلى تلمسان الأثر الكبير في تنشيط الحياة الثقافية بها بعد أن استقر الكثير منهم بها وتعاظم نفوذهم في العديد من المجالات التي اشتغلوا بها فكانوا بذلك سادة في اختصاصاتهم لا يضاهيهم أحد بل لا يمكن أن يستعمل أحد من أهل البلاد بوجودهم، هذه الظاهرة التي يذكرها المقري حين يقول: "فأما أهل الأدب فكان منهم الوزراء والكتاب والعمال وجباة الأموال والمستعملون في أمور المملكة، ولا يستعمل بلدي ما وجد أندلسي"[1]. جعلت بلاط بني زيان يتحول من مرحلة البداوة إلى مرحلة التحضر والمجد بفضل خبراتهم التي اكتسبوها في أثناء ممارستهم لهذه المهام بالأندلس.

وفيما يلي نأتي على ذكر أهم الشخصيات الأندلسية التي برز دورها في المجال السياسي مثل الكتابة والحجابة والوزارة والقضاء.

أولا- الكتابة:

عبد الملك بن عياش بن فرج بن عبد الملك بن هارون الأزدي(ت568هـ-1173م):

أصله من قرطبة، كان أديبا كاتبا بليغا شاعرا مجيدا، بارع الخط جميل الوراقة، عرف بالزاهد لورعه وفضله، استكتبه أبو جعفر قاضي الجماعة بقرطبة أيام اللمتونيين حتى ظهرت الفتنة، وصحب بنوا حمدين وكتب لهم أيام قضائهم ثم استخدم في الكتابة فنال دنيا عريضة، وبقي في صحبة الملوك كاتبا حتى عهد الأمير أبي حفص بن عبد

---

[1] المقري، نفح الطيب، ج3، ص152

المؤمن[1] الذي اختاره لكتابته، ثم صحبه معه إلى تلمسان، وبقي معه متولياً الكتابة بها[2].

عبد الرحمان بن يخلفتين بن أحمد الفازازي أبو زيد(627هـ-1230م):

ولد بقرطبة وبها نشأ وتعلم ثم سكن تلمسان، كان عالما بالآداب متصرفا في فنونها برع في عدد من فنون العلم كالفقه والتاريخ وعلم الكلام، شغل عدة مناصب لولاة الموحدين، فكان كاتبا بليغا أديبا ناثرا وشاعرا، يغلب على شعره مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ومسحة من الزهد والحكمة، من مؤلفاته: القصائد العشرينيات في النصائح الدينية والحكم الزهدية، وهي قصائد تتألف كل قصيدة من عشرين بيتا، مجودا وافر المادة قوي العارضة مشاركا في أصول الفقه ذا معرفة بعلم الكلام[3]، كتب دهرا طويلا للولاة فغلب عليه الأدب ومال للتصوف واشتهر به[4].

أبو بكر الغافقي(ت686هـ-1287م):

محمد بن داود بن خطاب الغافقي، أصله من مرسية، انصرف إلى تلمسان واستقر بها مع الوفد الذي جاء من الأندلس عند أبي يحي يغمراسن بن زيان، حيث أكرمه وأحسن نزله ومثواه وقربه من بساط العز وأدناه وجعله صاحب القلم الأعلى، ومقام ابن الخطاب في هذا العلم شهير، له مشاركة في أصول الفقه وعلم الكلام وغير ذلك، مع نباهة وحسن فهم، ذو فضل وتعقل، وحسن سمت اشتهر بالكتابة فكان مرسلا بليغا كاتبا بارعا شاعرا مجيدا استكتبه السلطان الزياني.

---

[1] أبي حفص بن عبد المؤمن: صاحب إشبيلية، الحميري، الروض المعطار ، ص611

[2] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ق1، ص ص 26-30، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج39، ص320، ابن الأبار، التكملة، ج3، ص ص82،83، عنان، دولة الإسلام ، ع3 ق2، ص138

[3] السملالي، المصدر السابق، ج8، ص88

[4] السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص91، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص ص239،240، ابن الأبار، التكملة، ج3، ص ص47،48، الوافي بالوفيات، ج18، ص181

صدر عنه من الرسائل في خطاب الموحدين بمراكش وتونس فكان خاتمة الأدباء، وقد جرت بينه وبين جماعة من أدباء عصره مخاطبات ومراجعات أبانت عن فضله، وبوفاته انقرض علم الكتابة[1]، استدعاه المستنصر أبا عبد الله ابن الأمير أبي زكريا على عادته في استقدام الكتاب المشاهير والعلماء وبعث إليه ألف دينار من الذهب العين، فاعتذر ورد عليه المال، وكانت هذه الحادثة أشق ما مر على المنتصر، لكنها أظهرت علو شأن ابن الخطاب وبُعد همته[2].

لسان الدين ابن الخطيب(776هـ-1375م):

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد التلمساني الغرناطي يعرف بابن الخطيب البارع الأديب الألمعي الأريب الشهير...المتبحر في العلوم الحامل لواء المنثور والمنظوم صاحب الفنون المنوعة وذو الوزارتين*، له تآليف بديعة في فنون من العلم نحو الستين منها الإحاطة في أخبار غرناطة وريحانة الكتاب ونفاضة الجراب وكتاب الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام والذي كان آخر مؤلفاته[3]، قال عنه ابن خلدون بأنه شاعر الأندلس والمغرب في عصره، وأنه كان في اللسان ملكة لا تدرك، "وامتلأ حوض اللسان من نظمه ونثره مع انتقاء الجيد منه، بلغ في الشعر والترسل حيث لا يجارى فيهما، ليصل بالقول: ابن الخطيب آية من آيات الله في النظم والنثر والمعارف والأدب لا يساجل مداه ولا يهتدى فيها بمثل هداه"[4]، هاجر إلى تلمسان سنة 773هـ-1372م واستقبله السلطان عبد العزيز المريني الذي كان بلاطه بها أحسن استقبال، وأحلّه من مجلسه محل الاصطفاء[5].

---

[1] ابن الخطيب،الإحاطة، ج2، ص ص426،427، ابن خلدون، العبر، ج7، ص106، ابن مريم، المصدر السابق، ص227، التنسي، المصدر السابق، ق2، ص ص127،128، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق ، مج4، س6، ص363

[2] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص295

*الوزارتين : السيف والقلم

[3] ابن مخلوف، المرجع السابق، ص230

[4] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص49، ابن خلدون، الرحلة، ص155

[5] ابن الخطيب، نفسه، ج1، ص35

أبو زكريا يحي بن محمد بن خلدون (ت780هـ-1379م):

أصله من الأندلس وولد بتونس سنة 734هـ، تلقى العلم على يد كبار العلماء مثل عبد المهيمن الحضرمي[1]، أسهم في خدمة المرينيين عهد السلطان أبي عنان، وبعدها توجه مع السلطان الحفصي أبي عبد الله إلى بجاية بقصد انتزاعها من عمه السلطان أبي إسحاق حيث عينه حاجبا هناك إلى أن ترك هذا المنصب لأخيه عبد الرحمان، ثم انتقل بعدها إلى تلمسان فتقلد كتابة لدى صاحب تلمسان السلطان أبي حمو موسى بن يوسف الزياني[2]، وبقي في خدمة البلاط الزياني إلى أن قتل سنة 780هـ بعد أن دبرت له مكيدة قادها أبو تاشفين ابن أبي حمو موسى الثاني الذي كان يرى فيه بعض المماطلة في عقد ولاية وهران له[3].

محمد بن أحمد بن موسى بن مسعود الخزاعي:

فارس ميدان الحساب، وحامل راية الآداب والأنساب، ورئيس النحويين وعلم اللغويين، ولديه من الأصول حظ وافر، كان فقيها كاتبا بارعا ، كتب عند ملوك وأمراء تلمسان حيث حظي بلقب صاحب الوزارتين، استكتبه الملوك من بني زيان بحضرتهم من تلمسان فتولى الوزارة للسلطان أبو زيان محمد بن السلطان عثمان ابن السلطان يغمراسن بن زيان، ثم قلده منهم كتابة الأشغال السلطانية أمير المؤمنين العادل بالله أبو تاشفين عبد الرحمن، ثم استكتب بنو زيان بحضرتهم ابنه الفقيه أبو الحسن[4].

---

[1] صاحب القلم الأعلى، إمام المحدثين والنحاة بالمغرب، يرتفع نسبه إلى العلاء بن الحضرمي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصل سلفه من اليمن قدموا إلى الأندلس، لحق بالشيوخ الكبار في علم العربية والحديث والتبريز في الأدب والتاريخ واللغات والعروض، نشأ بسبتة وتقرب إلى السلاطين وقد توفي بالطاعون الجارف ثاني عشر شوال عام 749هـ، ابن خلدون،الرحلة، صد40، التنبكتي، المصدر السابق، ص422، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص317

[2] المقري، أزهار الرياض، ج1، ص238، المقري، نفح الطيب، ج6، ص389

[3] ابن خلدون، العبر، ج7، ص292

[4] عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص113 ، نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص132

أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن موسى الخزاعي(789هـ-1387م):

مؤرخ، أديب، شاعر، كاتب، أندلسي الأصل، استكتبه السلطان المريني إبراهيم بن على ثم انتقل إلى بلاد الزيانيين بتلمسان فحظي برعاية السلطان أبو سعيد عثمان الذي قلده خطة الأشغال السلطانية، ثم عاد من جديد إلى البلاط المريني كاتبا للأشغال فرئيسا لقلم الدولة[1].

وصفه ابن الأحمر ب: "فارس ميدان الحساب وحامل راية الآداب والأنساب، ورئيس النحويين وعلم اللغويين"[2] ، ذكره عبد الرحمان الجيلالي وقال عنه بأنه كتب لملوك فاس مرة ولملوك تلمسان مرة أخرى إلى أن استقر به المطاف عند المرينيين[3].

محمد بن علي بن قاسم المرسي:

ذكره يحي بن خلدون بأنه من كتاب السلطان أبو حمو موسى الثاني ولم يزد على ذلك[4].

أبوعبد الله محمد بن يوسف القيسي الثغري:

من أهل المرية ويكنى أبو عبد الله له رواية عن أبي الحسن بن هذيل[5] أخذ عنه القراءات ببلنسية وروى عن أبي الحسن بن النعمَة وأبي عبد اللَّه بن سعادة وقد حدث بتلمسان وأخذ عنه أبو زكرِياء بن عصفور[6]، وهو الشاعر الأديب، الكاتب، من أشهر شعراء تلمسان وبلغائها المقدمين لدى سلاطينها وصفه المازوني بالإمام العلامة الأديب الأريب الكاتب، كان من شعراء بلاط السلطان أبي حمو

---

1 ابن الأحمر، المصدر السابق، ص249 ، نويهض، نفسه، ص132، عبد الرحمان الجيلالي، نفسه، ج2، ص113

2 ابن الأحمر، المصدر السابق، ص249

ابن خلدون، العبر، ج7، ص525، عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق ص113-115، نويهض، أعلام الجزائر، ص ص132، 133

4 يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص558

5 أبي الحسن بن هذيل عالم القراءات أخذ عنه الكثير من أهل العلم ببلده، ابن الأبار، التكملة، ج1، ص79

6 ابن الأبار، نفسه، ج2، ص104

موسى الثاني، وله قصائد كثيرة نقل بعضها يحيى بن خلدون في بغية الرواد والمقري في أزهار الرياض[1]، وصفه ابن مريم بالفقيه الإمام العالم العلامة الأديب الأريب الكاتب[2].

أبو العباس أحمد بن أحمد البرشاني:

أصله من برشان[3] من صدور الكتاب كتب عن أبي زيد بن بوجان[4] ملك تلمسان وله منه رسالة يخاطب بها ابن عياش[5] يقول فيها: "يا سيدي ولا ينادي غير الكرام وعمادي ولا يعتمد إلا على من يصرف صروف الأيام نداء من يمت بالجوار القديم ويشفع بنسب الأدب الذي لا يرعاه إلا كريم مع ولاء لو والى بِهِ الصباح ما غرب عن ناظره وصفاء لو صافى بِهِ الدهر ما كدر من خاطر"[6].

أبو عبد الله محمد بن سعود:

عمل بالكتابة لدى سلاطين بني زيان أبي سعيد وأبي زيان ومن بعده لأبي حمو موسى الأول وأخيرا لأبي تاشفين الأول[7].

ثانيا- الوزارة:

ابن وضاح:

يقول عنه ابن خلدون: ووفد عليه (يقصد يغمراسن) لأول دولته ابن وضاح إثر الموحدين، أجاز البحر مع جالية المسلمين من شرق الأندلس، فآثره وقرب مجلسه وأكرم

---

[1] نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص92

[2] ابن مريم، المصدر السابق، ص ص222،223

[3] برشان: حصن بناحية جيان الأندلسية وقرية من قرى إشبيلية. مجموعة من الأساتذة، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، تقديم محمد لمين بلغيث، منشورات الحضارة، الجزائر2014، ج1، ص305

[4] من ولاة الموحدين على تلمسان. نفسه، ج1، ص305

[5] أبو عبد الله محمد بن عياش عالم بالأدب له شعر، أندلسي من بني تجيب. من أهل برشانة في المريّة سكن مراكش واستكتبه السلطان الموحدي بالمغرب، ابن سعيد، المصدر السابق، ج2، ص81، الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص208

[6] ابن سعيد، نفسه، ج2، ص82

[7] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص118-128

نزله وأحله من الخلة والشورى بمكان أصفاه له[1]، والغالب أن منصب الشورى هذا هو منصب وزير أو قريب من الوزارة.

عبد الرحمان بن محمد بن الملاح:

عمل صاحب الأشغال لدى السلطان الزياني يغمراسن بن زيان[2] وقد سبق التعريف به.

ثالثا- الحجابة:

-هلال الأحمري (ت729هـ-1329م):

أَصله من سبى الفرنج، أهداه ابن الأحمر صاحب غرناطة لعثمان بن يغمراسن صاحب تلمسان ونشأ مع ولد صاحب تلمسان ثم لما تسلطن صيره حاجباً له، وكان مهيباً فظاً فأرهب الناس بسطوته واستولى على الأمر ثم تخيل من السلطان فاستأذن في الحج فأذن له، فركب البحر وحج ثم عاد إلى تلمسان فدارى سلطانه مدة ثم قبض عليه سنة 729هـ-1329م وسجنه إلى أن مات[3].

-عائلة بنو الملاح:

كان بنو الملاح هؤلاء قد شملتهم رعاية السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن بحجابته سائر أيامه[4]، تحلوا بخدمة عثمان بن يغمراسن وابنه، وكان لهم في دولة أبي حمو مزيد حظوة وعناية، فولى على حجابته منهم لأول دولته محمد بن ميمون بن الملاح، ثم ابنه محمد الأشقر من بعده، ثم ابنه إبراهيم بن محمد من بعدهما، واشترك معه من قرابته علي بن عبد الله بن الملاح فكانا يتوليان مهمة بداره ويحضران خلوته مع خاصته، إلى أن هلكوا جميعا واستبيحت منازلهم على يد السلطان أبو تاشفين وبطانته[5].

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص106
[2] الميلي، المرجع السابق، ج2، ص454
[3] ابن حجر، المصدر السابق، ج4، ص405
[4] ابن خلدون، العبر، ج7، ص ص140،141، الميلي، المرجع السابق، ج2، ص454
[5] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص127، ابن خلدون، نفسه، ج7، ص141

رابعا- القضاء:

-أبو محمد عبد الله بن على بن عبد الملك بن إبراهيم بن عيسى بن صالح الهلالي* (ت524هـ-1130م):

من أهل غرناطة يكنى أبو محمد ويعرف بابن سمجون كان من جلة العلماء وحفاظ المسائل ولي قضاء بلده وله رواية متسعة، حدث عنه الكثير من أهل العلم، توفي بتلمسان[1].

-محمد بن الحسن بن أبي البقاء فاخر بن الحسين الأموي(ت535هـ-1141م):

أصله من أندى، روى بالأندلس عن ابن العربي، وأبي جعفر محمد بن حكم بن باق، لقيه بتلمسان، وتفقه فيها بأبي القاسم عبد الرحيم بن جعفرٍ المزياني، كان محدثا ضابطًا لما رواه وقيده، فقيهًا حافظًا للمسائل، واقفًا على المدونة، متقدما في عقد الشروط، مقلا صابرا خيرا فاضلا، ولي الأحكام بتلمسان وبإشبيلِتة، مضافة إلى الصلاة والخطبة سنة ثلاثين وخمس مئة[2].

-محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمداني (ت601هـ-1205م):

نشأ بتلمسان وأصله من الأندلس، كان فقيها مستبحرا في حفظ المسائل بصيرا بالفتوى ماهرا في النظر في النوازل بارع الخط سري الهمة، ولي قضاء تلمسان ثم نقل إلى قضاء الجماعة بمراكش بعد أبي جعفر بن مضاء في آخر سنة أَربع أَو أول سنة خمس وثمانين وخمس مائة، كان حميد السيرة شديد الهيبة عارفا بالأحكام سريع الفصل بين الخصوم[3].

---

* أورده ابن الأبار في ترجمتين مختلفتين في الأولى نسبه هلالي من أهل غرناطة وفي الترجمة الثانية أورد نسبه لواتيا من أهل طنجة ولا نعرف هل مارس القضاء بتلمسان أم لا

[1] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص253، ص303

[2] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س6، ص171

[3] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص161، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج43، ص ص68،69، نويهض، معجم المفسرين، ص350، نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص78، ابن سعيد الأندلسي، المصدر السابق، ص29

-أبو حفص بن عمر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر السلمي(ت603هـ-1207م):

قاضي الموحدين، ذكر الحافظ ابن الأبار أن أصله من جزيرة شقر، كان من أهل المعرفة واليقين أديبا شاعرا مجيدا غلب عليه الأدب حتى عرف به وشهر مع جودة الخط وبراعة الأدوات، فقيها علامة، ثم صار من جلساء أصحاب الأمر وأرباب العليا، ثم ترقى إلى الخطابة والقضاء، ولى قضاء تلمسان ثم نقل إلى قضاء فاس بعد أبيه بزمن وولى قضاء إشبيلية وغيرها[1]، ذكر التجيبي أنه أجاز له جميع ما رواه وما أجيز له[2].

-حبيب بن (كذا) السلمي(ت625هـ-1228م):

من أهل قرطبة، من ولد عبد الملك بن حبيب أقرأ القرآن بتونس وولي القضاء ليحيى بن إسحاق في تجوله بالعدوة وانتقل بِأخرة إلى تلمسان وسكنها وهنالك اغتيل في سنة خمس وعشرين وستمائة أو نحوها[3].

-أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن عياش التجيبي(ت629هـ-1232م):

أصله من برشاي سرقسطة قديما، كانت له عناية تامة بالأدب فكان كاتبا محسنا بارع الخط رائق الطريقة، جعل منزله مألوفة لطلبة العلم يأوون إليه ويحتكمون فيه، كتب لملوك الْمغرب، وولي قضاء سبته وتلمسان وتوفي في المحرم سنة تسع وعشرين وستمائة [4].

---

[1] المقري، أزهار الرياض، ج2، ص361، ابن سعيد ، المصدر السابق، ص ص91، 92، ابن القاضي ، المصدر السابق، ج2، ص496، الذهبي، تاريخ الإسلام ، ج13، ص ص81، 82

[2] ابن الأبار التكملة،ج3، ص ص162، 163

[3] ابن الأبار، نفسه، ج1، ص229

[4] ابن الأبار، نفسه، ج1، ص105، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س1، ص ص 464، 465

محمد بن يحي بن محمد الغساني البرجي الغرناطي:

من أعيان الكتاب في الأندلس، فاضل مجمع على فضله صالح الأخوة طاهر النشأة ممتع المجلس حسن الخط والشعر والكناية صدر في الأدب، انتقل إلى فاس وتولى الكتابة للسلطان أبي عنان، ثم ارتحل إلى بجاية فخدم صاحبها الأمير أبي زكريا وابنه من بعده، ثم رحل إلى تلمسان واستعمل في القضاء[1].

أبو عبد الله بن الأزرق: (896 هـ - 1491 م):

القاضي الشهير صاحب الشرح العجيب على مختصر خليل، تولى القضاء والإفتاء والتدريس والسفارة بغرناطة، خرج بعد تغلب العدو الكافر على ما بقي من بلاد المسلمين من أرض الأندلس إلى تلمسان وبها استقر*، له من التآليف: كتاب السياسة وكتاب شفاء الغليل إضافة إلى كتاب بدائع السلك في طبائع الملك وهو تلخيص لمقدمة ابن خلدون وزاد عليه زيادات نافعة، ثم روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام وغير ذلك وهو مجلد فيه فوائد وحكايات لم يؤلف في فنه مثله[2]، وقد كتب بتلمسان خطبة في كراسة وقد أتى فيها بالعجب العجاب وهي أدل دليل على غزارة علمه واتساعه في الفروع والأصول[3]، لم يؤلف في فنه مثله حتى تجلت فيه ملكة المؤلف وقوة الاطلاع والتحصيل[4].

أبو الحسين بن غلبون المرسي:

تولى القضاء بتلمسان ودرّس بها وكان من تلاميذه عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري الآبلي وهو جده لأمه[1].

---

[1] ابن الخطيب لسان الدين ، الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت1983، ص250، ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص ص293، 294، ابن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص ص311، 312، التنبكتي، المصدر السابق، ص ص449، 450، الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص139

* لا يعرف هل مارس القضاء كما مارسه بمصر التي انتقل إليها بعد ذلك

[2] المقري ، أزهار الرياض، ج1، ص71، ، المقري، نفح الطيب، ج2، ص699

[3] المقري، أزهار الرياض، ج3، ص ص317، 318

[4] الشفشاوني، المصدر السابق، ص124

[1] المقري، أزهار الرياض، ج5، ص60

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن أبي عمرو التميمي(745هـ-1345م):

يكنى أبا عبد الله، وأصل سلفه من الأندلس، من بيت أصالة وتعيين والده كان من أهل العلم التام، درّس العلوم بتلمسان وأفتى بها، قدّمه المنصور بالله أبو الحسن علي المريني على قضاء الجماعة بتلمسان، فأظهر من التصميم في الحق وإقامة منار الشريعة ما يعجز اللسان عن وصفه[1]، قال عنه المقري: "أدركته ورأيته وأخذت عنه شرح المعالي، ولي القضاء بتلمسان مرات عدة فلم تستفزه الدنيا ولا باع الفقر بالغنى"[2].

سعيد العقباني:

قاض وفقيه مالكي ولي القضاء في تلمسان مدة تزيد على أربعين سنة، كما تولى القضاء في بجاية ومراكش وسلا ووهران، وحمدت سيرته[3].

قاسم بن سعيد العقباني:

أبو الفضل: فقيه، بلغ درجة الاجتهاد، ولي القضاء بتلمسان، ثم عكف على التدريس إلى أن مات، له أرجوزة في التصوف، و تعليق على ابن الحاجب[4].

محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني:

الفقيه العالم العلامة الحاج الرحلة المتقن البارع [1]، قاض، من أكابر فقهاء المالكية، له مشاركة بالأدب، ولد ونشأ بتلمسان، وأخذ عن مشيختها ثم رحل الى المشرق، وحج، وعاد، فولي قضاء الجماعة ببلده، من آثاره "تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر[2].

---

[1] ابن الأحمر، المصدر السابق، ص ص226، 227

[2] المقري، أزهار الرياض، ج5، ص49، ابن مريم، المصدر السابق، ص291

[3] ابن فرحون، المصدر السابق، ص394، الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص101

[4] ابن مخلوف، المرجع السابق، ص367، الزركلي، المرجع نفسه، ج5، ص176

[1] التنبكتي، المصدر السابق، ص547

[2] نويهض، معجم أعلام الجزائر، 237

إبراهيم بن قاسم بن سعيد بن محمد أبو سالم العقباني:

من فقهاء المالكية، نشأ بتلمسان وأخذ عن مشيختها، ثم ولي قضاءها، أخذ عنه أحمد الونشريسي وأثنى عليه ونقل عنه في كتبه، قال عنه صاحب نيل الابتهاج: "حصل وبرع، وألف وأفتى، وتولى القضاء بعد عزل ابن أخيه العلامة محمد بن أحمد"[1].

عبد الواحد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني:

قاض، من فقهاء المالكية، ولد ونشأ وتعلم بتلمسان، ثم ولي قضاء الجماعة بها[2].
اشتغل معظم أفراد عائلة العقباني بمجال القضاء وقد سبق التعريف بهم بالتفصيل في العوائل الأندلسية التي هاجرت إلى تلمسان.

علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي النباهي المالقي:

من أهل مالقة، من بيت رفيع، وعلم وقضاء وخطابه، كان من رجال الدولة النصرية في النصف الثاني من القرن الثامن، ولّي قضاء الحضرة، وخطابة جامع السلطان ببلده، ثم رحل إلى العدوة* فلقي بتلمسان عمران أبا موسى المشدالي وحضر مجلسه، والأخوين الإمامين أبا زيد و أبا موسى ابني الإمام فأخذ عنهما[1].

خامسا- الجيش:

لا نكاد نجد في هذا الباب إلا النزر القليل خاصة مع نشوء الدولة الزيانية في عهد مؤسسها يغمراسن بن زيان وفيما عدا ذلك لم تذكر المصادر ما يمكن أن ندرجه في هذا المجال غير عائلة الآبلي التي عمل أفرادها بالجيش في عهد السلطان يغمراسن بن

---

[1] التنبكتي، المصدر السابق، ص65، نويهض، معجم المؤلفين، ص236

[2] التنبكتي، نفسه، ص288

[1] ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص ص69، 70، ابن الأحمر، المصدر السابق، ص170

* لم يمارس القضاء بتلمساء

زيان حيث استخدمهم هو وابنه من بعده في جندهم، وقد كان إبراهيم الآبلي هذا قائدا للجيش بهنين[1].

أما في الفترة الأخيرة التي تلت سقوط غرناطة وما نتج عنه من تنكيل بالموسكيين الذين اتخذوا من مدينة وهران التي كانت مهبط التجار القطلونيين والجنوبيين، ومن بعدهم الغرناطيين مكان إقامة لهم، وكانوا يجهزون على الدوام سفنا شراعية وأخرى مسلحة يمارسون بها القرصنة، ويعتبرون ذلك جزءا من الجهاد الديني الذي فرض عليهم وانتقاما لما نزل بهم من تعسف الإسبان[2]، حيث قاموا بغزو سواحل قطلونية وجزر يابسة ومنورقة وميورقة وأسر ما يمكن أسره من المسيحيين الذين أصبحت بلاد المغرب تعج بهم[3].

كما بنى الموريسكيون قاعدة عسكرية بحرية بالمرسى الكبير، أسهمت بشكل كبير في التصدي للتحرشات العسكرية الاسبانية والتحرشات القوات البرتغالية سنة907هـ-1501م والتي لم يكتب لها النجاح بفعل التجهيزات الجيدة بالقاعدة البحرية[1]، والخبرات التي اكتسبوها من خلال ثوراتهم ضد الإسبان، ولأدل على ذلك ما عبر به الشاعر حين نصح أهل وهران بالاستعانة بإخوانهم من أهل الأندلس في الجهاد ضد الإسبان ومحذرا من خطرهم على المدينة:

فلا تهملوا أمر الأعادي فإنـــــهم بحال اجتماع واتفاق وشــــــدة
وقد قطعوا قطعا فإن ظفروا بكـــم فقد ظفروا طرا بأهل الجزيـــــرة
ولا يحمي مرساكم ضعاف رجالكم ولا البدو بل تحميه أهل الجزيرة
فإنَّ لهم بالطعن والضرب خبـــرة وكم فتكوا بالكفر أكبر فتكـــــة[2]

[1] ابن خلدون، الرحلة، ص49
[2] عنان، دولة الإسلام، ع4، ص384
[3] الوزان، المصدر السابق، ج2، ص30
[1] سعيدوني، مظاهر التأثير الأيبيري، ص151
[2] ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص18

وبذلك أصبح الموركسيون يمثلون العنصر الفعال ورأس الحربة في الجهاد ضد الإسبان والبرتغاليين الأمر الذي جعل العدو يتراجع في الكثير من الأحيان عن غزوه للشواطئ المغربية.

يمكن الجزم بأن الكثير من الأندلسيين قد تقلدوا مناصب هامة في الدولة من الحجابة إلى القضاء إلى الكتابة والوزارة، إضافة لمساهمتهم في الجيش، وهذه المناصب هي من الأهمية بما كان، فمن جهة أنها لم تكن معروفة ولا معمول بمقتضاها على ما كان في المشرق والأندلس، وإن وجدت كانت مختلفة عما هو موجود، ذلك أن المغرب الأوسط كان يعيش مرحلة البداوة التي قال فيها البعض وهم بصدد الحديث عن التأثيرات الأندلسية المتسربة إلى الدولة الزيانية أن بلاط تلمسان فقد في بداية تأسيس الدولة طابعه البدوي بفضل التأثير الأندلسي بعد أن أبدى العديد من حكامها اهتماما بكل الوافدين من الأندلسيين لعلمهم بما كانوا يمثلونه، وقد واستدعوا لها الصنّاع والفعلة من الأندلس لحضارتها وبداوة دولتهم يومئذ بتلمسان.

المبحث الثالث:

إسهامات الأندلسيين في المجال الثقافي:

اهتم الأندلسيون بالعلوم فكانت قدرتهم على الإبداع أقوى وأهم من أهل المغرب ففي الفترة التي تولى فيها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الحكم انقطع إليه من الجزيرة من أهل كل علم فحوله، أكثر من غيرهم وذلك لما كانوا يتمتعون به من تفوق في جميع مجالات العلوم، حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم واجتمع له ولابنه من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصار[1]، فهم "أهل البلاغة التي لم تزل شمسها بالأندلس باهرة الإبادة ظاهرة الآيات إلى أن استولى عليها العدو...وفي أهلها بقية لسان ويراعة وتصرف في فنون الإجادة وبراعة، وهم أشعر الناس وأكثرهم اشتغالا بفنون العلوم"[1]، حيث نشأ فيهم العلماء والشعراء والفضلاء الذين كانت لهم عناية بالغة بشتى العلوم والفنون لما لهم من ذكاء العقول والصفات الحميدة التي كان لها الأثر الكبير في إثراء الحياة العلمية بتلمسان التي أصبحت وارثة العلوم الأندلسية[2]، حيث شكل مجال التدريس الفضاء الرحب الذي أبدع فيه الكثير من الأندلسيين أكثر من غيرهم فنشطوا حلقات العلم وأغنوا المكتبة بعديد المصنفات والكتب وقد التف حولهم طلبة العلم حتى صارت مهنة التدريس من اختصاصهم دون سواهم وصار منهجهم في ذلك تدريس فنون الخط وتعليم الشعر واللغة إضافة إلى حفظ القرآن الكريم الذي أسهم في ترسيخ الملكات لما هو قادم من أصناف العلوم[3].

---

[1] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص227

[1] المقري، نفح الطيب، ج3، ص155، المقري، أزهار الرياض، ج1، ص ص115، 116

[2] القلصادي، المصدر السابق، ص26

[3] سعد الله صالح البشري، الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس (316-422هـ)(928-1030م)، مكتبة الملك فهد للنشر، السعودية 1997، ص144

لقد كان المهاجرون الأندلسيون أصحاب ثقافة وصنائع ومال، تفوقوا على سواهم من أهل البلاد في الفنون والعلوم والآداب ونالوا مكانة مرموقة واهتمام من السلاطين والحكام الذين شجعوهم وأغدقوا عليهم الأموال والهدايا وأعلوا منزلتهم فصار لهم من المآثر ما جعل هذه البلاد تشهد نهضة علمية وثقافية لم تعهدها من قبل ولم يترددوا في استقبال الكثير منهم ودعوتهم إلى بلاطهم[1].

اشتغل الكثير منهم بالتدريس فكانوا أعلام في هذا المجال الذي لم ينافسهم فيه أحد فأبدعوا في تغيير منهج التعليم كليا لما كان يتصف به من تأخر في الاستيعاب وصعوبة في الفهم، فعمدوا في تعليمهم لأهل المغرب على إدخال الشعر والأخذ بقوانين اللغة العربية التي تسمح للطالب بالحصول على ملكة اللسان العربي وهو الذي نقف عليه في قول ابن خلدون : "فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله، واختلاف حملة القرآن فيه، ولا يخلطون ذلك سواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب ... وأما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم، إلا أنه لما كان القرآن أصل ذلك ... ومنبع الدين والعلوم جعلوه أصلا في التعليم، فلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل، وأخذهم بقوانين العربية"[1]، فأفادهم ذلك التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل ومدارسة العربية من أول العمر، وحصول الملكة التي صاروا بها أعرف في اللسان العربي[2].

لقد ازدهرت البلاد بفضل حركة التعليم التي أسهمت في بروز جيل جديد من العلماء والأدباء الذين كان لهم باع في هذا المجال نأتي على ذكرهم من خلال كتب التراجم

[1] برونشفيك، المرجع السابق، ج2، ص160

[1] ابن خلدون، مقدمة، ص740

[2] نفسه، ص742

والطبقات التي عرفت بهم ومن ضمنهم الذين استقروا بتلمسان واتخذوها موطنا لهم وأسهموا في نهضتها العلمية حتى أضحت تضاهي حاضرة فاس والقيروان[1]، والذين قال فيهم القلصادي: "أدركت فيها(يقصد تلمسان) كثيرا من العلماء والصلحاء والعباد والزهاد، وسوق العلم حينئذ نافقة وتجارة المتعلمين والمعلمين رابحة والهمم الى تحصيله مشرفة... فأخذت فيها بالاشتغال بالعلم على أكثر الأعيان المشهود لهم بالفصاحة والبيان"[1].

أولا- الفقه:

يعتبر الفقه من العلوم التي أبدع فيها الأندلسيون، بسبب غلبة الطابع الديني على الحياة الفكرية كلها، ولأنه يعالج أمور الدنيا في مجلات الزواج والطلاق والمعاملات وفي العبادات كالصلاة والزكاة والحج وغيرها، فكان بذلك المجال الأكثر تداولا بين طلبة العلم، إضافة إلى ذلك فإن الغالبية العظمى من الممارسين لهذا النوع من العلوم كانت تجد لها مجالا للعمل بالقضاء والإمامة والدواوين، يضاف إلى ذلك المذهب المالكي الذي كان متداولا ببلاد المغرب والأندلس كان له الفضل في الإقبال على الفقه، ومن أشهر العلماء الأندلسيين الذين برزوا في هذا المجال وهاجروا إلى تلمسان نذكر:

-أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن سفيان السلمي(كان حيا 557هـ-1162م):

من أعيان لقنت[2]، من عمل مرسية، تولع بطريقة الكتابة فبرع فيها فكان أوحد زمانه في كتابة العقود والشّروط بصيرا بذلك سكن مدينة تلمسان، وروى عنه بها أبو عبد الله بن عبد الحق التلمسيني، وقال: "صحِبته وسمعت منه وأمتعني بحديثه، وكان

---

[1] صالح بن قربة وآخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر 2007، ص135

[1] القلصادي، المصدر السابق، ص95

[2] حصنان من أعمال لاردة بالأندلس لقنت الكبرى ولقنت الصغرى. الحموي، المصدر السابق، مج5، ص21

له في الشعر والكتابة السلطانية بعض التقدم والنفوذ"[1].

يحي بن محمد بن إلياس الأزدي:

يكنى أبو زكريا، أندلسي نزل تلمسان، ذكره التجيبي وقال سمع علي في سنة ست وسبعين وخمسمائة، كان عدلا مقيدا محققا[2].

أبو الحسن صالح بن أبي صالح بن خلف بن عامر الأنصاري الأوسي(ت581 هـ-1185م):

العالم الفقيه الإمام الكامل، من أهل مالقة، كان فقيها متفنناً مقدماً في علم الكلام، رحل ولقي بتلمسان أبا جعفر بن باق وأخذ عنه علم الكلام[3].

أبو عبد الله الراعي:(853هـ-1449م):

شمس الدين محمد بن إسماعيل الأندلسي الغرناطي ولد بغرناطة سنة 782، وأخذ الفقه والأصول والعربية عن جماعة من أهل العلم بالأندلس، وأجاز له من أهل المغرب أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني، والعلامة أبو الفضل محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن الإمام، وعالم الدنيا أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني[4].

أبو الحسن علي بن محمد بن خيار(ت605هـ-1209م):

الفقيه الحافظ المشاور الرافض للتقليد الميال إلى النظر والاجتهاد، حسن المشاركة في العربية وعلم الكلام وأصول الفقه والتصوف، من أهل بلنسية رحل إلى تلمسان طالبا للعلم فأخذ عن كبار العلماء مثل أبي الحسن بن أبي قنون [5].

---

[1] ابن سعيد، المصدر السابق، ج2، ص274، ابن الأبار، التكملة، ج2، ص24، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، مج4، س6، ص41

[2] ابن الأبار، التكملة، ج4، ص180

[3] ابن مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص ص226، 227

[4] المقري، نفح الطيب، ج2، ص ص694، 695

[5] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، مج5، س8، ص17، ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص44، ابن القاضي، المصدر السابق، ص483، ابن الأبار، التكملة، ج3، ص247، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج43، ص60

محمد بن أحمد بن سلمة بن أحمد الأنصاري(ت ق 7هـ-13م):

تلمساني لورقي الأصل، يكنى أبو عبد الله، روى عن أبيه، وأبي ذر بن أبي ركب وكان فقيها محدثا، أديبا كاتبا بارع الخط سري الهمة، نزيه النفس حسن الخلق والخلق، توفي يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من محرم ....وست مئة[1].

محمد بن الحسن بن محمد اليحصبي (734هـ-1334م):à

أبو عبد الله الباروني، أصله من غرناطة، نزيل تلمسان، كان من صدور الفقهاء المالكية حسن التعليم أخذ عن القاضي أبي الحسن الصغير وأبي زيد الجزولِي وغيرهما ودرّس بغرناطة وسبتة وغيرهما وكانت فيه خدمة وجرت عليه بسببها محنة ومات بتلمسان[2].

محمد بن يحي بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن سعد الأشعري المالقي(ت741هـ-1341م):

من صدور العلماء وأعلام الفقهاء الفضلاء، فسيح الدرس عارفا بالأحكام والقراءات مبرزا في الحديث تاريخا وإسنادا حافظا للأنساب قائما على العربية[3]، تصدر للعلم يقرئ فنونا جمة كالعربية والفقه وأقرأ القرآن، وفي بلاد المغرب أخذ العلم عن جماعة من أكابر العلماء منهم أبو إسحاق التلمساني ومحمد بن سيد الناس وغيرهم من أهل المغرب[4].

المجاري أبو عبد الله محمد المجاري الأندلسي:

من أهل غرناطة، نزل تلمسان وبها أخذ عن شيوخها إبراهيم المصمودي وأبو عثمان بن محمد بن محمد العقباني وابن مرزوق الذي وصفه بالأستاذ والشيخ الفقيه الإمام القدوة، شد إليه الكثير من طلبة العلم رحالهم للتلاوة على يديه، كان حافظا لألفية

---

1 ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، مج5س8، ص136

2 ابن حجر، المصدر السابق، ج3، ص425

3 ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص176

4 ابن مخلوف، المرجع السابق، ص214، التنبكتي، المصدر السابق، 397

ابن مالك[1].

محمد بن أحمد الأنصاري الأندلسي(ت ق 9هـ-15م):

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي صعد الأنصاري الأندلسي الأصل تلمساني الدار[2]، من أصحاب الشيخ أبي عبد الله السنوسي، كان فقيها خيّرا فاضلا حافظا مطلعا، له مؤلفات منها كتابه الذي سماه النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، وهو كتاب كثير الفائدة استحسنه سلطان تلمسان وكتب فصوله بماء الذهب[3].
لما كان له من الأهمية التي أثرت في طلبة تلمسان

محمد بن محمد بن سراج(ت848هـ-1445م):

أبو القاسم الأندلسي الغرناطي مفتيها وقاضي الجماعة بها، الإمام العالم العلامة الحافظ الجليل، حامل راية الفقه والتحصيل جامعًا للفنون محصلًا قدوة، أخذ عن شيخ الشيوخ ابن لب[4] وغيره، واشتهر بالعلم والإمامة، له تآليف منها: شرحه الكبير على مختصر خليل، أكثر المواق من النقل عنه في شرحه على المختصر، وله فتاوى كثيرة ذكر جملة وافرة منها في المعيار، ارتحل إلى تلمسان ولقي بها الإمام ابن مرزوق وناظره، أخذ عنه جماعة من الأئمة الكبار، وله فتاوى كثيرة نقل الونشريسي في معياره جملة منها [5].

أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن داود البلوي الأندلسي(ت933هـ-1532م):

---

[1] المجاري، المصدر السابق، ص128

[2] ،ابن صعد، النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، تحقيق: الطاهر منزل، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة قسنطينة-2-1432-1433هـ/2011-2012م، ص9

[3] الشفشاوني، المصدر السابق، ص ص123، 124

[4] ابن لب: فرج بن قاسم بن أحمد بن لب، أبو سعيد التغلبي الغرناطي، نحوي من الفقهاء العلماء، انتهت إليه رياسة الفتوى في الأندلس. الزركلي، الأعلام، ج5، ص140

[5] التنبكتي، المصدر السابق، ج2، ص325، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص357

وصفه الشيخ ابن غازي في فهرسته بالفقيه المتفنن المشارك الحجة الجامع الضابط الناظم الناثر البليغ الأكمل الأدرى من أهل غرناطة، ارتحل مع أبيه وإخوته من غرناطة بعد التسعين وثمانمائة فنزلوا بتلمسان، وأخذ عمن أدرك من شيوخها حينئذ مثل ابن مرزوق الكفيف والقلصادي وغيرهم، له شرح الخزرجية في العروض[1].

شمس الدين أبو عبد الله بن جابر الوادي آشي:

من أهل الأندلس الذين استقروا بتلمسان، قال في شأنه ابن مرزوق عاشرته وسمعت منه وسمع بقراءتي، فقرأت عليه الكثير وقيدت من فوائده، وكان أعلى أهل المغرب إسنادا في القرآن وله معرفة بالفقه والحديث، عرف في كثير من التراجم بالشيخ الإمام المحدث والراوية، مؤلف أسانيد المالكية [2]، درّس بتلمسان الحديث والنحو والمنطق والفرائض، إلا أنه كان كثير الإسماع في الفقه[3].

ابن أصبغ:

محمد بن عيسى بن محمد بن محمد بن أصبغ بن عيسى بن أصبغ كذا نسبه، يعرف بابن المناصف ويكنى أبو عبد اللَّه من أهل قرطبة، خرج أبوه عيسى منها عند انقراض الدولة اللمتونية فاستوطن إفريقية، وانتقل هو إلى تلمسان، كان عالما متفننا نظارا صاحب استنباط وتدقيق واقفا على الاتفاق والاختلاف معللا مرجحا مع الحظ الوافر من علم اللغة والآداب والتصرف الحسن في قرض الشعر[4].

ابن خيار:

[1] ابن مخلوف، المرجع السابق، ص273، التنبكتي، المصدر السابق، ص138، كحالة، المرجع السابق، ص138

[2] ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص124، الزركلي، الأعلام، ج6، ص68

[3] مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الاقتصادية والثقافية، منشورات الحضارة، الجزائر 2009، ج2، ص290

[4] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص120

أبو الحسن علي، بلنسي الأصل، كان فقيها حافظا مشاورا، رافضا التقليد ميالا إلى النظر والاجتهاد، متفننا حسن المشاركة في العربية وعلم الكلام وأصول الفقه والتصوف، رحل إلى تلمسان طالبا، للعلم عن أبي الحسن بن أبي قنون[1].

ب- الحديث:

عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن خلف الأموي(ت560هـ-1165م):

يكنى أبو الأصبغ من بلشيد من عمل سرقسطة، تجول بالعدوة وسكن تلمسان، كان من الرجال الثقات حيث قال: "سمعت كتاب البخاري عن أبي الوليد الباجي ولكني لا أحدث به عنه لأنه كان يصحب السلطان"[2].

ابن المكتب(حيا ق 6هـ-12م):

عبد الرحمان بن محمد بن أحمد يكني أبو زيد، من أهل شاطبة ونزل تلمسان، كان رجلا صالحا، حدّث عنه أبو عبد الله بن عبد الحق التلمساني وسمع منه الحديث[3].

أبو أحمد جعفر بن لب بن محمد بن عبد العزيز بن ميمون اليحصبي(ت590هـ-1194م):

سكن شاطبة وأَصله من أنتنيان، يكنى أَبو أحمد وأبو الفضل، كان من أهل العناية بالرواية، حسن الخط جيد الضبط، كانت له رحلة حج مر فيها بتلمسان، سماه التجيبي في معجم شيوخه، وقال:" قدمت عليه تلمسان من شاطبة سنة ست وثمانين وخمسمائة"[4].

أحمد بن سلمة بن أحمد بن يوسف بن سلمة الأنصاري (ت598هـ-1202م):

---

[1] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، مج5، ص17

[2] ابن الأبار التكملة، ج3، ص95

[3] نفسه، ج3، ص31

[4] المقري، نفح الطيب، ج7، ص505، ابن الأبار، نفسه، ج1، ص ص 196، 197

لورقي نشأ ببلنسية ونزل تلمسان، من أهل العناية الكاملة بالحديث والعربية درسهما بتلمسان، استدعاه أبي محمد عبد المؤمن بن علي إلى حضرته بمراكش لتدريس الحديث فأسمع بها، ثم عاد إلى تلمسان فكان إماما في الحديث وقد سُمع منه الكثير[1].

ابن فيرة(ت602هـ-1206م):

عبد العزيز بن يوسف بن عبد العزيز بن يوسف بن إبراهيم بن عمر اللخمي، يعرف بابن الدباغ ويكنى أبو الأصبغ من أهل مرسية، تلقى العلم على كبار العلماء في الأندلس الذين زاد عددهم عن الخمسين، سكن تلمسان وبها لقيه أبو العباس بن المزين سنة600هـ-1204م[2]، كان رحمه الله هو وأبوه من أئمة المحدثين وحفاظهم المتقدمين في الضبط والإتقان[3].

أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري(ت626هـ-1229م):

ولد بقرطبة سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، وسمع الكثير هناك، روى عن عبد العزيز بن الوليد يوسف بن الدباغ لقيه بتلمسان، له على كتاب صحيح مسلم شرح أحسن فيه وأجاد سماه المفهم، وكان بارعا في الفقه والعربية، عارفا بالحديث، يشار إليه بالبلاغة والعلم مع التقدم في الحديث[4].

أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر:

[1] الذهبي، تاريخ الإسلام ج42، ص331، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س1، ق1، ص ص125-127، ابن الأبار. التكملة، ج1، ص62

[2] ابن الأبار، التكملة، ج3، ص ص96، 97، عبد القادر بوباية، إسهام العلماء الأندلسيين في الحركة العلمية بتلمسان خلال القرن السابع الهجري (13م)، مجلة عصور الجديدة، عدد2، مختبر البحث التاريخي تاريخ الجزائر جامعة وهران الجزائر 2011، ص167

[3] ابن زرع، الذخيرة السنية، ص40

[4] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س1، ص348، ابن فرحون، المصدر السابق، ج1، ص ص240-242، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج14، ص795، الصفدي، المصدر السابق، ج7، ص173

الإمام أبو العباس الأنصاري، ولد بقرطبة سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، وسمع بها من كبار أهل العلم، وبتلمسان من محمد بن عبد الرحمن التجيبي، اختصر الصحيحين، ثم شرح مختصر مسلم بكتاب سماه المفهم وأتى فيه بأشياء مفيدة، وكان بارعا في الفقه والعربية، عارفا بالحديث[1]، سماه الصفدي "بالمالكي المحدث المدرس"[2].

ابن مسدي (ت663هـ-1265م):

محمد بن يوسف بن موسى بن يوسف الأزدي المهلبي الغرناطي، جمال الدين أبو المكارم، محدث حافظ فقيه مقرئ أديب ناظم ناثر، أصله من غرناطة، ورحل منها إلى المشرق، وفي طريقه قرأ على علماء تلمسان وتونس، من تصانيفه: إعلام الناسك بأعلام المناسك، معجم الشيوخ في ثلاث مجلدات، المسند الغريب جمع فيه مذاهب علماء الحديث، المسلسلات في الحديث، والأربعون المختارة في فضل الحج والزيارة[3]، كان من بحور العلم، ومن كبار الحفاظ[4].

ثالثا- القراءات:

تميز الأندلسيون بإجادة القراءة عن سواهم من أهل العدوة المغربية لما كان لهم من سبق في هذا المجال بفعل العدد الكبير من العلماء الذين اختصوا فيه، ولما انتقلوا إلى بلاد المغرب أسهم الكثير منهم في نشر هذا الفن حيث برز منهم الكثير نأتي على ذكرهم فيما يلي:

ابن صاف اللخمي(ت544هـ-1150م):

[1] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج14، ص795

[2] ، الصفدي، المصدر السابق، ج7، ص173

[3] المقري، نفح الطيب، ج2، ص112، كحالة، المرجع السابق، ج12، ص140

[4] الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص150

محمد بن جعفر بن عبد الرحمان من أهل قرطبة، تصدر للإقراء بجامعها الأعظم فصار في صناعة الإقراء من المحققين المتقدمين، سماه ابن بشكوال في معجم شيوخه، خرج من بلده عند انقراض دولة الملثمين واستقر بوهران حتى توفي بها[1].

علي بن أحمد بن أبي بكر الكناني (ت569هـ-1174م):

يعرف بابن حنين ويكنى أبو الحسن، أَصله من طليطلة وولد بقرطبة ونشأ بها، كان مقرئاً للقرآن العظيم كثير الاعتناء برواياته مجوداً متقناً، رحل حاجا ثلاث مرات، ولقي أبا حامد الغزالي وصحبه وسمع منه أكثر الموطأ[2]، تلى بالسبع، وجال في بلاد المغرب، ولقي بتلمسان أبا بحر الأسدي وروى عنه[3].

محمد بن يوسف القيسي:

من أهل ألمرية ويكنى أباعبد الله، أخذ القراءات ببلنسية عن أبي الحسن بن هذيل، ثم ارتحل إلى تلمسان وأقرأ بها وأسمع وأخذ عنه الكثير منهم أبو زكريا ابن عصفور[4].

ابن مفرج (ت600هـ-1203م):

محمد بن يوسف بن سعادة الإشبيلي من أهل اشبيلية سمع من كبار المشايخ كابن عربي وأبو طاهر السلفي وغيرهم، له حظ من علم الكلام وميول للتصوف، نزل تلمسان واستقر بها للإقراء محدثا ضابطا، عالي الرواية، أخذ عنه الكثير من الناس وانتفعوا بعلمه منهم عبد الرحيم بن أبي العيش وأبو زكريا يحي بن عصفور وأبو العباس ابن المزين[5].

أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن جرج(ت601هـ-1205م):

---

[1] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص ص5، 6

[2] نفسه، ج3، ص210

[3] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، مج3، س5، ص ص125، 126

[4] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص104

[5] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص86 ، يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص70، ابن مريم، المصدر السابق، ص227

بلنسي مروي الأصل، تلا بالسبع ، كان أعلم أهل زمانه بالعلوم القديمة ماهراً في العربية وافر الحظ من الأدب متحققاً بأصول الفقه ثاقب الذهن متوقد الخاطر غواصاً على دقائق المعاني بارع الاستنباط، قدمه المنصور للشورى والفتوى في القضايا الشرعية، توفي بتلمسان[1].

محمد بن عبيد الله بن عمر بن هشام الحضرمي(ت617هـ-1220م):

يكنى أبو عبد الله، إشبِيلي الأصل مرسي النشأة والقراءة، تلمساني الاستيطان، كان مقرئا فاضلا صالحا، مقبلا على ما يعنيه[2].

يحيى بن سعيد بن مسعود المقرئ(كان حيا 600هـ-1204م):

يكنى أبا زكرِيا، ويعرف بالقلني وقلنة من بلاد الثغر الشرقي بالأندلس نزل تلمسان تصدر بها للإقراء وأُخذ عنه وكان مقرئا نحويا لغويا حافظا، له شعر كثير معظمه في الوعظ والزهد قال التجيبي أنشدني لنفسه:

عفوك اللَّهم عنا خير شيء نتمنا رب إنا قد جهلنا في الذي قد كان منا

وخطئنا وخطلنا ولهونا ومجنـــا إن نكن رب أسأنا ما أسأنا بك ظنـــا

روى ابن المزين أنه لقيه وقرأ عليه آيات من القرآن بالقراءات السبع وأجاز له في جمادى الأولي عام600هـ-1204م[3].

علي بن يحي بن سعيد الكاتب يعرف بالقلني ويكنى أبا الحسن:

أصله من الثغر الشرقي بالأندلس، سكن تلمسان وتجول ببلاد المغرب ثم سكن مراكش، له سماع من أبي عبد الله التجيبي، كان فقيها أديبا مقرئا نحويا لغويا حسن الخط في الطريقتين*[4]، قال عنه ابن مكتوم: "نزل تلمسان وتصدر بها للإقراء، وأُخذ

[1] ابن فرحون، المرجع السابق، ج1، ص ص127، 128

[2] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، مج4 س6، ص366

[3] السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص334، ابن الأبار التكملة ج4، ص186، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج42، ص486

* الخط المشرقي والأندلسي

[4] ابن الأبار، التكملة، ج3، ص248، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، مج5 س8، ص75

عنه بها، وله أشعار معظمها في الزهد"[1].

فتح بن يحيى بن سلمة بن مهدي المرادِي الكفيف:

أندلسي سكن تلمسان يكنى أبو نصر أخذ القراءات عن أبي الحسن بن هذيل ببلنسية، وتصدر للإقراء وكان من الحفاظ المتقنين أخذ عنه أبو زكرِياء بن عصفور وأكثر من خبره عنه[2]، وكان من جلة المقرئين والحفاظ المتقنين، مبرزا في صنعة التجويد، عارفا بالروايات حسن الضبط لما اختلف فيه القراء[3].

عبيد الله بن عمر بن هشام الحضرمي:

أَصله من إشبيلية وإليها ينسب، ولد بقرطبة وبها نشأ يعرف بعبيد ويكنى أبو محمد وأبو مروان أخذ القراءات عن أبي القاسم بن النخاس[4]، وسمع الحديث من أبي محمد بن عتاب[5] وأخذ العربية والآداب عن أبي محمد بن منتان[6]، وكان مقرئا نحويا أديبا شاعرا جوالة في البلاد قصد المغرب وتصدر للإقراء والتعليم والعربِيةِ والآداب، أقام بتلمسان سبع سنين يقرئ بجامعها، له تواليف في قراءة ورش وقالون، وله تصنيف الإفصاح في اختصار المصباح وشرح الدريدية[7].

محمد بن عبيد الله بن عمر بن هشام الحضرمي(ت617هـ-1220م):

إشبِيلي الأصل مرسي النشأة والقراءة، تلمسيني الاستيطان، يكنى أبو عبد الله،

[1] السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص334

[2] ابن الأبار، التكملة، ج4، ص61

[3] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، مج3، س5، ص448، ابن الأبار، التكملة، ج4، ص61

[4] من شيوخ القراء بقرطبة. ابن الأبار، التكملة، ج2، ص305

[5] لا توجد له ترجمة خاصة برع في علم الحديث وتخرج على يديه خلق كثير ينظر ابن الأبار التكملة

[6] أبي محمد بن منتان كان يقرىء العربية والآداب بقرطبة ابن الآبار نفسه

[7] ابن الجزري، المصدر السابق، ج1، ص436، ابن الأبار ، التكملة، ج2، ص ص 311، 312، السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص127، عنان، دولة الإسلام، ع3، ق2، ص660

روى عن أَبيه أبي مروان، وكان مقرئا فاضلا صالحا، مقبلا على ما يعنيه، شديد الانقباض عن الناس، روى عنه أكابر العلماء ببلده[1]، توفي بتلمسان سنة سبع عشرة وست مئة[2].

طاهر بن علي بن محمد بن عبد الرحمان السلمي(ت ق7هـ-13م):

يكنى أبو الحسن، أصله من شقرا من عمالة مرسية، تلا بحرف نافع وانتفع به خلق كثير، وكان ذا حظ من النظم والنثر شديد العناية بتقييد الأشعار والرسائل وله فيها مصنفات، وكتب بخطه الكثير في كل فن واشتهر بسرعة الكتب، سكن تلمسان، روى عنه أبو بكر بن عصفور وأبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن عيسى الحسني لقياه بتلمسان[3].

عبد الرحمان بن الطيب بن أحمد بن علي بن زرقون القيسي(ت620هـ-1223م):

من أهل الجزيرة الخضراء يكنى أبو القاسم، كان هو وأبوه وجده من أهل العلم، تجول ببلاد المغرب وغيرها وأقرأ القرآن بها إلى أن توفي بتلمسان[4].

علي بن أحمد بن داود البلوي:

العالم العلامة، قال السخاوي: أخذ عن إبراهيم بن فتوح[5] الغرناطي العقليات ونحوها، وعن محمد السرقسطي الفقه، تميز في الفقه والعربية وتصدر للإقراء

---

[1] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س6، ص334

[2] نفسه، مج4، ص6، ص366

[3] نفسه، مج2 س4، ص144

[4] ابن الأبار، التكملة، ج3، ص35، 36

[5] أبو إسحاق إبراهيم بن فتوح العقيلي الغرناطي مفتيها وعالمها الفقيه العالم المتفنن النظار المحقق المتقين. ابن مخلوف، المرجع السابق، ص376

والإمامة والخطابة والتدريس وغيرها حتى صار عالما بالقراءات[1].

أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن داود البلوي:

الفقيه الأديب الشاعر له شرح الخزرجية في العروض، درّس علم القراءات[2]، تم التعريف به سابقا.

رابعا- اللغة والأدب:

في مجال الأدب فقد برع ثلة من الأدباء والشعراء الذين تركوا بصمات في تاريخ تلمسان نأتي على ذكرهم فيما يلي:

محمد بن أغلب بن أبي الدوس(ت511هـ-1117م):

مرسي روى عن الكثير من أهل الأندلس، عرف بالعدل والثقة وله حظ وافر من الفقه، تجول كثيرا ببلاد المغرب مقرءا ومحدثا ثم سكن تلمسان، قال عنه ابن الزبير: "أستاذ نحوي أديب، أخذ عن الأعلم[3] وتأدب بِهِ ولازمه وسكن تلمسان وأقرأ بها العربية والأدب إلى أن مات بها"[4].

أحمد بن علي بن غزلون الأموي(ت520هـ-1126م):

من أهل تطيلة[5]، يكنى أبو جعفر، كان من أهل الحفظ والمعرفة والذكاء تتلمذ على يده الكثير من طلبة العلم وأخذوا عنه الكثير، وكان بقية مشيخة الكتاب والأدباء والمشاهير مع الثقة والكرم بليغا مفوها مدركا، له حظ وافر من قرض الشعر وصدق

---

[1] التنبكتي، المصدر السابق، ص341

[2] التنبكتي، المصدر السابق، ص138

[3] يوسف بن عيسى بن سليمان النحوي المعروف بالأعلم، عالم باللغة والأدب والشعر، من أهل شنتمرية. ابن بشكوال، الصلة، ص 524

[4] ابن الجزري، المصدر السابق، ج1، ص57، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، مج4، س6، ص ص146، 147، ابن الأبار، التكملة، ج1، ص ص335، 336

[5] تُطِيلَةُ: بالضم ثم الكسر، وياء ساكنة، مدينة بالأندلس في شرقي قرطبة. الحموي، المصدر السابق، مج2، ص33

اللهجة، ارتحل إلى تلمسان وبها قبره[1].

ابن باق(ت538هـ-1144م):

محمد بن حكم بن محمد بن أحمد يكني أبو جعفر وأصله من سرقسطة، كان نحويا لغويا مقرئا إماما في علم العربية وإقراء الكتاب جليلا عارفا بأصول الدين، قيل توفي بفاس وقيل بتلمسان سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة وهو الأصح[2].

صالح بن أبي القاسم بن خلف بن عامر الأنصاري الأوسي(ت586هـ-1190م):

يكنى أبو الحسن من أهل مالقة، رحل إلى تلمسان وأخذ العلم عن علمائها حتى صار فقيها متقدما في علم الكلام، مقرئا مجودا عارفا بالقراءات ضابطا لأحكامها، ماهرا في علم العربية ذا حظ صالح من الشعر[3]، قيل عنه أنه خاتمة الأدباء من أهل الأندلس بارع في التصرف وفي منظوم الكلام ومنثوره، له تآليف في العروض وتأليف في صنعة الشعر سماه الكافي في علم القوافي[4]، ذكر ابن عبد الملك أبا جعفر بن باق لقيه بتلمسان وأخذ عنه علم الكلام[5].

أبو ذر الخشني(ت604هـ-1207م):

هو مصعب بن محمد بن مسعود بن عبد الله بن مسعود الجيّانى[6] الخشني، يعرف يعرف بابن أبى الركب، الشيخ الحافظ المحدث الإمام المبرز صاحب التصانيف

---

[1] ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص79، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج35، ص 437

[2] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص360، ابن عبد الملك المراكشي المصدر السابق، مج4 س6، ص ص193، 194

[3] السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص9

[4] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، مج2، س4، ص124، ابن الأبار، التكملة، ج2، ص222

[5] ابن الأبار، نفسه، ج2، ص222، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج41، ص239

[6] نسبة إلى جيان مدينة بالأندلس في شرق قرطبة. الحموي، المصدر السابق، مج2، ص195

وحامل لواء العربية[1]، أقرأها عامة حياته، ورحل النّاس إليه فيها، وله مصنف في شرح غريب السيرة لابن إسحاق ومصنف في شرح سيبويه وشرحِ الإيضاح وشرح الجمل وله شروح وتعاليق وشعر، أخذ عنه جلة من الشيوخ[2]، رحل إلى تلمسان يسمع بها عن أبى القاسم

عبد الرحمن بن يحيى بن الحسن القرشِي، وقد سئل الفقيه الحافظ الجليل أبو عبد الله الصدفي أيهما اعرف بكتاب سبويه ابن خروف أم ابن ذر فقال: "لم يكن ابن ذر يقصر في معرفة الكتاب عن ابن خروف ولا غيره مع اتساعه في اللغات والآداب والحديث والفقه وغير ذلك"[3].

عبد اللَّه بن عمرو بن محمد بن يوسف الخزرجي(ت613هـ-1217م):

من أهل قرطبة ونشأ بتلمسان يكنى أبو محمد سمع من أبي عبد اللَّه بن خليل القيسي وأخذ عنه القراءات والعربية، وكان أديبا كاتبا بليغا وورد قرطبة في خدمة بعض ولاتها بالكتابة[4].

الفازازي(ت627 هـ-1230م):

عبد الرحمن بن يخلفتين ولد في قرطبة سنة 550 هـ/ 1155 م وسكن تلمسان وسمع من مشايخها من أمثال عبد الله التجيبي، برع في عدد من فنون العلم كالفقه والتاريخ وعلم الكلام، وشغل عدة مناصب لعدد من ولاة الموحدين، كان أديبا ناثرا وشاعرا، يغلب على شعره مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ومسحة من الزهد

---

[1] اليافعي أبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان1997، ج4، ص5

[2] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج43، ص163، ابن الأبار، التكملة، ج2، ص188

[3] ابن زرع، الذخيرة السنية، ص ص42، 43

[4] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص289، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج44، ص151

والتصوف والحكمة، من مؤلفاته: ديوان المسائل المتقبلة، سفينة السعادة لأهل الضعف والنجادة القصائد العشرينيات في النصائح الدينية والحكم الزهدية [1].

أبو الخطاب عمر بن حسن بن علي بن محمد بن فرج بن خلف بن قومس بن مزلال الكلبي الأندلسي(ت633-1235):

كان بصيرا بالحديث معتنيا بتقييده منكبا على سماعه، وله حظ وافر من اللغة ومشاركة في العربية، رحل إلى تلمسان ولقي بها أبا الحسن بن أبي حيون وأخذ عنه قبل أن يرحل إلى مصر[2].

أبي زيد الفزازي(ت637هـ-1240م):

أخو الشاعر الشهير أبي زيد عبد الرحمان الفزازي صاحب الأمداح في سيد الوجود صل الله عليه وسلم، وهو كما قال فيه بعضهم : صاحب القلم الأعلى، أبرع من ألف وصنف، فكان نسيج وحده رواية وأخبارا، وأما الأدب فلا يُسبق فيه مضماره ولا يُشق غباره، سمع من أبي عبد الله التجيبي قدم عليه بتلمسان[3].

إبراهيم بن حكم الكناني السلوي (ت739هـ-1339م):

شهر بأبيه أبو إسحاق، قال تلميذه أبو عبد اللّه المقري في مشيخته: "هو شيخنا مشكاة الأنوار يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، ورد على تلمسان بعد العشرين والسبعمائة، ثم لم يزل بها إلى أن قتل يوم دُخلت على بني عبد الوادي في الثامن والعشرين من رمضان عام سبعة وثلاثين"[4]، سأله الأديب أبو الحسن بن فرحون المدني حين زار تلمسان هل تجد في التنزيل فاءات مرتبة كترتيبها في هذا البيت؟:

"رأى فحب فدام الوصل فامتنعت ... فسام صبرا فأعيا نيله فقضى"

ففكر ثم قال: "فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ"[5]

---

[1] محمد احمد درنيقة، معجم أعلام شعراء المدح النبوي، تقديم وضبط: ياسين الأيوبي، منشورات دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت2003، ص222

[2] أنور محمود زناتي، مصادر تاريخ المغرب والأندلس، ط1، دار سحر للنشر، 2008، ص52

[3] المقري، نفح الطيب، ج4، ص ص468، 469

[4] التبكتي، المصدر السابق، ص41، المقري، نفح الطيب، ج5، ص224

[5] سورة القلم، الآية 19، المقري، نفسه، ج5، ص228

محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن محمد الأنصاري(ت 750هـ-1350م):

من أهل ألمرية، كان أديبا شاعرا لبيبا له عناية بالقرآن، رحل إلى المغرب وأخذ به عمن لقي من أهل العلم بوقته، وقد حضر بتلمسان مجلس الشيخ أبي موسى عيسى بن محمد بن عبد الله ابن محمد الحميدي المعروف بابن الإمام نزيل تلمسان[1].

عبد الله بن يوسف ابن رضوان النجاري(ت783هـ-1382م):

يكنى أبو القاسم وهو صاحب القلم الأعلى بالمغرب، نسيج وحده فهما وعلما له خلال حميدة من خط وأدب وكتابة وحفظ ومشاركة في معارف جمة، رحل من بلاده إلى المغرب فارتسم بفاس في كتابة الإنشاء السلطاني، ثم ارتحل إلى تلمسان فدرس على يد الآبلي وابن النجار وغيرهما، له فهم إلى حل الغوامض وبراعة في الخط وإجادة في فقه الوثائق والبلاغة في الترسل وحوك الشعر والخطابة على المنابر، قال عنه ابن السراج: "شيخنا الفقيه الخطيب البليغ النحوي اللغوي الراوية المتفنن الناظر الناثر"[2].

الوادي آشي:

أبو عبد الله محمد بن احمد بن الحداد الغرناطي شاعر وأديب شهير، مشار إليه في التعاليم، منقطع القرين حائز قصب السبق في كثرة النسخ والكتابة حتى قيل فيه أنه آية الله في ذلك، وقد ملأت كتبه خزائن تلمسان بأكثر من مئة سفر وفاس بنحو الثمان مئة، ذكر عنه الإمام الفقيه سعيد بن احمد المقري أنه "نسخ بخطه نحو العشرين نسخة

---

[1] ابن القاضي، درة الحجال، مج2، ص ص86- 88

[2] التنبكتي، المصدر السابق، 221، المكناسي ابن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط1973، ص ص435، 436، ابن خلدون، الرحلة، ص ص41، 42

من توضيح خليل"[1]. سكن ألمرية، واشتهر بمدح رؤسائها من بني صمادح، وقال ابن بسّام: "كان أبو عبد الله هذا شمس ظهيرة وبحر خبر وسيرة، وديوان تعاليم مشهورة وضح في طريق المعارف وضوح الصّبح المتهلّل وضرب فيها بقدح ابن مقبل إلى جلالة مقطع، وأصالة منزع، ترى العلم ينمّ على أشعاره ويتبيّن في منازعه وآثاره"[2]، كان رحمه الله ممن حل بتلمسان بعد أخذ غرناطة أعادها الله وحصلت له بها مصاهرة مع أعيانها من بني مرزوق ثم آلت إلى مقاطعة حسبما ذكر ذلك في بعض ما له من النظم، وهو الذي رثى الشيخ الإمام حافظ الإسلام أحمد بن يحيى الونشريشي بقولـــــه:

لقد أظلمت فاس بل الغرب كله بموت الفقيه الونشريشي أحمد
رئيس ذوي الفتوى بغير منــازع وعارف أحكام النوازل الأوحـد

إلى أن يقول:

رأيت نجوم الدين تبكي حزينـة على فقد حبر كان قطب أولي العليا
فقلت ومن هذا فقال مجيبـــــه على الونشريشي رئيس ذوي الفتيـــا[3].

القنطوري:

خالد بن عيسى البلوي الأندلسي القاضي أبو البقاء علم الدين، الإمام العالم الكامل المتفنن الفاضل الكاتب الأريب المطلع الأديب، ألّف الرحلة المسماة تاج المفرق في تحلية علماء المغرب والمشرق وهي مشحونة بالفرائد والفوائد وفيها من الأدب والعلوم ما لا يتجاوزه الرائد[4]، نزل تلمسان وأخذ بها عن أبي موسى بن الإمام وقاضي الجماعة أبي علي منصور بن هدية وأبي عمران موسى المشدالي والقاضي عبد النور[5].

يحي بن بُدير التلمساني الأندلسي(ت877هـ-1473م):

[1] المقري ، أزهار الرياض، ج1، ص71، ج3، ص308، المقري، نفح الطيب،ج7، ص103
[2] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص220
[3] المقري، أزهار الرياض، ج3، ص306
[4] ابن مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص329
[5] التنبكتي، المصدر السابق، ج1-2، ص174

ذكر ابن القاضي بأنه أخذ عن إمام النحويين من المتأخرين أبي عبد الله بن العباس التلمساني وعن محمد بن أحمد العقباني[1].

خامسا- التصوف:

استقر الكثير من أقطاب التصوف بتلمسان حاملين معهم أفكارهم ومصنفاتهم، وقد أجادوا في تدريسها لطلبتهم لأن ميدان التدريس كان مجالهم فكثر أتباعهم، وتشكلت العديد من الطرق الصوفية التي عمت البلاد، وبذلك انفصل التصوف عن علوم الدين الأخرى[2].

ومن أهم المتصوفة وأقطاب الطريقة من الأندلسيين الذين هاجروا إلى تلمسان نذكر:

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان التجيبي(ت610هـ-1213):

نزيل تلمسان وأصله من لقنت من عمل مرسية، سافر إلى المشرق فأكثر عن السلفي واستوسع في الرواية وبرع في الحديث، وكتب العلم عن جماعة كثيرة تزيد عن المائة وثلاثون، له عدة مصنفات في الزهد والتصوف منها الترغيب في الجهاد وكتاب المواعظ والرقائق، وكتاب الأربعين في الفقر وفضله، وفي المواعظ أربعين حديثا وفي الفقر وفضله أربعين حديثا وفي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أربعين حديث وكتاب الحب لله كان يدرسها كلها لمريديه[3]، اعتنى بالتاريخ فكان راوية فاضلا ألف في ذلك معجم شيوخ شيخه الحافظ وكتاب مشيخة السلفي[4]، وصار الناس يرتحلون إليه ويسمعون منه لما كان يتميز به من أسلوب الوعظ والتذكير على طريقة شيخه عبد الحق الاشبيلي[5]، ذكره الذهبي وغيره بأنه من أعلام تلمسان ومحدثيها[1].

---

[1] ابن القاضي، درة الحجال، ج3، ص336

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998، ج1، ص52

[3] ابن مخلوف، المرجع السابق، ص 172

[4] المقري، نفح الطيب، ج2، ص ص160، 161، ابن الجزري، المصدر السابق،ج2، ص146

[5] بونابي، التصوف، ص78

الحلوي:

أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي المعرف بالحلوي إمام العارفين وسيد الصالحين من أكابر العلماء العباد العارفين بالله، كان قاضيا بإشبيلية ثم فرّ بنفسه من القضاء وآوى إلى تلمسان، قال عنه الإمام أبو إسحاق إبراهيم المعروف بابن المرأة كل ما تسمعونه من أدب مني فمنه استفدته وعنه أخذته[2]، إليه تنسب طريقة الصوفية الشوذية التي تشبه طريقة ابن عربي إلا أنها أكثر إيجابية[3].

ابن دهاق(611هـ-1215م):

إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسي يكنى أبو إسحاق ويعرف بابن المرأة، سكن مالقة دهرا طويلا فكان متقدما في علم الكلام حتى ترأس فيه واشتهر به، حافظ للحديث والتفسير، تجول كثيرا ودرس في غير ما بلد وكانت العامة حزبه[4]، قرأ على يد أبي عبد الله الحلوي عندما زار تلمسان وقال: "كل ما تسمعونه مني من مسألة إنما هي من إفادة هذا الشيخ"[5]، له تواليف منها كتاب الإرشاد لابن المعالي وشرح كتاب ابن العريف محاسن المجالس المتضمن للمقامات التي يتدرج عبرها السالك للوصول إلى المعرفة الإلهية، وشرح أسماء الله الحسنى وإجماع الفقهاء[6].

أبو إسحاق إبراهيم بن يسول الإشبيلي:

---

[1] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج43، ص ص384، 385، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص ص24، 25، الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج4، ص125، ابن الأبار، التكملة، ج 2، ص ص102، 103، المقري، نفح الطيب، ج2، ص379

[2] ابن مريم ، المصدر السابق، ص ص68-70، يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص ص65-68

[3] المقري، نفح الطيب، ج5، ص261

[4] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص140، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص ص 315، 316

[5] ابن مريم، المصدر السابق، ص69

[6] ابن الخطيب، الإحاطة ، ج1، ص ص325، 326، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص173

نزل تلمسان ومات بها ، كان معلما للقراءات، أقرأ القرآن بتلمسان دون أُجرة عليه، كان عبدا صالحا يكثر من التعبد والصيام والقيام، قال عنه أبو الحسن بن خيار البلنسي: "أنا ممن قرأ على أبي إسحاق فكان يقول في حب الله":

لقد حكم الزمان علـــي حتى أراني في هواك كما ترانـي

حبيبي إن نأيت فإن قلبـــــي على مر الزمان إليك دانـــي

إلى أن يقول:

لقد أسكنت حبك في فـــؤادي مكانا ليس يعرفه جنانــــي

كأنك قد ختمت على ضميري فغيرك لا يمر على لساني[1].

أبو عمرة ابن غالب المرسي:

أصله من مرسية، سكن تلمسان واشتغل بالزهد[2].

أحمد بن عثمان بن عجلان القيسي(678هـ-1280م):

أصله من إشبيلية، كان محدثا فقيها نحويا، متقدما في ذلك كله، مشهورا بالورع والزهد والفضل، معظما عند الخاصة والعامة، روى عن أبي بكر بن سيد الناس وغيره، وأخذ في طريقه إلى تونس بتلمسان عن أبي زكريا بن أبي بكر بن عصفور[3].

محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن مالك بن إبراهيم بن محمد بن مالك بن إبراهيم بن يحيى بن عباد النفزي الحميري الرندي(ت792هـ-1390م):

يكنى أبو عبد الله ويعرف بابن عباد، متصوف باحث من أهل رندة بالأندلس، له كلام عجيب في التصوف، حلاه صاحبه الشيخ أبو زكرياء السراج في فهرسته: "بالشيخ الفقيه الخطيب البليغ الخاشع الخاشي الإمام المصنف السالك العارف الرباني المحقق، ذو العلوم الباهرة والمحاسن المتظاهرة سليل الخطباء ونتيجة العلماء"[4]، وذُكر عن قطب

---

[1] ابن الزيات، المصدر السابق، ص ص294، 295

[2] المقري، نفح الطيب، ج5، ص257

[3] السيوطي، بغية الوعاة، ص335، ابن مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص287

[4] التنبكتي، المصدر السابق، ص ص472-474

قطب المعقول ببلاد المغرب الشيخ الآبلي أنه كان يشير إليه بأنه كان علمًا جمًّا لا يوجد عند مشاهير أهل وقته مثله، تنقل بين فاس وتلمسان ومراكش وسلا وطنجة، وله كتب منها الرسائل الكبرى في التوحيد والتصوف ومتشابه الآيات، و غيث المواهب العلية بشرح الحكم والعطائية ويعرف بشرح النفزي على متن السكندري، و كفاية المحتاج[1].

سادسا- العلوم العقلية:

بالإضافة للعلوم النقلية شهدت تلمسان نهضة علمية في مجال العلوم العقلية التي تشتمل على المنطق وعلم الحساب والهندسة والكيمياء والفلك والتنجيم والطب وغيرها من العلوم التي يكون للعقل فيها دور أكبر من النقل، ومن جملة أهل العلم من الأندلسيين الذين برزوا بتلمسان نذكر:

-الآبلي(757هـ-1365م):

محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري الشهير بالآبلي، نسيج وحده ورحلة وقته في القيام على الفنون المعقولية"[2]، أصله من أبلة بالأندلس ومنها انتقل أبوه إلى تلمسان واشتغل بالجندية عند السلطان الزياني يغمراسن بن زيان، وأمه ابنة قاضي تلمسان محمد بن غلبون، وولد محمد في سنة 781هـ-1380م فربى عند جده وتفقه واشتغل فمهر في العلوم العقلية حتى فاق أقرانه في ذلك، وقد خالف اتجاه أبيه وأعمامه[3]، محترفا العلم حتى أصبح بصيرا في الفنون العقلية، لازمه ابن خلدون في مجلسه وأخذ عنه الأصلين والمنطق وسائر الفنون التي اشتغل بها فمهر حتى فاق أقرانه في ذلك[4]،

1 الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص299

2 ابن مريم، المصدر السابق، ص ص214، 215

3 أحمد مختار العبادي، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس(مجموعة من رسائله)،مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية1983، ص140

4 ابن حجر، المصدر السابق، ج3، ص ص288، 289

أخذ عنه الكثير منهم ابن الخطيب والشريف التلمساني وابن خلدون وابن مرزوق وغيرهم[1]، وفد عليه الطلبة وانتشر ذكره في بلاد المغرب كلها، أقام مدة بتونس يدرس ويفيد وأقام مدة ببجاية يشغل الناس ثم عاد إلى تلمسان وأقام بها مدرسا حتى وفاته[2].

القلصادي(ت891هـ-1486م):

أبو على بن محمد بن على القرشي الشهير بالقلصادي من مدينة بسطة[3]، تعلم هناك على يد كبار العلماء فيها ثم ارتحل إلى المشرق سنة 840هـ-1437م وفي طريقه إلى هناك جلس بتلمسان ثمان سنوات، أخذ فيها العلم عن كبار علمائها، ثم تولى الإقراء بها واجتمع له خلق كثير من طلبة العلم[4]، له تآليف كثيرة أكثرها في الحساب والفرائض، منها: كشف الجلباب عن علم الحساب والتبصرة وكشف الأسرار عن علم الغبار وقانون الحساب وغيرها الكثير، يصفه ابن مخلوف بأنه خاتمة علماء الأندلس وحُفاظه، وقال عنه المقري: "كفاه فخرا أن الإمام السنوسي صاحب العقائد أخذ عنه جملة من الفرائض والحساب وأجازه جميع مروياته"[5].

ابن عتيق (ت601هـ-1205م):

أحمد بن محمد بن الحسن بن جرج من أهل بلنسية، عرف بالذهبي، فيلسوف الأندلس وعالمها، جمع الطب والنحو واللغة والقراءات والفقه ونظر في علوم الأوائل، فبرع فيها أتم براعة، صنف كتاب الإعلام بفوائد مسلم وكتاب حسن العبارة في فضل الخلافة والإمارة وله فتاوٍى بديعة، أقرأ الناس العربية وأخذ عنه، مات بتلمسان سنة إحدى وستمائة[6].

---

[1] نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص12

[2] ابن حجر ، المصدر السابق، ج3، ص289

[3] بسطة: مدينة بالأندلس من أعمال جيّان. الحموي، المصدر السابق، مج1، ص422

[4] التنبكتي، المصدر السابق، ص ص 339، 340، ابن مريم، المصدر السابق، ص141

[5] المقري، نفح الطيب، ج2، ص ص692، 693، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص261

[6] السيوطي، بغية الوعاة، ج1، 366، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج43، ص46، الصفدي، المصدر السابق، ج7، ص117

ابن شلوط (ت610هـ-1213م):

علي بن موسى بن محمد، من أهل بلنسية يكنى أبو الحسن ويعرف بالشبارتي، قفل إلى المغرب فسكن تلمسان مدة بعد عودته من الحج وأُخذ عنه بها، كان محدثا عدلا خيارا، محترفا بالطب ماهرا فيه، قال عنه الأبار: "قرأت عليه بعض صحيح البخاري واستجازه لي" [1].

موشي بن صمويل بن يهودا الأندلسي:

يعرف بابن الأشقر ويعد من الأطباء المهرة، أخد العلم عن أبيه الذي اشتهر بممارسة الطب في الأندلس، ثم انتقل إلى تلمسان التي زاول بها مهنته عملا وتدريسا حيث لازمه طلبة العلم من داخل البلاد وخارجها، ومن هؤلاء الرحالة المصري عبد الباسط بن خليل الذي قال فيه: "لم أسمع بذمّي ولا رأيت كمثله في مهارته في هذا العلم (الطب) وفي علم الوقف والميقات وبعض العلوم القديمة ... وهو في الأصل من يهود الأندلس ...لازمته مدة وأخذت عنه نبذة كبيرة نافعة في الطب وغيره وأجازني"[2].

أبو عبد الله المالقي

من أهل العلم الذين كانت لهم إسهامات في مجال الطب رغم عدم تخصصه في ذلك، عاصر العالم الفقيه الآبلي والإمام المقري الجد[3] ذكره الأستاذ عبد العزيز فيلالي وقال إنه من أهل الطب.

برغم الأعداد الكبيرة من الأعلام التي سكنت تلمسان فإن الكثير منهم قد عمل في مجالات العلوم النقلية مثل الفقه والحديث والقراءات وغيرها، وغلب على الكثير منهم صبغة التصوف التي وجدت لها من الانتشار ما كاد يسيطر على جميع المجالات

[1] ابن الأبار، التكملة، ج3، ص227، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج5، ص413، الذهبي، نفسه، ج43، ص ص379، 380

[2] عبد الباسط بن خليل، الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، تحقيق: روبير برونشفيك، باريس1936، ص78، محمد بوشقيف، تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين(14-15م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان 1431-1432هـ/ 2010-2011م، ص261

[3] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص250

الأخرى، أما في مجال العلوم العقلية ورغم وجود بعض الأعلام الذين تخصصوا في الطب والحساب إلا أن تأثيرهم يكاد يكون قليلا إذا ما قورن بغيره من الاختصاصات الأخرى ، لكن بالمجمل يمكننا القول بأن الحركة العلمية عرفت تطورا ملحوظا بفعل توافد العديد من أهل الأندلس على تلمسان التي أكرمت وفادتهم وقربهم سلاطينها من صناعة القرار ومنحوهم من الرعاية ما ساعدهم وشجعهم على الإبداع والإنتاج أكثر من غيرهم.

المبحث الرابع:

إسهامات الأندلسيين في المجال الاقتصادي

رغم أن المصادر لم تسعفنا في تتبع إسهامات الأندلسيين في المجال الاقتصادي بشكل تفصيلي إلا أننا نتوجس هذا التأثير من دون أن نستطيع أن نلمس لمسا حسيا ومفصلا مقدار وزنه أو نحدد بدقة مواطنه[1]، فمع توافد أهل الأندلس إلى بلاد المغرب الأوسط حملوا معهم بذور التفوق والمهارة والحرفية الرفيعة في المجال الصناعي والزراعي أو بكلمة أخرى حملوا عناصر حضارة راقية لا مثيل لها ورموا بكل ذلك في مهاجرهم الجديدة ببلاد المغرب الإسلامي ككل وبلاد المغرب الأوسط خصوصا فكونوا

[1] محمد الطالبي، المرجع السابق، ص82

بذلك نواة حضارية بالبلاد التي سكنوها فشيدوا بها القصور والحدائق والمساجد وبرعوا في الفنون واشتهروا بالصناعات[1].

هذه الجاليات التي وفدت إلى المغرب الأوسط في شكل أفراد وجماعات كانت تتميز بالخبرة وتمتلك المال فكان فيها المتعلم وصاحب الحرفة والتاجر حيث شكلوا كيانا متكاملا ساهم في جميع مناحي الحياة الاقتصادية للبلاد كل حسب تخصصه، إضافة إلى الاهتمام الذي أولاه السلاطين الزيانيين بهم من خلال تمليكهم للأرضي تعويضا لهم عما فقدوه ببلادهم ، فأدخلوا التقنيات الزراعية وأنشؤا الصهاريج والقنوات المائية وحفروا الآبار، وفي ذلك يقول المقري: ولما نفذ قضاء الله تعالى على أهل الأندلس بخروج أكثرهم عنها في هذه الفتنة الأخيرة تفرقوا ببلاد المغرب، فأما أهل البادية فمالوا في البوادي إلى ما اعتادوه، وداخلوا أهلها وشاركوهم فيها فاستنبطوا المياه، وغرسوا الأشجار، وأحدثوا الأراحي الطاحنة بالماء وغير ذلك، وعلموهم أشياء لم يكونوا يعلمونها ولا رأوها، فشرفت بلادهم وصلحت أمورهم وكثرت مستغلاتهم وعمتهم الخيرات... وأما أهل الحواضر فمالوا إلى الحواضر واستوطنوها،... وأما أهل الصنائع فإنهم فاقوا أهل البلاد ...ومتى ما دخلوا في شغل عملوه في أقرب مدة ، وأفرغوا فيه من أنواع الحذق والتجويد ما يميلون به النفوس إليهم[2].

أولا–الصناعة

كانت الصناعة في المغرب الأوسط تقوم في مجملها على خبرة الصناع والمهرة الذين جاؤا من الأمصار والأقطار المجاورة واستوطنوا البلاد وفي ذلك يقول ابن خلدون: "وأما أهل الأندلس فافترقوا في الأقطار عند تلاشي ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر، وتغلبت عليهم أمم النصرانية فانتشروا في عدوة المغرب وإفريقية من لدن

---

[1] عبد الكريم أحمد مشهداني، مسلموا الأندلس المحنة والمأساة، مجلة الأمة، عدد12، قطر1402، ص13

[2] المقري، نفح الطيب، ج3، ص152

الدولة اللمتونية إلى هذا العهد، وشاركوا أهل العمران بما لديهم من الصنائع وتعلقوا بأذيال الدولة"[1].

ولعل أكبر جالية أندلسية نزلت بتلمسان، هي التي كانت في عهد الأميرين عبد الواحد بن أبي عبد الله (814-827هـ/1411-1424م)، وخلفه أبي العباس أحمد الزياني (834-862هـ/1431-1462م)، وقد استقبلهم هذا الأخير بحفاوة ووجههم حسب طبقاتهم وحرفهم، فالعلماء والوجهاء وعلية القوم، أنزلهم عاصمته مدينة تلمسان، وأنزل معهم التجار والحرفيين، وأصحاب رؤوس الأموال في درب خاص بهم، عرف بدرب الأندلسيين، فقد كان منهم من يتقنون صناعة البارود والعارفين بفنون الحدادة والنجارة إضافة إلى بعض المهن الفنية كالنسيج والطرز والحياكة[2]، وقد ساعدهم في القيام على صناعاتهم الاهتمام الكبير الذي أولاه السلاطين الزيانيين لهذا المجال من الاقتصاد، حيث اعتنى أبو حمو موسى الثاني بالصناعة وجعل أهلها في مصاف الرتب الاجتماعية الراقية بعد العلماء والفقهاء وشيد لهم دارا للصناعة استقطب لها المهرة من جميع الأجناس واللغات والأديان، وهو ما نقف عليه في وصف يحي ابن خلدون لهذه الدار بقوله: "إن دار الصنعة السعيدة تموج بالفعلة على اختلاف أصنافهم وتباين لغاتهم وأديانهم ، فمن دراق ورماح ودراع ...ونجار وحداد وصائغ ودباج وغير ذلك"[3].

ومن أشهر العائلات الأندلسية التي كان لها تأثير كبير في مجال الصناعة إضافة إلى المجال السياسي نجد عائلة بني الملاح الذين احتكروا صناعة الذهب والعملة التي كانوا يزاولونها في بلادهم حيث عُينوا من طرف السلطان الزياني على صك الدنانير والدراهم، يقول ابن خلدون: "وكان بنو الملاح هؤلاء قد استخصهم السلطان بحجابته

[1] ابن خلدون، مقدمة، ص529
[2] قشتيليو، المرجع السابق، ص49
[3] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص323

سائر أيامه، وكان مسمى الحجابة عنده قهرمة الدار والنظر في الدخل والخرج، وهم أهل بيت من قرطبة كانوا يحترفون فيها بسكة الدنانير"[1]، هذه الصنائع جعلت من أهل تلمسان أثرياء بفعل الحركة الدؤبة للتبادل التجاري والصناعي الذي تأثر به أهل تلمسان، والذي كان من نتائجه دخول أهل تلمسان في مجال صناعة الزرابي والنسيج الذي غلب عليه الطابع الأندلسي الذي انتقل من ألمرية التي كانت مركز هذه الصناعات إلى مدينة هنين[2] وتلمسان، حيث تأسست بعض المعامل الصغيرة الخاصة من طرف المهاجرين الأندلسيين[3]، وقد كان لعهد نزول الأندلسيين بها مزدانة بالمصانع المفيدة فما شئت من أطرزه ومنسوجات الحرير والقطن والكتان والصوف ومعامل الفخار والخزف وأنواع السلاح[4]، كما استحدث المتأخرون من الأندلسيين صناعات جديدة مرتبطة بأهل غرناطة الذين اختصوا بها دون غيرهم منها نسج القطيفة

(المخمل) إضافة إلى الشبيكة (La Dentelle) التي توارثها التلمسانيون لاحقا عن الأندلسيين[5].

ثانيا-الزراعة

أسهم الأندلسيون بفضل معارفهم وخبراتهم في مجال الزراعة في استغلال كل الطرق والتقنيات التي تساعد في تطوير المجال الفلاحي، ولم يقتصر نشاطهم في المدن التي استوطنوها بل خرجوا إلى البلاد المجاورة واستصلحوها وحفروا الآبار وغرسوا الأشجار واستعملوا في ذلك التقنيات الحديثة التي لم يكن يعرفها أهل البلاد، وبذلك شكلوا النواة الصلبة للاقتصاد وهم الذين عرفوا باستنباطهم للمياه ومعاناتهم

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص140

[2] هنين: ناحية من سواحل تلمسان من أرض المغرب.الحموي، معجم البلدان، مج5،ص419

[3] فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص222

[4] نفسه، ج1، ص177

[5] ناصر الدين سعيدوني، التجربة الأندلسية، ص141

لضروب الغراسات واختيارهم لأنواع الفواكه وتدبيرهم لتركيب الشجر وتحسينهم للبساتين بأنواع الخضر وصنوف الزهر، فهم أحكم الناس لأسباب الفلاحة[1]، من خلال شق القنوات المائية وبناء الخزانات من أجل الري وسقي الأراضي الزراعية التي أبدعوا في إدخال العديد من الأصناف الزراعية التي لم تكن موجودة في المدينة مثل أشجار التوت وتربية دودة القز، فملئوا الشعاب بالبساتين المتنوعة والثمار والرياحين والأزهار، فقلدهم الناس في اعتنائهم بالغرس حتى صارت البلاد وأهلها في حالة زاهية وعيشة راضية[2]، يذكر المقري على لسان ابن غالب أنه: "لما نفذ قضاء الله، على أهل الأندلس بخروج أكثرهم عنها في هذه الفتنة الأخيرة، فتفرقوا ببلاد المغرب من بر العدوة، حتى بلاد إفريقية، فأهل البادية قد مالوا إلى البوادي، إلى ما اعتادوه ودخلوا على أهلها، وشاركوهم فيها، فاستقوا المياه، وغرسوا الأشجار وأحدقوا الأرض، وعلموهم أشياء لم يكونوا يعلمونها ولا رأوها فشرقت بلادهم وصلحت أحوالهم"[3].

لذلك يمكن القول بأن الجانب الأكثر إبداعا لهم يتمثل في تشكيل الحدائق المزهرة والجنان الخضراء والبساتين الفائقة الجمال، وهم الذين اشتهروا بزراعة قصب السكر والقطن والحبوب التي كان لهم في إنتاجها التفوق الجم بفضل نظامهم المدهش في الري بواسطة السواقي وقنوات الري[4]، فصارت تلمسان مدينة ذات محاسن فائقة وأنهار رائقة وأشجار باسقة وأثمار محدقة[5].

ثالثا–التجارة

---

[1] المقري، نفح الطيب، ج3، ص151

[2] فيلالي، المرجع السابق، ص 178

[3] المقري، نفح الطيب، ج3، ص152

[4] مفيدة، المرجع السابق، ص131

[5] القلصادي، رحلة القلصادي، ص95

أسهم موقع تلمسان المميز الذي جعل منها نقطة العبور من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب في تبوئها لمكانة رائدة بين بلدان المغرب، كما أسهمت الوحدة السياسية والجغرافية بين العدوتين في ظل حكم المرابطين والموحدين في ازدهار التبادل التجاري وتوسيع موارده ومصادره مع التنقل الكثيف للأندلسيين إلى بلاد المغرب نظرا لخبراتهم ومعرفتهم بالمسالك التجارية والبلاد المسيحية التي كانت تجري معها المبادلات، كل هذه العوامل مكنتهم من التحكم في هذا المجال أكثر من غيرهم[1]، كما أسهم اليهود المهجرون من الأندلس في مجال الصيرفة التي لم يكن ينافسهم فيها أحد إضافة إلى بعض الصنائع الخاصة بالحياكة والطرز الذي اشتغل به أهل تلمسان والتي انتقلت عن طريق اليهود الذين كانوا يباشرونها ويتفننون بها[2].

إن التفنن الذي عرفته بلاد الأندلس في مجال الزراعة والدراية الكبيرة في مجال الصناعة والتجارة مع الأوربيين وغيرهم من الأقوام الذين تعاملوا معهم إنما أكسبهم الخبرة في تلك المجالات وبانتقالهم إلى المغرب الأوسط لم يبخلوا على أهله بما جادت به قرائحهم وأفكارهم وأسهموا بالشكل الكبير في اعتماد التقنيات الحديثة في عصرهم فأبدعوا في مجال الفلاحة وتصدروا مجال التجارة والصناعة وقد ساعدتهم تلمسان بموقعها الذي كان يمثل عبر العصور همزة الوصل بين حواضر المغرب الإسلامي والأندلس.

1 محمد الطالبي، المرجع السابق، ص82

2 محمد بن أحمد ابن شقرون، مظاهر الثقافة المغربية دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب 1985، ص ص41، 42

المبحث الخامس:

إسهامات الأندلسيين في المجال الاجتماعي

ما من شك في أن التأثيرات الأندلسية كانت كبيرة في المجال الاجتماعي خاصة وان الأندلسيون اشتهروا بميزات تفرقهم عن غيرهم من الأجناس البشرية الأخرى التي كانت تقطن مدينة تلمسان من البربر والعرب وغيرهم، إلا أن المصادر التاريخية التي بين أيدينا لا تكاد تركز في مجملها إلا على الجانب السياسي أكثر من غيره من الجوانب الأخرى، وحتى التي تطرقت إلى الجانب الاجتماعي تكاد تكون نادرة ويصعب

الوصول إليها على اعتبار أن العديد منها لم يتم تحقيقه، لكن يمكننا من خلال تتبع الجوانب الحضارية لأهل الأندلس أن نميز بين ما كان سائدا في غرناطة ولم يكن موجودا بتلمسان إلا مع هجرة الأندلسيين إليها.

هاجر الأندلسيون إلى بلاد المغرب ومعهم موروثهم الاجتماعي الذي يحمل في ثناياه كل معاني الحضارة والرقي، وشكلوا مجموعات بشرية مختلفة عن عامة الناس، رغم التجانس الذي كان سائدا بين الجميع في مجال الدين واللغة والهوية إلا أن سمة التميز كانت تطبع الأندلسيين من خلال ملبسهم ومأكلهم وعاداتهم الاجتماعية التي تختلف عن عادات أهل تلمسان، ذلك أن العديد منهم كان يعتقد في قرارة نفسه ويمنيها بالعودة إلى الديار[1] إلا أنهم وجدوا في تلمسان ما يساعدهم على التأقلم بها فكانت إساهماتهم واضحة وجلية في جميع ميادين الحياة، ولعل أكبر إسهام لهم هو تعويض النقص الكبير في عدد سكان الذي صاحب المجاعة والأمراض والقحط الذي أصاب بلاد المغرب في تلك الفترة.

ورغم أنهم ظلوا محافظين على مميزاتهم وخصوصياتهم الأندلسية، وعلى الكثير من عاداتهم وتقاليدهم، ونمط حياتهم الذي اتسم بالأناقة وحسن المظهر، حيث كان الأندلسي يبيع كل ما لديه من متاع ليشتري به صابونا يغسل به ثيابه فتراهم كأنهم الأزهار المفتحة، في البطاح الكريمة، تحت الأهوية المعتدلة[2]، وقد أشاد المقري بهم حين يقول: "وأهل الأندلس أشد خلق الله اعتناءا بما يلبسون وما يفرشون وغير ذلك مما يتعلق بهم وفيهم من لا يكون عنده إلا ما يقوته يومه، فيطويه صائما، ويبتاع صابونا يغسل به ثيابه"[3]، وقد قلدهم الناس في الكثير من أعمالهم وصنائعهم إلى درجة أنه لا يكاد المرء يعرف من هم أهل البلاد ومن هم الوافدون عليها، ففي اللهجات نرى أن أهل

[1] محمد الطالبي، المرجع السابق، ص78
[2] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص135
[3] المقري، نفح الطيب، ج1، ص223

تلمسان تغلب عليهم الإمالة في كلامهم وهو ما كان عليه أهل الأندلس الذين قال فيهم ابن الخطيب: "وألسنتهم فصيحة عربية يتخللها غرب كثير وتغلب عليه الإمالة"[1].

ورغم أن هذه الجالية استطاعت أن تتميز عن غيرها من خلال المحافظة على التقاليد ومظاهر الحياة اليومية في المناسبات مثل الأفراح والاحتفالات بالأعياد والمواسم الدينية كالمولد النبوي الشريف وليلة القدر وعاشوراء وعيد الأضحى وعيد الفطر، إضافة إلى تميزهم في طرق الطهي و نوعية اللباس و الأكل وغير ذلك من مظاهر الحياة، إلا أن أهل تلمسان قلدوهم في العديد من مظاهر حياتهم، ففي موسم الأعياد سجل التلمسانيون أول احتفال لهم بالمولد النبوي الشريف عهد السلطان أبو حمو موسى الثاني الذي عاش كل صباه في الأندلس وسبته بالمغرب، وقلد ملوكها في العناية بهذا الاحتفال، أين كانت تقام ليلة ميلاد النبي محمد – عليه الصلاة والسلام – بمشوره من تلمسان المحروسة مدعاة حفيلة يحشر فيها الناس خاصة وعامة، "فما شئت من نمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة، وبسط موشاة، ووسائد بالذهب مغشاة، وشمع كالأسطوانات، وموائد كالهالات، ومباخر منصوبة كالقباب، يخالها المبصر تبرا مذاب، ويفاض على الجميع أنواع الأطعمة، كأنها أزهار الربيع المنمنمة، تشتهيها الأنفس وتستلذها النواظر، ويخالط حسن رياها الأرواح ويخامر، رتب الناس فيها على مراتبهم ترتيب احتفال، وقد علت الجميع أبهة الوقار والإجلال، وبعقب ذلك يحتفل المسمعون بأمداح المصطفى عليه الصلاة والسلام، ومكفرات ترغب في الإقلاع عن الآثام"[2].

هذه الاحتفالات الشعبية والرسمية التي أباح بها بعض العلماء نظرا لميل الكثير من المسلمين إلى مجاراة المسحيين في الاحتفال بمولد المسيح عليه السلام وعيد النيروز زيادة على الاحتفال برأس السنة الميلادية تقليدا للنصارى بالأندلس[3]، وهي من العادات

---

[1] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص134

[2] المقري، نفح الطيب، ج6، ص513، المقري، أزهار الرياض، ج1، ص243

[3] فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص278

الطارئة على أهل تلمسان من الحضر والبدو والتي ذكر الونشريسي بأنها لا أصل لها في ديننا الحنيف.

ذلك أن هذا الاحتفال ظهر أول ما ظهر بالأندلس أواخر القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي وترسخ في النفوس بعد هزيمة العقاب حيث أحس المسلمون بالضعف في دينهم وقيمهم التي تهددت بالذوبان في المجتمع المسيحي بفعل تقليدهم في كل شاردة وواردة (المأكل والمشرب واللباس والعادات ...) لذلك عمد حكام بعض الأقاليم الإسلامية إلى ابتداع هذا الاحتفال للتصدي لتلك العادات المسيحية التي مال إليها الكثير من المسلمين بالأندلس خاصة منها مولد المسيح عليه السلام وعيد النيروز وغيرها من الاحتفالات وممارسة بعض الطقوس[1].

كما ظهر تعظيم آخر خاص بيوم السبت والأحد وهما من أعياد اليهود والنصارى، حيث كانت المرأة تترك العمل فيهما وتتزين احتفالا بهما ما حذا بالعلماء والفقهاء إلى التحذير من ذلك وقد جاء نص التحذير على الشكل التالي: "وإياكن وتعظيم يوم الأحد والسبت وترك العمل فيهما وفي أعياد النصارى واعملن الأيام كلها ويوم الجمعة حتى ينادى بالصلاة، ثم تصلين فإذا فرغتن فأقبلن على شغلكن ومعايشكن ومصلحة أزواجكن وأولادكن ولا تدعن العمل راتبا ولا تعظمن يوما بترك العمل فيه، إلا يوم الفطر والأضحى فإنهما يوما طعام وشراب وشكر لله"[2].

ومن العادات التي يرجح أن الأندلسيون هم الذين ادخلوها إلى بلاد المغرب والتي كانت منتشرة بكثرة في بلادهم نجد ظاهرة الزواج والاحتفال بليلة الزفاف والتي تخضع لبعض الطقوس بداية من زف العروس فوق الرؤوس إلى أن تصل إلى بيت زوجها، حيث يصور لنا ابن الخطيب هذا المشهد: "وقد زيّنت العيون بالتكحيل، والشعور بالترجيل، وكرر السواك على مواضع التّقبيل، وطوّقت الأعناق بالعقود، وضرب الفكر

[1] نفسه، ج1، ص279

[2] الونشريسي، المعيار، ج11، ص152

في صفحات الخدود، ومدّ بالغالية على مواضع السجود، وأقبلت صنعاء بأوشيتها، وعنت بأرديتها، ودخلت العروس في حليتها، ورقمت الكفوف بالحنّاء، وأثني على الحسن وهو أحق بالثناء، وطلّقت التوبة ثلاثا بعد البناء، وغصّ الذراع بالسّوار، وتختّم في اليمين واليسار، وأمسكت الثياب بأيدي الأبكار، ومشت الإماء أمام الأحرار، وتقدمت الدايات بالأطفال الصغار، وامتلأت الدنيا سرورا"[1].

ثم تخضع العروس بعد هذا للامتحان العسير الذي يعتبر صك براءة لها ولعفتها إن كانت بكرا أو مناسبة لإدانتها إذا ما ثبت عكس ذلك، وهي العادة التي يورد لنا ابن الخطيب نصا بشأنها حيث يقوم العريس في ليلة الدخلة بإخراج قميص عليه أثر دم افتضاض غشاء البكارة دليلا على فحولته من جهة والشرف من جهة ثانية[2]، وهي العادة التي ذكرها الحسن الوزان بقوله: "وما إن تدخل الزوجة إلى الغرفة التي بها زوجها ... تقف امرأة بباب تلك الغرفة حتى تفتض العروس ويسلم لها الزوج ثوبا ملطخا بالدم فتذهب المرأة والثوب في يدها إلى المدعوين تعلن لهم بأعلى صوتها أن العروس كانت بكرا"[3]، وهي من العادات التي يعتقد أنها مسيحية ولا تزال منتشرة بإسبانيا إلى يومنا هذا وتعرف ب: « LA SAMANA SANTA »[4].

أما في مجال الطبخ فقد أدخل الأندلسيون الكثير من أصناف المأكولات إلى تلمسان وبلاد المغرب عموما فصارت تتميز بها عن غيرها من المأكولات التي كانت شائعة ومن ذلك:

---

[1] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص502

[2] ابن الخطيب، نفسه، ج3، ص ص502-504، أحمد الكامون و هاشم السقلي، التأثير المورسكي في المغرب، ط1، مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، وجدة المغرب2010، ص ص159، 160

[3] الوزان، المصدر السابق، ج1، ص256

[4] الكامون، المرجع السابق، ص159

الخليع: وهو نوع من اللحوم الضأنية السمينة يتم تحضيرها عبر تقطيع وتجفيف اللحم بالملح وعرضه لأشعة الشمس عدة أيام حتى يجف ويبقى محافظا على قيمته الغذائية دون أن يتلف[1].

الإسفنج وهو عبارة عن عجينة من الدقيق تقلى في الزيت اشتهر بها الأندلسيون ووُجد لها ما يشابهها في تلمسان والعديد من النواحي المجاورة لها وما زالت مستعملة حتى الآن[2].

الزلابية وهي نوع من الحلوى معروف عند الأندلسيين وفي حقيقتها هي تحريف لكلمة الزريابية نسبة لزرياب الذي أدخلها أول مرة إلى بلاد الأندلس من بلاد المشرق[3]، إضافة إلى العديد من الأصناف الخاصة من الحلويات مثل القطائف والمقروض والمسمن[4]، كما اشتهر الموريسكيون ببعض العادات الخاصة بالأكل ومنها عادة الجلوس على الأرض إلى الموائد ذات القوائم القصيرة، وهي العادة التي كان يعاقب عليها الموريسكيون من طرف محاكم التفتيش بإسبانيا[5]، والتي نجد لها استعمالا كثيرا بتلمسان وبالكثير من مناطق الجزائر والتي يعتقد بأن الموريسكيون هم من أدخلوها إلى تلمسان.

أما فيما يخص اللهجة فقد تميز الأندلسيون بلهجتهم الغرناطية الرقيقة التي تأثر بها الكثير من أهل المغرب عموما وأهل تلمسان خاصة، حيث يعمدون في كلامهم إلى قلب بعض الحروف مثل القاف إلى الألف وهو الأمر الذي عليه أهل تلمسان إلى اليوم[6]، إضافة إلى استعمال النون للمتكلم في المضارع مع إضافة الواو في حالة

---

[1] نفسه، 132

[2] نفسه، ص133

[3] نفسه، ص ص134، 135

[4] علي بن محمد ابن رزين التجيبي، فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، تحقيق وتقديم: محمد بن شقرون، مطبعة الرسالة ، الرباط 1981، ص58، نسخة الكترونية

[5] كاردياك، المرجع السابق، ص26، الكامون، المرجع السابق، ص138

[6] سعيدوني، دراسات أندلسية، ص26

الجمع، ومثال ذلك كلمة أمشي نمشي وكلمة أخرج نخرج وأجلس نجلس وغيرها الكثير وهذه اللهجة مستعملة في تلمسان ويرجح أنها من تأثيرات الموركسيين[1]، هذا الأمر ذكره الحجري في كتابه ناصر الدين على القوم الكافرين في الكثير من المواضع منها مثلا قوله: واحتجبت نقرأ الإنجيل الذي بأيديهم ... وجدت ما نرد عليهم ونبطل حججهم[2]، وقوله قلت للقسيس نحب نطالع الكتاب الذي لم يقرأ والمسمى حقيقة الإنجيل لعلي نستخرج منه شيئا، ثم تعلمت نقرأ بالعجمية[3].

أما اللباس الذي لا نكاد نجد له اختلاف مع ما هو بفاس[4] فقد كان للأندلسيين بعض التأثير ومن ذلك:

البلغة (Al Borga)

هي نعل تقليدي يُصنع من الجلد وهي في الأصل كلمة غير عربية استعملها أهل الأندلس لقرون عديدة، ونجد لها استعمال في كل الشمال الإفريقي[5].

الحائك أو الملحفة بالغرناطية

وهي التسمية التي اشتهر بها هذا اللباس وأصبح جزءا من تراث مدينة تلمسان لكنه يكاد يتلاشى بفعل غزو العديد من الأنواع الأخرى من الملابس العصرية[6].

البدعية

وهي لباس يعرف بالصدرية في لغة الموركسيين انتقلت مع المهاجرين الأندلسيين إلى تلمسان وكل بلاد المغرب[1].

---

[1] الكامون، المرجع السابق، ص117

[2] الحجري، المرجع السابق، ص10

[3] نفسه، ص19

[4] الوزان، المصدر االسابق، ج2، ص24

[5] رزوق، الأندلسيون وهجراتهم، ص294

[6] الكامون، المرجع السابق، ص148

البنيقة

وهي ثوب قطني يشبه المنديل الذي تضعه المرأة حول رأسها بعد خروجها من الحمام، وهو الأمر الذي يقف عليه الكاتب دييغو دو هايدو في كتابه طبوغرافيا الجزائر حيث يقول بأن جميع النساء يضعن شيئا كالكوفية فوق رؤوسهن يسمينه باللغة الموركسية LARITA أو البنيقة[2]، وهو في حقيقته من الموروث الإسباني ويحمل اسما قريبا جدا منه دخل مع المورسكيين إلى شمال إفريقيا وما يزال مستعملا حتى يومنا هذا[3]، لأن هذا اللباس هو في أصله من الصناعات التي اشتهرت بها بعض مدن الأندلس كغرناطة وبسطة اللتين اشتهرتا باسم الملبد والمختم ذي الألوان العجيبة[4].

الشاشية

من الألبسة التي كانت تميز الأندلسيين الذين نقلوها معهم إلى بلاد المغرب وهي عبارة عن غطاء للرأس يضعه الرجال، وكان له انتشار كبير بكل المدن الجزائرية خاصة منها تلمسان والجزائر العاصمة وقسنطينة وحتى تونس، وحقيقة هذا النوع من اللباس يعود إلى الإجبار الذي فرضته السلطات الإسبانية على المورسكيين بالأندلس لتمييزهم عن بقية المواطنين من سكان اسبانيا[5].

أما النساء الغرناطيات فكُن يتفنن في الزينة لما ذكره ابن الخطيب حين يصف تأنقهن: "وقد بلغن في التفنن في الزينة لهذا العهد والمظاهرة بين المصبغات والتفنن في المذهبات والديباجات والتماجن في أشكال الحلي"[6]، كما تعمد النسوة في بلاد المغرب

---

[1] رزوق، الأندلسيون وهجراتهم، ص294

[2] الكامون، المرجع السابق، ص149

[3] رزوق، الأندلسيون وهجراتهم، ص295

[4] محمود شيت خطاب، المرجع السابق، مج1، ص111

[5] الكامون، المرجع السابق، ص153

[6] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، 40، ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص29

إلى نوع من الزينة والتجميل يكاد يكون له نفس الطابع الغرناطي أخذاً بغريزة حب التشبه والتقليد[1].

وفي الفترة الأخيرة من هجرة المورسكيين الذين اختلطت بعض كلماتهم ببعض الكلمات الاسبانية خاصة إذا علمنا أن المورسكيين كانوا قد اوجدوا لأنفسهم لغة الألخميادو التي تزاوج بين العربي والاسباني، وبذلك وجدت بعض الكلمات ذات الأصل الاسباني التي كانت تُتداول في تلمسان وأصبحت شائعة بين عامة الناس[2] منها كلمة:

دورو	DURO	ومعناها نقود
كارو	CARRO	ومعناها العربة
صندالة	SANDALIA	ومعناها النعل
صباط	ZAPATO	ومعناها الحذاء
الماريو	ARMARIO	ومعناها الخزانة
صالة	SALA	ومعناها قاعة كبيرة
فاميلا	FAMILIA	ومعناها العائلة
بندير	bendera	ومعناها دف.

رغم قلة المصادر التاريخية التي ترصد التأثيرات الاجتماعية للأندلسيين ببلاد المغرب الأوسط إلا أن عامل التأثير والتأثر لابد أن يكون بين الطرفين بسبب الكثير من العوامل(اللغة والدين والعرق...) التي تجمع الجاليات الأندلسية بالمغاربية وان كان تأثير الأندلسيين بفاس فيه من الملموس ما هو ظاهر للعيان في بعض العادات والتقاليد، فإن ذلك لا يمنع من أن نقول بأن أهل تلمسان وأهل فاس يشتركون في الكثير من الطبائع لقول الحسن الوزان بأن عادات أهل تلمسان تكاد تكون مشابهة لما هو بفاس.

---

[1] محمد عواجي ، المرجع السابق، ص425

[2] رزوق، الأندلسيون وهجراتهم، ص ص288-290

في الأخير نقول بأن التأثير الأندلسي في المجال الاجتماعي كان كبيرا جدا رغم النقص الذي نشهده في المصادر التي كتبت عن ذلك إلا أن الباحث في هذا المجال يجد بأن أكبر ما قدمه الأندلسيون بهجرتهم لبلاد المغرب الأوسط يكمن في المجال الديموغرافي وتعويض النقص الكبير في عدد السكان الذي عرفته البلاد في تلك الفترة بفعل المجاعات والأمراض التي أصابتها وخلفت الكثير من الضحايا، هذا إضافة إلى بعض التأثيرات الأخرى مثل اللهجة التي تتفرد بها مدينة تلمسان دون سواها وهي من الموروث الأندلسي والموريسكي.

المبحث السادس

إسهامات الأندلسيين في المجال الفني(العمران الموسيقى الخط)

أولا- العمران

تميز الفن الإسلامي في كل من بلاد المغرب والأندلس بالكثير من أوجه التشابه التي جعلته يتفرد عن غيره من الفنون الأخرى بالمشرق الإسلامي ، حتى عرف بالفن الأندلسي المغربي نظرا للتشابه الكبير بين العمائر الأندلسية والمغربية التي تُعبر في

مجملها عن العمائر الإسلامية، وبالرغم من وجود بعض الاختلافات التي ترجع في الأساس إلى عامل التأثر والتأثير بالحضارات المجاورة والطبيعة التي كان لها الأثر الكبير في هذا التباين بين العدوتين والذي كانت فيه الغلبة لأهل الأندلس الذين كان لهم السبق في هذا المجال، إلا أن المغرب الأوسط لم يكن بمعزل عن ذلك لارتباطه الوثيق بالأندلس عبر حقب زمنية متعاقبة زادها عمقا واتصالا استقرار الكثير منهم على طول سواحله، حيث عملوا على تجديد مدنه وتعميرها، وبانتقالهم إلى هذه البلاد أسهموا في تحويلها إلى ورشات إبداعية غيرت من طبيعتها إلى الأحسن في العديد من المجالات.

ورغم أن بلاد الأندلس إمتازت بالسبق في هندسة المباني والعمائر وتميزت عن غيرها في هذا المجال بفضل معمارييها وبنائيها الذين أبدعوا ا في تشييد القصور و المساجد والحصون وغيرها من البناءات التي خلدت أسماءهم، بطول البلاد وعرضها ولعل أهم هذه المعالم التي خلدت ذكراهم مسجد قرطبة وقصر الحمراء وجامع غرناطة وغيرها الكثير، إلا أن هذا الجيل من المعماريين هاجر مثله مثل غيره من أهل الأندلس إلى بلاد المغرب فكانت لهم إسهامات كبيرة وإبداعات في بناء المدن وتشييد القلاع والقصور[1].

ظهر تأثير الأندلسيين في المغرب الأوسط مع الهجرة التي تلت سقوط الحواضر الإسلامية إلا أن البعض يرى بأن ذلك يعود إلى فترة المرابطين، التي سيطرت فيها على الأندلس حيث انبهر حكامها بما رأوه من تحضر وتمدن مثلته القصور ذات البهجة والمباني الأنيقة وروعة البناء في الوقت الذي كانت فيه المغرب في مرحلة بدواة تتطلب الاستعانة بالمهرة من الأندلسيين في ميدان البناء، فكان ذلك بداية لانتقال العديد منهم حيث أسهموا في نهضة البلاد وتطورها خاصة في المرحلة الأولى من حكم

[1] سعد الله، تاريخ الجزائر، ج2، ص446

يوسف ابن تاشفين الذي عمل على استقدام أعدادا كبيرة من الصناع والمهرة في مجال البناء من أجل تشييد القصور والمساجد، خاصة منها المسجد الأعظم الذي شيد عهد المرابطين وكانت صومعته غاية في الحسن والإتقان، حيث أن كل جهة من جهاتها الأربع كانت تخالف الأخرى في النوع والإحكاء وهي مفعمة بالفن الأندلسي بعد أن أدخل عليه المهندسون والمعماريون الأندلسيون مسحة فنية أندلسية صار بفضلها تحفة معمارية رائعة[1]، وهو ما يذهب إليه شارل أندري جوليان بقوله:" أما فيما يخص الزخرف الغالب على شكله والمحراب الأنيق المزخرف فهو يذكرنا بمحراب جامع قرطبة"[2]، والرأي نفسه يذهب البعض بأن عرفاء مسجد تلمسان قلَّدوا جامع قرطبة تقليدًا مباشرًا في لوحتي الرخام اللتين تكسوان إزار واجهة المحراب بتلمسان وكذلك سقف المسجد الخشبي الشبيه بسطح مسجد قرطبة وحتى البلاط شبيهٌ به أيضًا[3].

إضافة إلى المساجد بنيت المدن والحواضر والجسور والقلاع، لذلك اعتبرت هذه المرحلة من أهم المراحل التي ظهر فيها التأثير الأندلسي ببلاد المغرب. وفي عهد الموحدين تواصل التوسع العمراني مع استمرار الوحدة الجغرافية والسياسية بين العدوتين وزاد التواصل الحضاري وتنقل العديد من أهل الصنائع إلى بلاد المغرب وشيدوا القصور والجسور حيث قام عبد المؤمن بن علي بتشييد سور تاقرارت بتلمسان وإقامة المسجد سنة (540هـ-1146م)[4].

إلا أن التأثير البارز للأندلسيين كان في العهد الزياني الذي تطور فيه العمران ، بفعل الاستثمار الذي انتهجه السلاطين الزيانيين ببناء القصور المرتفعة والمنازل الحافلة حتى صارت تلمسان أعظم أمصار المغرب ورحل إليها الناس من القاصية، ونفقت بها الأسواق والعلوم والصنائع وضاهت أمصار الدول الإسلامية والقواعد الخلافية، وهو ما

[1] عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص، 256، فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص146

[2] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص ص118، 119

[3] الصلابي، فقه التمكين، ص184

[4] عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة، ط1، دار الفكر، عمان، ص430

نقف عليه في قول ابن خلدون: "ولم يزل عمرانها يتزايد وخطتها تتسع والصروح بها بالآجر والقرميد تُعلى وتُشاد إلى أن نزلها آل زيان واتخذوها دارا اتخذوها دارا لملكهم، وكرسيا لسلطانهم، فاختطوا بها القصور المؤنقة والمنازل الحافلة واغترسوا الرياض والبساتين وأجروا خلالها المياه، فأصبحت أعظم أمصار المغرب"[1].

ففي عهد السلطان الزياني يغمراسن بن زيان أضاف للمسجد الأعظم بيت الصلاة والقبة والصحن والمئذنة التي شابهت العمارة الأندلسية من حيث الزخرفة التي تعلو السواري والتيجان، وحتى النقوش التي تعلو القوس والكتابات والزخارف الموجودة بالجامع شبيهة بتلك الموجودة مسجد غرناطة[2]، فيما يخص الزخرف و رسم الزهور الغالب بشكله النهائي المتمثل في مراوح النخيل المفردة أو المزدوجة المعرّقة التي تميز المحراب بزخرفة الأنيفة، ومن خلال الأبحاث التي قام بها جورج مارسي حول الآثار المتبقية من العهد الزياني خرج بمجموعة من المعطيات تفيد بأن العمارة التلمسانية تكتسب قيمتها الجمالية من تشابهها بالعمارة الأندلسية[3].

والحال نفسه في عهد السلطان أبو حمو موسى الأول وابنه أبو تاشفين حينما أرادا تشيد القصور الفخمة والمنازل الفاخرة والبساتين طلبا من سلطان غرناطة أبو الوليد أن يرسل لهما المهرة من البنائين والصناع، يذكر ابن خلدون أن الأمير: "استدعى لها الصناع والمهرة والفعلة من الأندلس لحضارتها وبداوة دولتهم يومئذ بتلمسان، فبعث له السلطان أبو الوليد بالمهرة والحذاق من أهل صناعة البناء بالأندلس، فاستجادوا لهم القصور والمنازل والبساتين بما أعيا على الناس بعدهم أن يأتوا بمثله"[4]، فازدهرت تلمسان في عهدهما أيما ازدهار، وتزينت بالقصور والحدائق والجنات على غرار مدن

---

1 ابن خلدون، العبر، ج7، ص105

2 فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص146

3 سعداني محمد، الأندلسيون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجريين القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر الميلاديين، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم السلامية جامعة وهران 2015-2016، ص222

4 ابن خلدون، العبر، ج7، ص190

الأندلس، فهذه دار الملك ودار السرور ودار أبي فهر تشهد على ذلك[1]، وحتى البيوت تزينت وطالها التنميق والتزيين بالزليج الملون والجدران المكسوة بالفسيفساء الفنية[2].
أما القصور فقد كان فيها من الإبداع ما يجعل الناظر إليها يتخيل نفسه في فاس أو غرناطة وذلك بفعل التنميق الذي صاحب بناءها وقد استعملت فيها نافورات المياه[3]، هذا الإبداع يصوره لنا المقري: " بها للملك قصور زاهرات اشتملت على المصانع الفائقة، والصروح الشاهقة، والبساتين الرائقة، ممّا زخرفت عروشه، ونمقت غروسه، وتتصبّ إليها من عل أنهار من ماء غير آسن، تتجاذبه أيدي المذانب والأسراب المكفورة خلالها، ثم ترسله بالمساجد والمدارس والسقايات بالقصور وعلية الدور والحمامات، فيفعم الصهاريج، ويفهق الحياض، ويسقي ريعه خارجها مغارس الشجر ومنابت الحب، فهي التي سحرت الألباب رواء، وأصبت النهى جمالاً"[4].
كما ابتنى أبو حمو الثاني بناءات جميلة منها دار الصنعة السعيدة التي كانت عهد بنائها تموج بالفعلة على اختلاف أصنافهم وتباين لغاتهم وأديانهم فمن دراق ورماح ودراع ولجام ووشاء وسراج وخباء ونجار وحداد وصائغ ودباج وغير ذلك[5].
أما الفترة التي سيطر فيها المرينيون على تلمسان فقد سعوا بكل ما لديهم من أجل أن تكون هذه المدينة أحسن مما كانت عليه عهد الزيانيين، فاستدعوا لذلك الأسرى الأوربيين والصناع المهرة من الأندلس لتزيينها، فبنيت القصور وشيدت المساجد والمدارس التي أُبدع في إتقانها مثل مسجد أبي مدين شعيب بالعباد الذي يتميز بوجود الكثير من الفسيفساء والزليج إضافة إلى الزخارف التي تزين سقفه والتي فيها من الشبه

[1] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص134
[2] الوزان، المصدر السابق، ص15
[3] فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص115
[4] المقري، نفح الطيب، ج7، ص134
[5] الميلي، المرجع السابق، ج2، ص487

الكثير مع مساجد غرناطة[1].

وفي الفترة الأخيرة من الهجرة أسكنهم السلطان الزياني أبي العباس أحمد الزياني (834-862هـ/1431-1462م) في المدينة وضواحي وادي الوريط، فعملوا على تشيد القرى والبساتين وأسسوا المصانع والمتاجر الكثيرة، وغرسوا الحقول واظهروا من صنائعهم ومتاجرهم، ما عاد بالنفع على البلاد وأهلها واتصلت مساكنهم بذلك الوادي حيث أقاموا العمارات التي خلدت آثارهم بتلك الشعاب وشاركوا أهل العمران بما لديهم من الصنائع[2].

وبالمجمل فقد عمل الأندلسيون على تأسيس وتعمير الكثير من المدن خاصة الساحلية منها عقب استقرارهم، بها يمكننا نأتي على ذكرها:

مدينة أرشكول

يرجع الوجود الأندلسي وتأثيره المعماري بنواحي تلمسان إلى ما قبل القرن الخامس الهجري، حين كانت المدينة من دون ساكنة زهاء المائة والعشرين عاما بعد ما دمرها ملوك القيروان، إلى أن جاء المنصور بن أبي عامر حاجب ملك قرطبة وجيشه وأقام على بناء المدينة وإصلاحها وأقام بها مستفيدا من موقعها الذي استغله في إرسال جنوده إلى افريقية[3].

مدينة وهران

تأسست المدينة على يد بعض البحارة الأندلسيين سنة مائتين وتسعين للهجرة، حيث يذكر لنا البكري ذلك بقوله: "وبنى مدينة وهران محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين البحريين سنة 290هـ-903م واستوطنوها سبعة أعوام[4]،

[1] Rachid Bourrouiba, Lart Religieux Musulman En Algerie, S.N.E.D ,Allgerie, p 363

[2] ابن خلدون، مقدمة، ص529

[3] الوزان، المصدر السابق، ج2، ص16

[4] البكري أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد ، المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 2003، ج2، ص252

وعندما سقطت غرناطة هاجر الكثير من أهلها إلى وهران والمدن المجاورة لها تجمعوا في أماكن خاصة وأسسوا بعض الأحياء والقرى الخاصة بهم مثل مدينة الأندلس[1]، ثم ازدادت المدينة بعد ذلك تطورا وأصبحت عامرة متحضرة وهو ما أشار الحسن الوزان حين زار المدينة: "وبها من البنايات والمؤسسات ما تتميز به كل مدينة متحضرة من مساجد وملاجئ وحمامات وأسوار عالية جميلة"[2].

ثانيا- الموسيقى

رغم التضييق الذي مارسه الموحدون بحق كل من يمتهن الغناء والطرب في تلمسان وكل البلاد التي كانت تحت سلطتهم، إلا أن المتأخرين منهم كان لهم ميول للموسيقى الأمر الذي زاد في انتشار هذا الفن بكل بلاد المغرب وبتلمسان خصوصا، حيث دخلت أنماط موسيقية جديدة تعتمد بالأساس على آلة الرباب والعود والطر أو ما يعرف بضابط الإيقاع[3]، واعتبرت مدينة تلمسان الوريثة الفعلية للموسيقى الأندلسية حيث وجدت لها قبولا خاصة بعد سقوط غرناطة، حين احتضن أهلها هذا الفن الذي غدا جزءا من هويتهم وهو في الأصل فن غرناطي يتميز بالعمل والغناء، وقد انتقلت كذلك عادات الغناء الجماعي من مملكة غرناطة إلى شمال إفريقيا وتعمقت في مملكة بني عبد الواد عبر ما يعرف بالحوفي، وهو نوع من الغناء الخاص بالفتيات يقمن على أدائه أثناء لعبهم الأرجوحة في الحدائق والساحات وعلى ضفاف الأنهار، وقد عُرف هذا النوع باسم الغرناطي[4]، ثم استحدث أهل الأمصار بالمغرب فنا آخر من الشعر، في أعاريض مزدوجة كالموشح، نظموا فيه بلغتهم الحضرية أيضا وسموه عروض البلد، وكان أول من استحدثه فيهم رجل من أهل الأندلس نزل بفاس يعرف بابن عمير، فنظم

---

[1] سعيدوني، دراسات أندلسية، ص28

[2] الوزان، المرجع السابق، ج2، ص30

[3] عباس الجراري، التأثير المورسكي في الطرب المغربي، الندوة الثانية المورسكيون في المغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2001، ص206

[4] الحسن السائح، الحضارة الإسلامية في المغرب ، ط2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء1986، ج2، ص264

قطعة على طريقة الموشح[1]، ثم انتشر هذا الفن في كل البلاد المغربية ومنها تلمسان التي صارت له فيها مدارس ومعاهد تقوم على تدريسه[2].

ثالثا- الخط

ما من شك في أن فن الكتابة الذي وصفه ابن خلدون: "بالصناعة الشريفة"[3] هو مظهرا من مظاهر العمران والحضارة ، تنمو بنموها وتتقلص بتقلصها، ولأن بلاد المغرب الأوسط كانت في مستهل نشأتها تتميز بالبداوة فإن هذا الفن مال إلى الرداءة لعدم الحاجة له في الغالب عند أهل البدو في المغرب والذي لا يكاد يجنى من قراءته إلا التعب والمشقة، ومع قدوم المهاجرين الأندلسيين إلى المغرب عرفت البلاد نهضة علمية و ازدهارا كبيرين في مجال الكتابة والنسخ لأمهات الكتب العلمية والأدبية وفن الرسائل التي تعاطاها أفراد عرفوا بخطهم الجميل وذوقهم الفني الأصيل وعنايتهم الخاصة باستنساخ الكتب وتفننهم في تنميق الخط وتذهيب العناوين وتلوين بعض الحروف وتجميل الأشكال حتى تخرج آية في الروعة والإبداع والجمال[4]، وهو ما نقف عليه عند تصفح تراجم العلماء والمترجمين حيث يشار إلى أن الكثير منهم كان له خط حسن أو رائق الخط أو غيرها من العبارات التي تشيد بحسن الكتابة لدى الكثير منهم إضافة إلى المعارف الأخرى التي كانوا يتمتعون بها[5].

ولأن ملكة الخط تحصل بالتعليم فقد كان لأهل الأندلس الفضل في الارتقاء بالخط الأندلسي على حساب الخط المغربي الذي آل إلى الاندثار وصارت خطوط أهل المغرب كلها على الرسم الأندلسي الذي اعتمده الناسخون لوضوحه وسهولة كتابته عكس الخط المغربي الذي كانت تصعب قراءته حيث يذكر ابن خلدون أن الخطوط

---

[1] ابن خلدون، مقدمة، ص832

[2] جمال يحياوي، المرجع السابق، ص94

[3] ابن خلدون ، مقدمة، ص524

[4] ابن شقرون، المرجع السابق، ص139

[5] محمود بوعياد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن 09هـ/15م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982، ص85

بإفريقية والمغربين غدت: "مائلة إلى الرداءة بعيدة عن الجودة وصارت الكتب إذا استنسخت فلا فائدة تحصل لمتصفحها منها إلا العناء والمشقة لكثرة ما يقع فيها من الفساد والتصحيف وتغيير الأشكال الخطية عن الجودة"[1].

ومن أبرز الخطاطين بتلمسان نذكر:

أبو عبد الله محمد بن الحداد الوادي آشي كان مغرما بالنسخ والتقييد آية الله في ذلك وصفه المقري بحائز قصب السبق في كثرة النسخ والكتابة، حتى أني رأيت في خزائن أهل تلمسان بخطه نحو المائة سفر ورأيت بفاس نحو الثمان مائة[2]، وكذلك كان ابن مرزوق الخطيب الذي اشتغل بالقراءة والكتابة، فكان يكتب على طريقة أهل الأندلس المشهورين بحسن الخط وضبط الكتابة بخلاف الخط المغربي.

لقد كانت الموسيقى والخط والعمارة الأندلسية من أكثر ما انتشر ببلاد المغرب الأوسط وما تزال بفضل ما اشتهر به المهاجرون من سمو الروح والإبداع في فن الموسيقى التي انتشرت في طول البلاد وعرضها والتي نعرفها اليوم بالأندلسي والحوزي وغيرها من الطبوع الأخرى، أما من جهة الآثار الباقية فلا يمكن القول بأن عدم وجود الكثير منها يعبر عن عدم تأثير الأندلسيين، بل بالعكس من ذلك فالجوامع التي تبنى حتى اليوم هي ذات طابع أندلسي يميزه بالخصوص الشكل المربع للمآذن المنفردة التي تَفرّد بها الأندلسيون، لكن مجال الخط العربي الذي قال فيه ابن خلدون بأنه لا يجنى منه إلا المشقة والتعب فهذا فيه رأي آخر، ذلك أن المتتبع لبعض المؤلفات التي كتبت من طرف أهل المغرب يُرى فيها من الجودة وحسن الكتابة ما يدحض قول ابن خلدون ولعل كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك وغيره الكثير خير معبر عن ذلك.

[1] ابن خلدون، مقدمة، ص529

[2] المقري، أزهار الرياض، ج1، ص71، ج3، ص308

الخاتمة

في نهاية هذا البحث تجدر الإشارة إلى النتائج التالية مرتبة حسب تسلسل الأحداث التاريخية:

- أنه في الوقت الذي اتحدت فيه المماليك النصرانية ضد كل ما يمثله الإسلام والمسلمين من عداء دائم لهم نجد أن حكام المسلمين كانوا في صدام وخلاف مع بعضهم البعض وانسجام تام مع النصارى.

- أن حكام الأندلس كانوا يرون في أهل المغرب الإسلامي ككل خزانا بشريا يعودون إليه وقت الحاجة لمساعدتهم في صد أي عدوان، إلا أن الريبة والشك كانا دائما يساورهم خوفا على عروشهم، من ملوك الطوائف إلى بني الأحمر.

- أن حياة الترف والبذخ الذي ارتضاه حكام الأندلس لأنفسهم في عهد ملوك الطوائف جعلهم ينسوا قضيتهم الأولى التي جاء أسلافهم من اجلها لهذه البلاد وهي نشر الإسلام في الأندلس والمحافظة عليها، فلم يكن لهم من ذلك سوى الاحتفاظ بعروشهم وليتهم احتفظوا بها، فقد بدا ضعفهم وتوالت انهزاماتهم وفقدت بسببهم حواضر البلاد كلها وهاجر أهلها.

- أن الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب جاءت إثر سقوط الحواضر الإسلامية بيد المسيحيين، فكانت البداية بهجرات داخلية ضاق بأهلها المقام ولم يتسع للكثير منهم بسبب قلة المُؤن وغلاء العيش خاصة في غرناطة ما استوجب الهجرة من جديد لبلاد المغرب ليكن ذلك إيذانا بسقوط الأندلس.

- مرت هذه الهجرات لبلاد المغرب عبر ثلاث مراحل كبرى هي: الأولى: بدأت مع حروب الاسترداد المسيحي للمدن الأندلسية وقد أطلق عليها ابن خلدون اسم الجالية بعد أن استقرت جموع كبيرة منها بالمغرب وكان جل المهاجرين فيها من العائلات العلمية والسياسية والنخبة.

الثانية: كانت مع سقوط آخر معقل من معاقل المسلمين بالأندلس ونهاية الوجود الإسلامي، وكانت تظم كل أطياف المجتمع الأندلسي.

الثالثة: فهي التي تلت عمليات الطرد المتتالية للموركسيين والتي استقر الجزء الأكبر منهم في المغرب الأوسط، وهناك أسسوا مدنا كبرى مثل القليعة والبليدة وكان نصيب مدينة الجزائر (جزائر بني مزغنة) النصيب الأكبر لبروز معالم الدولة بها، ولكونها أصبحت الحصن المنيع الذي يلتجئ إليه المهاجرون الأندلسيون.

- رغم المآسي التي كابدها الموركسيون بعد سقوط غرناطة مع محاكم ودواوين التفتيش إلا أن الكثير منهم بقي محافظا على دينه وهويته العربية الإسلامية.

- كل الدول الإسلامية القائمة وقتها (المرينيين والزيانيين والحفصيين والممالك والعثمانيين) قدموا مساعداتهم للأندلسيين، لكن الاختلاف كان في حجم المساعدة ونوعيتها.

- أن العثمانيين ورغم أنهم كانوا يمثلون أكبر دولة إسلامية إلا أنهم لم يستطيعوا تقديم يد العون لإخوانهم من أهل الأندلس بسبب كثرة القلاقل والثورات في الجنوب والتي كانت تدعمها الدولة الصفوية، زيادة على التحالفات العسكرية التي قامت ضدهم خاصة من الأوربيين.

- رغم الصراعات السياسة والتدهور الحاصل في العلاقات بين أقطار المغرب والأندلس وبين أقطار المغرب بعضها مع بعض إلا أن التبادل الثقافي والعلمي كان مزدهرا ولم يتأثر بها.

- أن استقرار الأندلسيين بالمغرب الأوسط جاء نتيجة لعدة عوامل منها:

الاهتمام الكبير الذي أولاه سلاطين المغرب الأوسط لأهل الأندلس وتعويضهم عما فقدوه ببلادهم، وهذا الاهتمام منهم راجع للمكانة العلمية والثقافية لهؤلاء المهاجرين والحاجة الماسة إليهم.

- وحدة المذهب المالكي واستقرار العلماء والفقهاء وأهل الرأي وتوليهم للمناصب العليا كالقضاء والإمامة والفتوى كانت من أهم العوامل التي جعلت الكثير من أهل الأندلس يفضلون الاستقرار بالمغرب الأوسط.

- ساعدت العوامل الطبيعية والجغرافية للعدوتين في استقرار الكثير من المهاجرين.

- افتقار المغرب الأوسط للعنصر البشري اثر المجاعات والأمراض التي قضت على الكثير من ساكنته كانت من العوامل التي ساعدت في تدفق الأندلسيين إليه والاستقرار به خاصة في المرحلة الأخيرة من الهجرة.

- أن تهجير الأندلسيين من موطنهم الأصلي وإن كان له الأثر الإيجابي على إسبانيا والمتمثل في توحيد البلاد سياسيا ودينيا واجتماعيا إلا أن انعكاساته الاقتصادية والديمغرافية على الدولة كان سلبيا إلى الحد الذي لم تستطيع أن تفيق منه إلا بمرور الزمن الطويل إثر الخراب الذي نتج عن قلة الإنتاج الزراعي وكساد التجارة وركود الصناعة وتناقص عدد السكان.

- أن أعدادا كبيرة من المهاجرين الأندلسيين الذين وفدوا على بجاية لم تكن المدينة وجهتهم الأولى لكن طيب العيش ومناخ المدينة المساعد على طلب العلم جعل الكثير منهم يقرر البقاء بها.

- أن الكثير من الأندلسيين الوافدين على بجاية وتلمسان تقلدوا المناصب العليا كالكتابة والحجابة والقضاء والوزارة، وجبي الأموال وازداد نفوذهم بعد أن خلصت لهم الساحة السياسية فاستولوا على مقاليد الدولة واستبدوا بالحكم.

- استأثرت العلوم النقلية كالفقه والقراءات والحديث واللغة والأدب والتصوف على ما سواها من العلوم العقلية الأخرى كالحساب والرياضيات والطب إذا ما استثنينا العالمين الآبلي والقلصادي.

- تصدر الأندلسيين للتدريس جعل تأثيرهم جليا في تغيير منهج التعليم كليا لما كان يتصف به من تأخر في الاستيعاب وصعوبة في الفهم، فعمدوا في تعليمهم لأهل المغرب على إدخال الشعر والأخذ بقوانين اللغة العربية التي تسمح للطالب بالحصول على ملكة اللسان العربي.

- كان للأندلسيين الفضل والدور الكبيرين في ازدهار الصناعة والحرف اليدوية حيث تميزوا عن غيرهم من أهل البلاد في الكثير من الصناعات كالحرير والخزف والزليج الفسيفساء وصناعة الجلود، إضافة إلى احتكارهم لصناعة الذهب والعملة، كما ادخلوا بعض الصناعات المختصة بهم كالقطيفة والدونتال، والمنسوجات والقطن والكتان، حتى غدت مدينة تلمسان وبجاية من المدن الكبرى في المغرب الإسلام .

- أدخل الأندلسيون تقنيات حديثة خاصة بالزراعة واستصلاح الأراضي التي اقتطعت لهم خاصة بنواحي متيجة وشرشال وعلى ضفاف نهر الصومام والوريط بتلمسان وأجروا خلالها المياه بصفة فنية غاية في الإبداع من خلال استخدامهم لنظام النواعير، فصارت مدنا شاملة جامعة لأنواع الأشجار المثمرة كالتفاح والبرتقال والزيتون وتربية دودة القز التي تنتج الحرير، وزاد إبداعهم في تشكيل الحدائق المزهرة والجنان الخضراء والبساتين الفائقة الجمال، بفضل نظامهم المدهش في الري بواسطة السواقي والقنوات التي تعمل على توزيع المياه.

- ساهم الأندلسيون في تعويض النقص السكاني المترتب عن المجاعات والأمراض التي فتكت بالعديد من أهل البلاد.

- أدخل الأندلسيون الكثير من العادات والتقاليد التي لم تكن معروفة بالمغرب الأوسط كالاحتفال بالمولد النبوي الشريف وبعض الطقوس التي كانت تمارس في الأعراس إلى جانب بعض المأكولات وفنون الطبخ، يضاف إلى ذلك اللهجة التي تأثر بها التلمسانيون والبجائيون دون غيرهم والتي تتميز بالإمالة وترقيق الكلمة.

- أسهم الأندلسيون بشكل كبير في المجال العسكري بعد انضمام الكثير منهم للجندية التي كان يقودها الأخوين عروج وخير الدين بربروس في الدفاع عن السواحل الجزائرية ضد الهجمات المتكررة للاسبان، كما كان لهم دور بارز في نصرة إخوانهم بالأندلس وذلك لما كانوا يتمتعون به من معرفة للطرق البحرية والتضاريس واللغة الاسبانية.

-أن العديد من المدن الجزائرية الحديثة التي أسست كالبليدة والقليعة كان الفضل في بنائها واستيطانها للجاليات الأندلسية.

-دخول العديد من الأنماط الموسيقية الجديدة إلى بلاد المغرب الأوسط حتى أنها أصبحت في بعض المراحل من تاريخها وارثة للموسيقى الأندلسية التي بقي منها إلى اليوم ما يعرف بالحوزي والغرناطي أوالأندلسي.

يبقى أن نقول في نهاية هذه الرسالة بأن هجرة الأندلسيين من موطنهم الأصلي واستقرارهم ببلاد المغرب الأوسط بخاصة بجاية وتلمسان قد حمل معه آلاما للفارين من العذاب وآمالا للبلاد التي استوطنوها وهو بحاجة إلى الكثير من البحث والدراسة. أتمنى أن أكون قد وفقت في المساهمة في إبراز إسهامات الأندلسيين ببلاد المغرب الأوسط فإن وفقت فذلك من نعم الله علي وإن أخطأت فهذه سمة البشر.

الملاحق

المدن الأندلسية وتاريخ سقوطها

أبدة: سقطت في أيدي القشتاليين سنة 609هـ ـ 1212م

أرشدونة: سقطت في أيدي القشتاليين سنة 829هـ 1487م

أركش: سقطت في أيدي القشتاليين سنة 647هـ 1249م

إستجة: سقطت في أيدي القشتاليين سنة 635هـ 1237م

أشبونة: أستولى عليها البرتغاليين في سنة 542هـ 1147م

إشبيلية: استولى عليها فرناندو الثالث سنة 646هـ 1248م

الجزيرة الخضراء: سقطت في أيدي القشتاليين في سنة 742هـ 1342م

ألش: استولى عليها الأرجونيون سنة 661هـ 1262م

ألمرية: سقطت في يد الملكين الكاثوليكيين سنة 556هـ 1161م

أريولة: استولى عليها الأرجونيون سنة 661هـ 1262م

باجة: سقطت في أيدي البرتغاليين سنة 556هـ 1161م

بسطة: سقطت في يد الملكيين الكاثوليكيين سنة 895هـ 1489م

بطليوس: سقطت في أيدي القشتاليين سنة 626هـ 1227م

بلش مالقة: سقطت في يد الملكين الكاثوليكيين سنة 892هـ 1487م

بلنسيه: استولى عليها الأرجونيون سنة 636هـ 1238م

بياسة : سقطت في أيدي القشتاليين سنة 625هـ 1227م

تطيلة: استولى عليها الأرجونيون سنة 511هـ 1117م

جبل طارق: سقطت في أيدي القشتاليين سنة 867هـ 1462م

جيان: استولى عليها القشتاليين سنة 644هـ 1246م

دانية : استولى عليها الأرجونيون سنة 651هـ 1253م

رندة: سقطت في يد الملكين الكاثوليكيين سنة 890هـ 1485م

روطة: استولى عليها الفونسو ريمونديس ملك قشتاله سنة 534هـ 1139م

سرقسطة: استولى عليها الأرجونيون سنة 512هـ 1118م

شلوبانية: سقطت في يد الملكيين الكاثوليكيين سنة 895هـ 1489م

شنترة: استولى عليها البرتغاليين سنة 542هـ 1147م

شنترين: استولى عليها البرتغاليين سنة 542هـ 1147م

شنتمرية الغرب: استولى عليها البرتغاليين سنة 647هـ 1249م

طرطوشه: استولى عليها الأرجونيون سنة 543هـ1148م

طريف: سقطت في أيدي القشتاليين سنة 691هـ 1292م

طليطلة: استولى عليها الفونسو السادس سنة 479هـ 1086م

غرناطة: سلمت للملكين في ربيع الأول سنة 897هـ يناير 1492م

قادس: استولى عليها الفونسو العالم سنة 661هـ 1262م

قرطبة: سقطت في أيدي القشتاليين سنة 633هـ 1263م

قرطاجنة : سقطت في أيدي القشتاليين سنة 640هـ 1243م

.قرمونة : سقطت في أيدي القشتاليين سنة 645هـ 1247م

قلعة جابر: سقطت في أيدي القشتاليين سنة 645هـ 1247م

قلمرية : استولى عليها فرناندو الأول سنة 456هـ 1064م

لاردة : استولى عليها القطلان سنة 544هـ 1149م

لبلة: استولى عليها الفونسو العالم سنة 655هـ 1257م

لقنت: استولى عليها الأرجونيون سنة 646هـ 1248م

لورقة : سقطت في يد الملكين الكاثوليكيين سنة 891هـ 1486م

لوشة: سقطت في يد الملكين الكاثوليكيين سنة 891هـ 1486م

ماردة : استولى عليها القشتاليون سنة 628هـ 1229م

مالقة : سقطت في يد الملكين الكاثوليكيين سنة 892هـ1487م

مجريط: سقطت في يد الفونسو السادس سنة 476هـ 1083م

مربلة : سقطت في يد الملكين الكاثوليكيين سنة 893هـ 1488م

مربيطر: استولى عليها الأرجونيون سنة 636هـ 1238م

مرسيه: استولى عليها الأرجونيون سنة 641هـ 1243م

ميورقة (والجزائر الشرقية): سقطت بيد الأرجونيون سنة 630هـ 1232م

وادي آش : سقط في أيدي الملكين الكاثوليكيين سنة 895هـ 1490م

وادي الحجارة: سقط في ايدي القشتاليين سنة 474هـ 1081م

وشقة : استولى عليها الأرجونيون سنة 489هـ 1096م

ولبة : سقطت في أيدي القشتاليين سنة 655هـ 1257م

يابرة: استولى عليها البرتغاليون سنة 561هـ 1165م

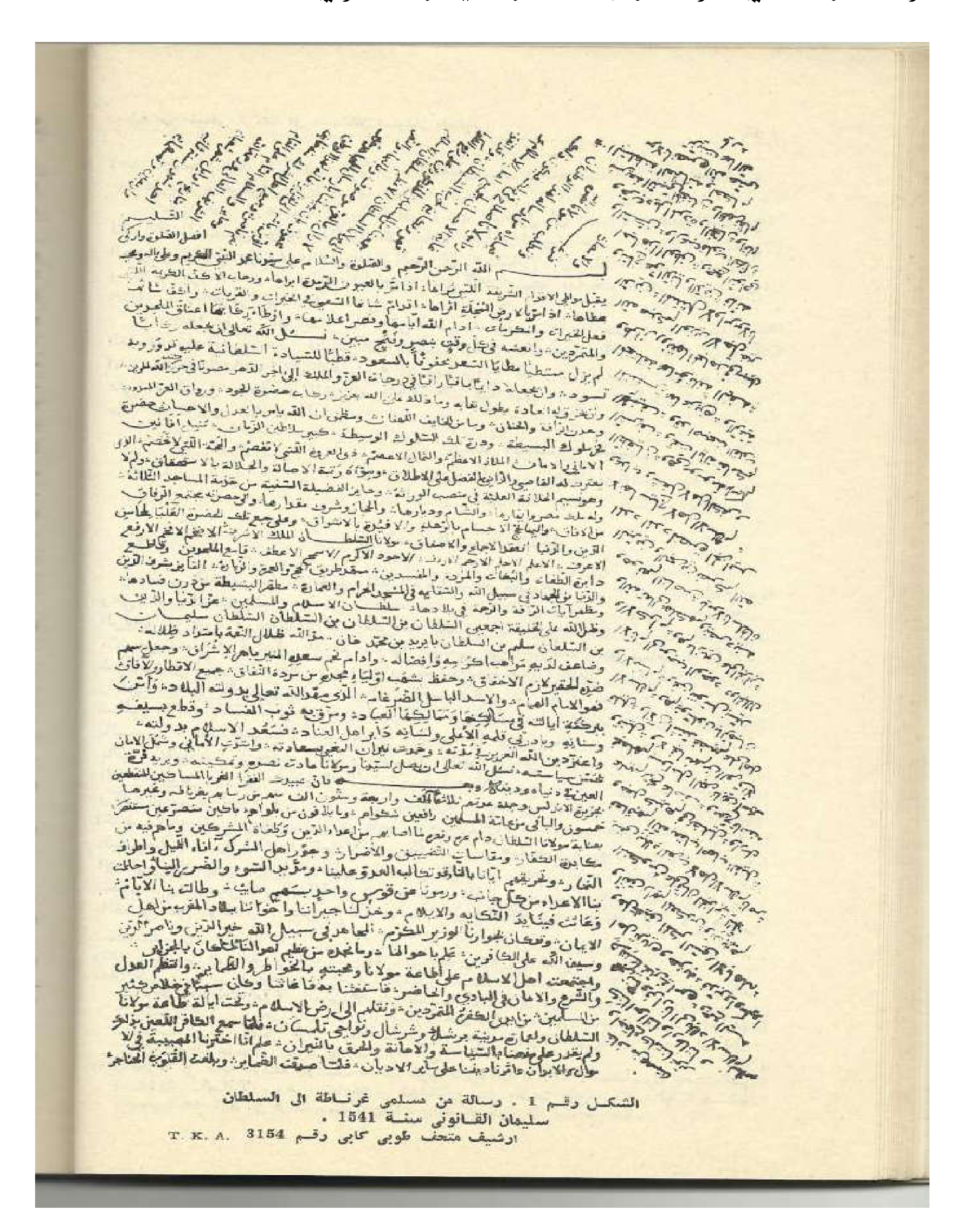
محمد عبد الله عنان، الآثار الأندلسية، ص ص445-447

قصيدة موجهة لأبي زكريا ابن عبد الواحد بن أبي حفص لما أخذت بلنسية

نادتك أندلس فلب نـــــداءها ... واجعل طواغيت الصليب فداءها
صرخت بدعوتك العلية فاحبهـــا ... من عاطفتك ما يقي حوباءهـــا
واشدد بجلبك جرد خيلك أزرهـا ... تردد على أعقابها أرزاءهـــا
هي دارك القصوى أوت لإيالـــة ... ضمنت لها مع نصرها إيواءهـــا
وبها عبيدك لا بقاء لهم ســـوى ... سبل الضراعة يسلكون سواءهـا
خلعت قلوبهم هناك عـــزاءهـا ... لما رأت أبصارهم ما سواهـــا
دفعوا لأبكار الخطوب وعونـهـا ... فهم الغداة يصابرون عناءهـــا
وتنكرت لهم الليالي فاقتضـــت ... سراءها وقضتهم ضراءهـــــا
تلك الجزيرة لا بقاء لهـــا إذا ... لم يضمن الفتح القريب بقاءهـــا
رش أيها المولى الرحيم جناهـــا ... واعقد بأرشية النجاة رشاءهـــا
أشفى على طرف الحياة ذماؤهـا ... فاستبق للدين الحنيف ذماءهـا
حاشاك أن تفنى حشاشها وقـــد ... قصرت عليك نداءها ورجاءهـــا
طافت بطائفة الهدى آمالهـــا ... ترجو بيحيى المرتضى إحياءهـــا
واستشرفت أمصارها لإمـــارة ... عقدت لنصر المستضام لواءهـــا
يا حسرتي لعقائل معقولـــــة ... سئم الهدى نحو الضلال هداءها
إيه بلنسية وفي ذكراك مـــا ... يمري الشؤون دماءها لا ماءهـا
كيف السبيل إلى احتلال معاهـــد ... شب الأعاجم دونها هيجاءهـــا

المقري، نفح الطيب ج4، ص ص479، 480

رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني



الشكل رقم 1 . رسالة من مسلمي غرناطة الى السلطان سليمان القانوني سنة 1541 .
ارشيف متحف طوبى كابى رقم 3154 T. K. A.

عبد الجليل التميمي، المجلة التاريخية المغربية، عدد3، ص44

وثيقة الاستسلام الموقعة بين أبو عبد الله الصغير والملكين فرناندو وإيزابيلا



طارق السويدان ، الأندلس التاريخ المصور، ط1، شركة الابداع الفكري، الرياض 2005، ص490

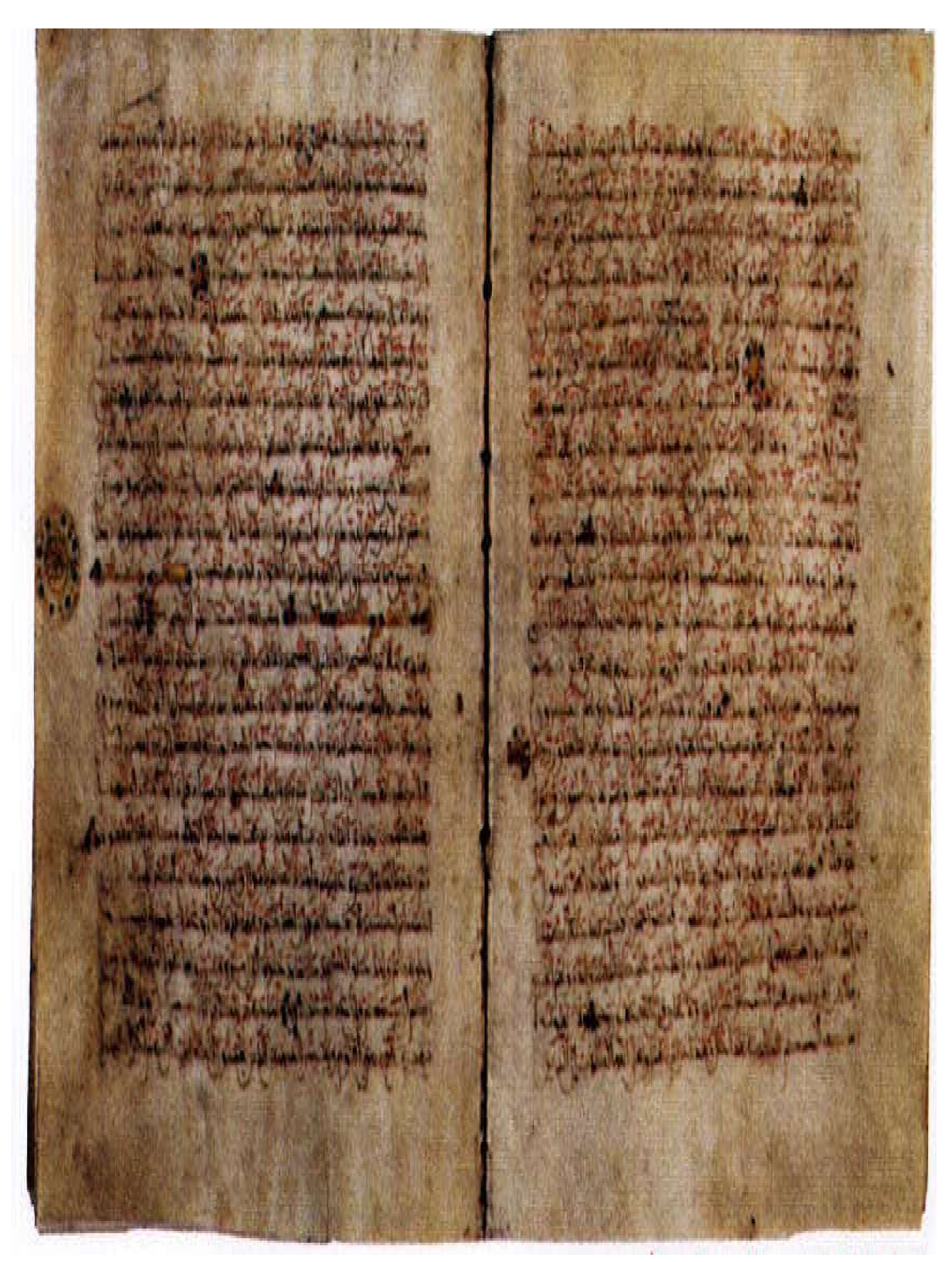
التراث الموريسكي المخطوط (بحوث مترجمة عن الاسبانية)، ترجمة وتعليق: محمد محمد عبد السميع، مكتبة الاسكندرية، مصر 2015، ص229

صفحة من القرآن الكريم بالخط الأندلسي



السويدان المرجع السابق، ص33

سورة من القرآن الكريم بالخط المغربي

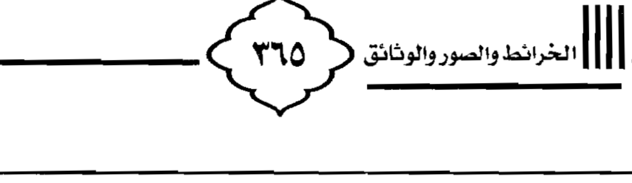


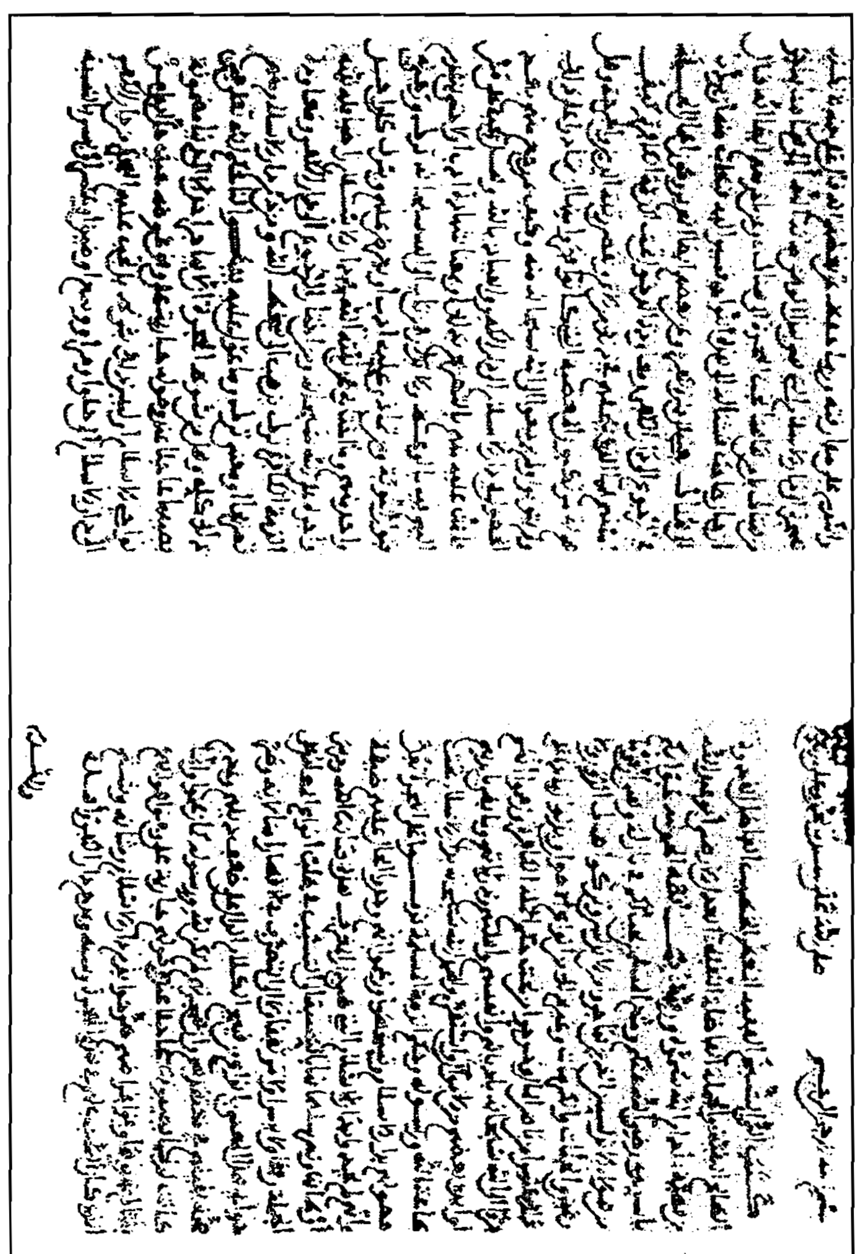
السويدان، المرجع السابق، ص33

الصفحة الأولى والثانية من كتاب واسطة السلوك



بوشقيف ، المرجع السابق، ص382





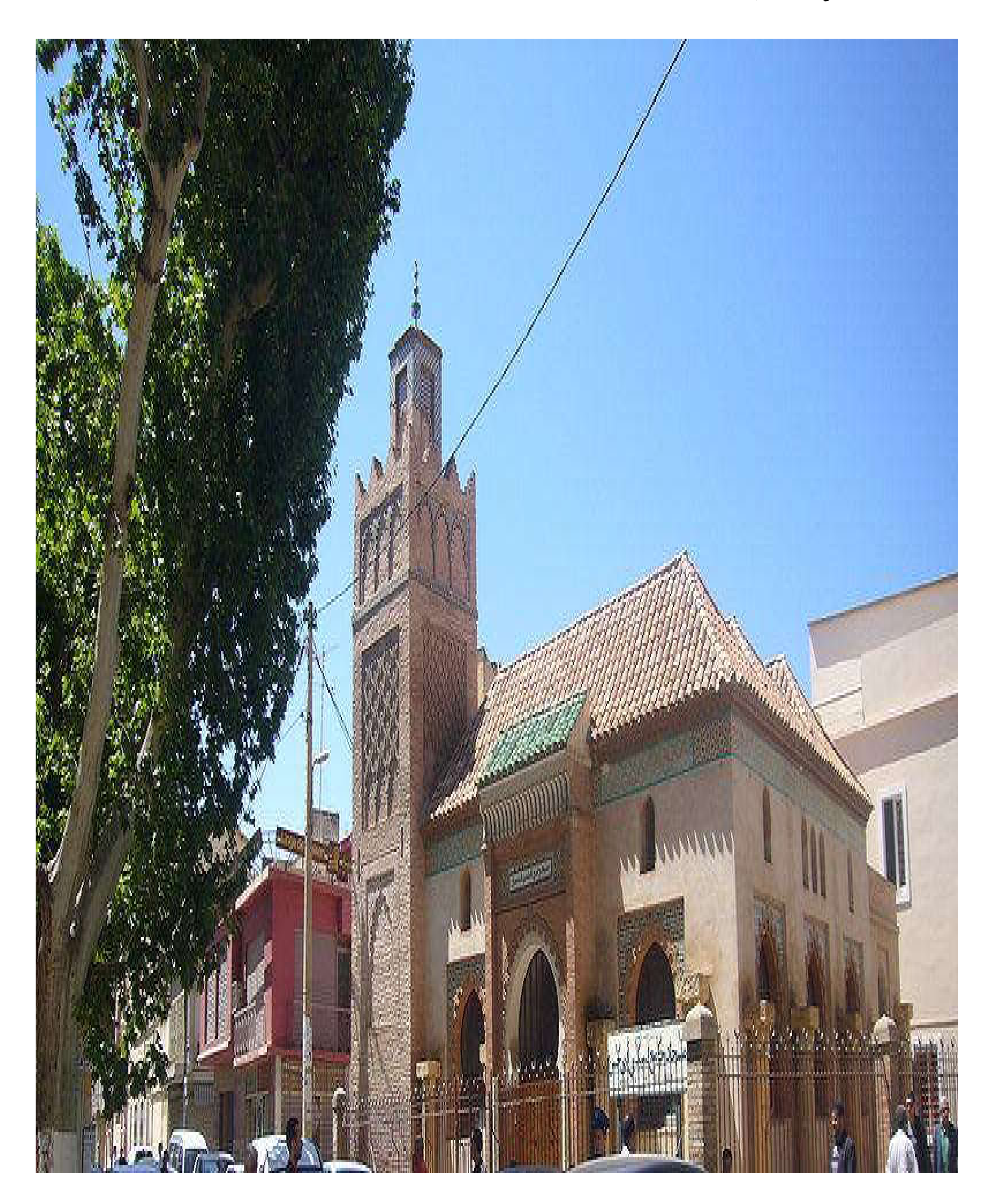
صفحتان أوليان من رسالة «إسنى المتاجر فيمن غلب النصارى على وطنه ولم يهاجر»
وهى توجد ضمن مجموعة محفوظة بالأسكوريال رقم ١٧٥٨ الغزيرى
نقلاً عن عنان. مرجع سابق

أول بند من بنود معاهدة تسليم غرناطة

يتعهد ملك غرناطة، والقادة، والفقهاء، والقضاة، والحجاب، والعلماء، والمفتون، والشيوخ، ووجهاء غرناطة والبيازين وأهاليهما وأرباضها كافة صغاراً وكباراً، بأن يسلموا إلى صاحبي السمو، أو من ينتدبانه – في جو من الوفاق والمسالمة، وفي مدة أقصاها ستون يوماً، اعتباراً من ٢٥ نوفمبر عام ١٤٩١م – الأماكن التالية: قلاع الحمراء، وحصونها، وأبوابها، وأبراجها، وأية أبواب أخرى في مدينة غرناطة، وكورها، وكذلك جميع الأبواب التي تحددها هذه المعاهدة، وأن يعلنوا عن ولائهم وطاعتهم واخلاصهم، لصاحبي السمو، وأن يؤدوا واجبهم تجاه سادتهم الجدد شأن سائر رعايا البلاد المخلصين.

محمد عبد حتاملة،، التاريخ والحضارة والمحنة، ص636

مدرسة العباد



بوشقسف، المرجع السابق، ص148

صومعة جامع أغادير الذي بناه يغمراسن بن زيان



نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص313

قائمة المصادر
والمراجع

القرآن الكريم (برواية ورش عن نافع)

أولا: المصادر

*ابن أبي زرع علي الفاسي ، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1972

*(ــــــــــــــــــــــــ) ، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1972

*ابن رشيد السبتي أبي عبد الله محمد بن عمر، **رحلة ابن رشيد**، دراسة وتحليل: أحمد حدادي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية2003

*ابن أبي صبيعة موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، شرح وتحقيق: نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت(دت)

*ابن الأبار أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ، **التكملة لكتاب الصلة، تحقيق:** عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان 1995

*(ــــــــــــ)، **الحلة السيراء** ، تحقيق وتعليق: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة1985

*(ــــــــــــ)، **المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي**، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2000

*(ــــــــــــ)، **المقتضب من كتاب تحفة القادم**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط3، دار الكتاب المصري القاهرة دار الكتاب اللبناني بيروت1989

*(ــــــــــــ)، **تحفة القادم**، تعليق: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1969

*ابن الأحمر أبي الوليد إسماعيل، **أعلام المغرب والأندلس وهو جزء من كتاب نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان**، تحقيق وتقديم : محمد رضوان الداية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت 1976

* ابن إياس الحنفي محمد بن أحمد ، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1984

*ابن الجزري شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي، **غاية النهاية في طبقات القراء**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان2006

*ابن الخطيب لسان الدين ، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط 1، مكتبة الخانجي، القاهرة 1974

*(ــــــــــــــــ) ، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، شرح وضبط: يوسف علي الطويل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان2003

*(ــــــــــــــــ) ، **الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة**، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت1983

*(ــــــــــــــــ) ، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، تصحيح: محب الدين بن الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة1347هـ

*(ــــــــــــــــ) ، **أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق وتعليق: ليفي برفنسال، ط2، دار المكشوف، بيروت لبنان1956

*(ــــــــــــــــ) ، **كناسة الدكان بعد انتقال السكان حول العلاقات السياسية بين مملكة غرناطة والمغرب في القرن الثامن الهجري**، تحقيق: محمد كمال شبانة و حسن محمود، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، (دت)

*ابن الزيات أبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تحقيق: أحمد التوفيق، ط2، منشورات كلية الآداب، الرباط 1997

*ابن الشماع أبو عبد الله محمد بن أحمد ، **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تحقيق وتقديم: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس1984

*ابن صعد، **النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب**، تحقيق: الطاهر منزل، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة قسنطينة-2-1432-1433هـ/2011-2012م

*ابن القاضي المكناسي ، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط1973

*(**ـــــــــــــــــ) ، درة الحجال في أسماء الرجال**، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، ط1، المكتبة العتيقة دار التراث، القاهرة 1971

*ابن القنفد أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطيني، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تحقيق: محمد الشادلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968

*(**ـــــــــــــــــ) ، انس الفقير وعز الحقير**، نشر وتصحيح: محمد الفاسي و أدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط 1965

*(**ـــــــــــــــــ) ، الوفيات**، تحقيق: عادل نويهض، ط4، دار الآفاق الجديدة، بيروت،1983

*ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري، **طبقات الأولياء**، تحقيق: نور الدين شريبة، ط2، مكتبة الخانقي، القاهرة 1994

*ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك، **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم**، تحقيق: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس2010

*(**ـــــــــــــــــ) ، الصلة**، تحقيق: شريف أبو العلا عدوي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2008

*ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد ، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، دار الجيل، بيروت1993

*ابن حزم الأندلسي أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ، **رسائل ابن حزم الأندلسي طوق الحمامة في الألفة والآلاف**، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت1987

*ابن حيان القرطبي أبي مروان ، **المقتبس في أخبار بلد الأندلس**، تحقيق: عبد الرحمان علي الحجي، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت لبنان1965

*ابن خفاجة أبي إسحاق إبراهيم أبن أبي الفتح ، **ديوان ابن خفاجة**، تحقيق: مصطفى غازي، دار المعارف، الإسكندرية مصر 1960

*ابن خلدون عبد الرحمان ، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر**، ضبط ومراجعة: خليل شحادة و سهيل زكار، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان1981

*(__________) ، **رحلة ابن خلدون**، عرض وتعليق: تاويت الطنجي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 2004

*(__________) ، **شفاء السائل وتهذيب المسائل**، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، ط1، دار الفكر، دمشق 1996

*(__________) ، **مقدمة**، تحقيق وتعليق: عبد السلام الشدادي، ط1، بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء 2005

*ابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1978

*ابن خليل عبد الباسط ، **الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم**، تحقيق: روبير برونشفيك، باريس1936

*ابن رزين التجيبي علي بن محمد ، **فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان**، تحقيق وتقديم: محمد بن شقرون، مطبعة الرسالة ، الرباط 1981 نسخة الكترونية

*ابن رشيد الفهري أبي عبد الله محمد بن عمر السبتي، **ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة والوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة**، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار التونسية للنشر، تونس 1982

*ابن سحنون أحمد بن محمد بن علي الراشدي، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق وتعليق: المهدي البوعبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2013

*ابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى الأندلسي، **رايات المبرزين وغايات المميزين**، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق1987

* (ـــــــــــــ)، **الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار المعارف، مصر (دت)

*ابن سعيد المغربي، **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق: شوقي ضيف، ط 4، دار المعارف، القاهرة (دت)

*ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة: ج س كولان و ليفى بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت لبنان 1983

*ابن عياض القاضي عياض بن موسى السبتي، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق: عبد القادر الصحراوي، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية 1983

*ابن فرحون إبراهيم ابن نور الدين، **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**، تحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان1996

*ابن مرزوق محمد التلمساني، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم: محمد بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981

*ابن مريم أبي عبد الله محمد بن محمد ابن احمد، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، مراجعة: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر 1908

*الأتابكي جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تقديم: محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان1992

* أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن سناء الملك، **دار الطراز في عمل الموشحات** ، تحقيق: جودت الركابي، ط3، دار الفكر، دمشق1980

*أحمد زروق، **عدة المريد الصادق**، تحقيق: الصادق بن عبد الرحمان الغرياني، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان2006

*الإدريسي أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (دت)

*البغدادي صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، تحقيق وتعليق: علي محمد البجاوي، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان 1954

* البكري أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك**، المطبعة الحكومية، الجزائر1857

*(ـــــــــــــ)، **المسالك والممالك**، تحقيق: جمال طلبة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 2003

*البيدق أبي بكر بن علي الصنهاجي، **أخبار المهدي ابن تومرت**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1971

*التجيبي القاسم بن يوسف السبتي، **برنامج التجيبي**، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس 1981

*التمكروتي علي بن محمد، **النفحة المسكية في السفارة التركية**، تحقيق: عبد الطيف الشادلي، المطبعة الملكية، الرباط2002

*التنبكتي أحمد بابا، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامسة، ط1، كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس1989

*التنسي محمد بن عبد الله ، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من كتاب نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، تحقيق وتعليق: محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر 2011

*الحجري أحمد بن قاسم، **ناصر الدين على القوم الكافرين**، تحقيق وتقديم وترجمة: شورد فان كوننكز فلد وقاسم السمرائي وخيرارد فيخرز، الوكالة الاسبانية للتعاون الدولي، دت

*الحموي أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله، **معجم البلدان**، دار صابر، بيروت1977

*الحميدي أبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي ، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق وتعليق: بشار عواد معروف و محمد بشار عواد، ط 1، دار الغرب الإسلامي،تونس 2008

*الحميري أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ، **صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**، نشر وتعليق: ليفي بروفنصال، ط2، دار الجيل ، بيروت لبنان1988

*(ــــــــــــــ)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت 1984

*الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان1993

*(ــــــــــــــ)، **تذكرة الحفاظ**، وضع حواشيه: زكريا عميرات، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 1998

*(ـــــــــــــــ)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق وإخراج: شعيب الأرناؤوط و محمد نعيم العرقسوسي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت 1985

*الزركشي أبي عبد الله محمد بن إبراهيم ، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق: محمد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس1966

*السبكي تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو و محمود محمد الطناحي، ط2، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الجيزة 1992

*السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمان ، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار الجيل، بيروت(دت)

*السملالى العباس بن إبراهيم، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، مراجعة عبد الوهاب منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط 2002

*السيوطي الحافظ جلال الدين عبد الرحمان، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار الفكر، 1989

*(ـــــــــــــــ) ، **طبقات المفسرين**، تحقيق: علي محمد عمر، دار النوادر، الكويت2010

*(ـــــــــــــــ) ، **طبقات الحفاظ**، مراجعة وضبط لجنة من العلماء، ط(1) ، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان 1983

*الشفشاوني محمد بن عسكر الحسني، **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق: محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط 1977

*الشنتريني أبي الحسن علي بن بسام ، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، ، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان 1979

*الشوكاني محمد بن علي ، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (دت)

*الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك، **الوافي بالوفيات**، تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان2000

*الضبي، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة 1989

*عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق وتعليق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة 1994

*العبدري أبي عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود، **رحلة العبدري**، تحقيق: علي إبراهيم كردي، تقديم: شاكر الفحام، ط2، دار الطباعة والنشر والتوزيع، دمشق2005

*العكري ابن العماد شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي الدمشقي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق وتعليق: عبد القادر الأرناؤوط و محمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت1989

*العمري شهاب الدين أحمد بن يحي ابن فضل الله ، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق: محمد عبد القادر خريسات و عصام مصطفى هزايمة و يوسف أحمد بني ياسين، إصدار مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة2001

*الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله ، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق وتعليق: عادل نويهض، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1989

*الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، **البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة**، تحقيق: محمد المصري، ط1، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 2000

*القلصادي أبي الحسن، **رحلة القلصادي**، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة الوطنية للتوزيع، تونس(دت)

*القلقشندي أبي العباس أحمد، **صبح الأعشى**، المطبعة الأميرية، القاهرة 1915

*(ـــــــــــــ)، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق**: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب البناني، بيروت1980

*القزويني زكريا بن محمد بن محمود، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت لبنان (دت)

*الكتبي محمد بن شاكر، **فوات الوفيات والذيل عليها**، تحقيق:إحسان عباس،دار صابر، بيروت 1974

*المجاري أبي عبد الله محمد ، **برنامج المجاري**، تحقيق: محمد أبو الأجفان، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان1982

***مجموع رسائل موحدية**، اعتنى بإصدارها: لافي بروفنصال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية،الرباط 1941

*مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، بغداد1986

*مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق: سهيل زكار و عبد القادر زمامة، ط1، توزيع ونشر دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء 1979

*مجهول، **غزوات عروج وخير الدين**، تصحيح وتعليق: نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر1934

*مجهول، **نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب** ، ضبط وتعليق: ألفريد البستاني، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد 2002

*مقديش محمود ، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تحقيق: علي الزواوي و محمد محفوظ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان1988

*المقري أحمد بن محمد التلمساني ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت1988

*(ــــــــــــــ)، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، ضبط وتحقيق: مصطفى السقا و إبراهيم الأبياري و عبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1939

*المقريزي تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط1، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 1997

*الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة المرينية**، تحقيق: جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء1997

*النباهي أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي، **تاريخ قضاة الأندلس**، تحقيق: لجنة التراث العربي، ط5، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت 1983

*الوزان الحسن بن محمد الفاسي ، **وصف إفريقيا**، ط2، ، ترجمة: محمد حجي و محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983

*الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي بن محمد التلمساني ، **أسنى المتاجر في بيان أحكام من تغلب على وطنه النصارى ولم يهاجر**، تحقيق: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة1996

*(ــــــــــــــ) ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تخريج: محمد الحجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤو الإسلامية للمملكة المغربية، الرباط1981

*اليافعي أبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان ، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان1997

*يحي بن خلدون أبي زكريا، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تقديم وتحقيق وتعليق: بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر 2007

ثانيا: المراجع العربية

*ابن مخلوف محمد بن محمد، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلقية، القاهرة1349هـ

*أبو القاسم سعد الله ، **بحوث في التاريخ العربي الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت2003

*(________) ، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998

*(________) ، **شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان1986

*إحسان إلهي ظهير، **التصوف المنشأ والمصادر**، ط1، إدارة ترجمان السنة، لاهور باكستان 1986

*أحمد الكامون و هاشم السقلي، **التأثير الموريسكي في المغرب**، ط1، مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، وجدة المغرب2010

*أحمد رائف، **وتذكروا من الأندلس الإبادة**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر 1991

*أحمد محمد الطوخي، **مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1997

*أحمد محمد عطيات، **الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش**، ط 1، أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، عمان 2012

أدي ولد آددب، **المفاضلات في الأدب الأندلسي الذهنية والأنساق**، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر 2015

*أحمد مختار العبادي، **مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس** (مجموعة من رسائله)، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية 1983

*أحمد موساوي، **الأمير الأمازيغي أبو حمو موسى الثاني رحلة السلطان رحلة الشعر**، مجلة الآداب واللغات جامعة قاصدي مرباح ،العدد 08، ورقلة الجزائر 2008

أسعد حومد، **محنة العرب في الأندلس**، ط 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت1988

*أمين توفيق الطيبي، **دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس**، الدار العربية للكتاب، تونس 1997

*أنور محمود زناتي، **مصادر تاريخ المغرب والأندلس**، ط1، دار سحر للنشر، 2008

*بوزياني الدراجي، **نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1993

***التراث الموريسكي المخطوط (بحوث مترجمة عن الاسبانية)**، ترجمة وتعليق: محمد محمد عبد السميع، مكتبة الاسكندرية، مصر 2015

*الحجي عبد الرحمان علي، **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة**، ط2، دار القلم، دمشق بيروت 1981

*الحسن السائح، **الحضارة الإسلامية في المغرب** ، ط2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء1986

*حنيفي هلايلي، **أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي**، دار الهدى، الجزائر 2010

*خليل إبراهيم السمرائي، عبد الواحد ذنون طه، ناطق صالح مطلوب، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، ط1، دار الكتاب الوطنية، بنغازي ليبيا2000

*الزركلي خير الدين ، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ط15، دار العلم للملايين، بيروت لبنان2002

*سعد الله صالح البشري، **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس (316-422هـ)(928-1030م)**، مكتبة الملك فهد للنشر، السعودية 1997

*نا صر الدين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني(1792-1830)**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985

*(ــــــــــــ)، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر (العهد العثماني)** ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984

*شكيب أرسلان، **الحلل السندسية في الأخبار والآثار المراكشية**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان (د ت)

*صالح بن قربة وآخرون، **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر 2007

طارق السويدان ، الأندلس التاريخ المصور، ط1، شركة الابداع الفكري، الرياض 2005

الطاهر بونابي، **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 الهجريين/12و13 الميلاديين نشأته – تياراته- دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر(دت)

عادل سعيد بشتاوي ، **الأمة الأندلسية الشهيدة** (تاريخ 100عام من المواجهة والاضطهاد بعد سقوط غرناطة)

*(ــــــــــــ)، **الأندلسيون المواركة**، ط 1، انتر ناسيونا برس، القاهرة 1983

*عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت لبنان 1980

*(ـــــــــــــــ)، **معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، تقديم: حسن خالد، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت 1988

*عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ، **مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح**، دار المعارف، القاهرة 1990

*عباس الجراري، **التأثير الموركسي في الطرب المغربي**، الندوة الثانية الموركسيون في المغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2001

*عبد الجليل التميمي، **الدولة العثمانية وقضية الموركسيين الأندلسيين**، ط 1، مطبعة بابيريس، زغوان 1989

(ـــــــــــــــ)، **تراجيديا طرد الموركسيين من الأندلس والمواقف الإسبانية والعربية الإسلامية منها**، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس2011

*عبد الحق حميش، **سير أعلام تلمسان**، ط1، دار التوفيقية، تلمسان 2011

*عبد الحكيم الذنون، **آفاق غرناطة**، ط1، دار المعرفة، للنشر والتوزيع والطباعة والترجمة، دمشق1988

*عبد الحليم عويس، **دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري**، ط 2، دار الصحوة للنشر والتوزيع ودار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة1991

*عبد العزيز سالم، **تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية 1984

*عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)**، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر 2002

*عبد الله محمد جمال الدين، **المسلمون المنصرون أو الموركسيون الأندلسيون صفحة مهملة من تاريخ المسلمين في الأندلس**، ط1، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة 1991

*عبد المجيد القدوري، **الموركسيون في المجتمع المغربي اندماج أم انعزال،** مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية سلسلة الندوات الندوة الثانية، شفشاون 2000

*عبد المحسن طه رمضان، **تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة،** ط1، دار الفكر، عمان

*عبد المنعم القاسمي الحسني، **أعلام التصوف في الجزائر مند البدايات إلى الحرب العالمية الأولى،** ط 1، دار الخليل القاسمي، الجزائر1427هـ

*عز الدين عمر أحمد موسى، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري،** دار الشروق، بيروت 1983

*علي المنتصر الكتاني، **إنبعاث الإسلام في الأندلس،** ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان2005

*علي حسن الشطشاط، **نهاية الوجود العربي في الأندلس،** دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة2001

*علي محمد الصلابي، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط،** ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، بور سعيد القاهرة2001

*(ـــــــــــــــ)، **دولة الموحدين،** دار البيارق للنشر، عمان، ص294

*(ـــــــــــــــ)، **فقه التمكين عند دولة المرابطين،** ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة 2002

*علي مظهر، **محاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال وغيرها،** المكتبة العلمية، مصر 1947

*عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية،** دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان

*راغب السرجاني، **قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط،** مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط1، القاهرة 2011

*القفطي جمال الدين، **تاريخ الحكماء،** تصنيف: جوليوس ليبرت، الهند1908

*كريم على، **غابر الأندلس وحاضرها**، ط1، المكتبة الأهلية، مصر 1923

*مبارك بن محمد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، تقديم وتصحيح: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب

*مجموعة من الأساتذة، **موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين**، تقديم محمد لمين بلغيث، منشورات الحضارة، الجزائر 2014

*محمد احمد درنيقة، **معجم أعلام شعراء المدح النبوي**، تقديم وضبط: ياسين الأيوبي، منشورات دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت2003

*محمد الطمار، **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983

*محمد العروسي المطوي، **الحروب الصليبية في المشرق والمغرب**، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت1982

*محمد بن أحمد ابن شقرون، **مظاهر الثقافة المغربية دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني**، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب 1985

*محمد رزوق، **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17**، ط2، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء 1998

*(ــــــــــــــ)، **دراسات في تاريخ المغرب**، ط1، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء1991

*محمد زكريا عناني، **ديوان الموشحات الأندلسية**، ط2، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية 1986

*محمد عبد الله عنان ، **الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال**، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة1997

*(ــــــــــــــ)، **دولة الإسلام في الأندلس**، مكتبة الخانجي، القاهرة 1990

*محمد عبده حتاملة، **التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملك فليب الثاني**، ط 1، الجامعة الأردنية، الأردن 1982

***(ـــــــــــــــ)، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، مطابع الدستور التجارية، عمان الأردن 2000**

*محمد قشتيليو، **حياة الموريسكيين الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها**، ط1، مطابع الشويخ، تطوان2001

*محمد لمين بلغيث، **فصول في التاريخ والعمران بالغرب الإسلامي**، ط1، منشورات انتر سيتي، الجزائر 2007

*محمود بوعياد، **جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن 09هـ/15م**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982

*محمود شيت خطاب، **قادة فتح الأندلس**، ط1، مؤسسة علوم القرآن ومنار للنشر والتوزيع، بيروت دمشق2003

*مختار حساني، **تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الاقتصادية والثقافية**، منشورات الحضارة، الجزائر 2009

*مروش المنور ، **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة الأساطير والواقع**، دار القصبة للنشر، الجزائر 2009

*ناصر الدين سعيدوني، **دراسات أندلسية مظاهر التأثير الأيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر**، ط2، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر

*هشام أبو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، ط1، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان الاردن1984

ثالثا المراجع المعربة

*إدوارد بروي وآخرون، **تاريخ الحضارات العام (القرون الوسطى)**، تعريب: يوسف أسعد داغر وفريد محمد داغر، ط2، منشورات عويدات، بيروت باريس1986

*أنخيل جنثالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1955

*أنطونيو دومينغيز هورتز وبرنارد بنثنت، **تاريخ مسلمي الأندلس الموريسكيون حياة...ومأساة أقلية**، ترجمة عبد العال صالح طه، ط1، دار الإشراق للطباعة والنشر، الدوحة قطر1988

*ج.س.كولان، **الأندلس**، ترجمة: إبراهيم خورشيد و عبد الحميد يونس و حسن عثمان، ط1، دار الكتاب البنانبي ودار الكتاب المصري، بيروت القاهرة 1980

*روبار برنشفيك، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 الى نهاية القرن 15م**، ترجمة: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان1988

*شارل أندري جوليان، **تاريخ إفريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م**، تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2011

*عثمان العكاك، **موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي**، ترجمة أبو القاسم سعد الله محمد البشير الشنيتي و إبراهيم نجارو، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2003

*غوستاف لوبون، **حضارة العرب**، ترجمة: عادل زعيتر، طبع بمطبعة عيسى الباني الحلبي وشركاه.

*لوي كاردياك، **الموريسكيون الأندلسيون و المسيحيون المجابهة الجدلية 1492-1640**، تعريب وتقديم: عبد الجليل التميمي، منشورات المجلة التاريخية المغربية و ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، تونس1983

*مارمول كربخال، **إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي وآخرون، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط1984

*مرثيديس غارسيا أرينال، **شتات أهل الأندلس (المهاجرون الأندلسيون)**، ترجمة ومراجعة: محمد فكري عبد السميع و جمال عبد الرحمان، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة2006

*ميغيل أنخيل بونيس إيبارا، **الموريسكيون في الفكر التاريخي**، ترجمة ومراجعة: وسام محمد جزر و جمال عبد الرحمان، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2006

*يوسف أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ترجمة وتعليق: محمد عبد الله عنان، ط 2، مكتبة الخانجي، القاهرة 1996

رابعا: المجلات والدوريات

*أحمد جميات، **دور البابوية والهيئات الدينية في إنهاء الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية**، مجلة كان التاريخية، العدد29، سبتمبر 2015

*جمال يحياوي، **آثار الهجرة الأندلسية على تلمسان**، مجلة الوعي، عدد مزدوج 3-4، الجزائر 2011

*حنيفي هلايلي، **الأندلسيون في كتابات أحمد المقري التلمساني أزهار الرياض ونفح الطيب نموذجا**، مجلة التراث العربي ، جامعة سيدي بلعباس1997

*سعد بن عبد الله البشري، **جماعات الفرسان الدينية الإسبانية وحروبها مع المسلمين في الأندلس**، مجلة جامعة أم القرى، العدد 7، 1413هـ- 1992

*الطاهر بونابي، **نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط** ، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم الجزائر 2004

*طيبي مهدية، **نموذج من العائلة الأندلسية في مدينة الجزائر في الفترة العثمانية القرنين 17 -18م من خلال سجلات المحاكم الشرعية وثائق الأرشيف الوطني الجزائري**، مجلة الدراسات التاريخية، العدد14، 2012

*عائشة غطاش، **سجلات المحاكم الشرعية وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بمجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني**، مركز البحث في الأنتربولوجية الاجتماعية والثقافية مجلة إنسانيات، وهران1977

*عباس الجراري، **الموشحات**، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط المغرب، عدد2، 1961

*عبد الجليل التميمي، **رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني سنة 1541**، المجلة التاريخية المغربية، العدد 3، تونس 1975

*عبد الحميد حسين السمرائي ، **مدرسة ألمرية الصوفية بين الواقع والخيال (503-546هـ)(1109-1151م)**، مجلة سر من رأى، المجلد 4، العدد10، 2008

*عبد القادر بوباية، **إسهام العلماء الأندلسيين في الحركة العلمية بتلمسان خلال القرن السابع الهجري (13م)**، مجلة عصور الجديدة، عدد2، مختبر البحث التاريخي تاريخ الجزائر جامعة وهران الجزائر 2011

*عبد الكريم أحمد مشهداني، **مسلموا الأندلس المحنة والمأساة**، مجلة الأمة، عدد12، قطر1402هـ

*عبد المجيد قدور، **الهجرة الأندلسية إلى المغرب الإسلامي ونتائجها الاجتماعية والحضارية الجزائر كنموذج**، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 20، ديسمبر 2003

*عمار طالبي، **الحياة العقلية في بجاية الفلسفة والكلام والتصوف**، مجلة الأصالة، عدد 19

*غيلاني السبتي، **دور البحرية الجزائرية والعثمانية في إنقاذ مسلمي الأندلس 1492-1640**، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، جامعة باتنة، العدد14، 2015

*محمد الطالبي، **الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين**، مجلة أصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد26، 1975

*محمد عبد الله عنان، **موقف القسطنطينية وباقي العالم الإسلامي من سقوط الأندلس وآخر مسلميها وأمام الغزو الأوربي للعالم الإسلامي عموما**، مجلة الأصالة، العدد27

*ناصر الدين سعيدوني، **التجربة الأندلسية بالجزائر مدرسة بجاية الأندلسية ومكانتها في الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط(ق6-7هـ/12-13م)**، محاضرات الندوة الوطنية الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، القسم3، الحضارة والعمارة والفنون، ط1، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض1996

*(__________)، **صور من الهجرة الأندلسية إلى الجزائر**، المجلة العربية، سبتمبر 1994عدد

*نبيلة عبد العزيز الحاج علاوي و رابحة محمد خضير، **موقف الدولة العثمانية من محنة مسلمي الأندلس**، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، العدد 3، 2012

خامسا: الرسائل الجامعية

*نصر الدين بن داود، **بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ-13م إلى القرن 10هـ-16م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد2009-2010

*سعداني محمد، **الأندلسيون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجريين القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر الميلاديين**، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم السلامية جامعة وهران 2015-

*نبيل عبد الحي رضوان، **جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث**، دكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة أم القرى، السعودية1407هـ-1998

*عبده بن محمد عواجي عبد القهار، **علاقة مملكة غرناطة مع الدول الإسلامية،** رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، السعودية 1419هـ-1998م

*محمد بوشقيف، **تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين(14-15م)،** أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان 1431-1432هـ/ 2010-2011م

*محمد لمين بلغيث، **الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين،** أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ جامعة الجزائر 2002-2003

*حساني نبيلة، **القضاء والقضاة في عهد الدولة الزيانية(633هـ962 .1235 م 1554م)،** مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، معهد التاريخ، جامعة الجزائر 1996

*رفيق خليفي، **البوتات الأندلسية في المغرب الأوسط من نهاية القرن 3هـ إلى نهاية القرن 9هـ،** مذكرة ماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الأوسط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 2007-2008
2016

*شريفة طيان، **ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد العثماني،** رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 1990-1991

*عبد القادر بوحسون، **العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني(633-962هـ/1235-1554م)،** مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان 2007-2008م

*عمارة سيدي محمد، **هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط خلال القرن (7هـ - 13م) ودورهم الثقافي،** مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم

الإنسانية والحضارة الإسلامية جامعة وهران، 1433-1434هـ 2012-2013م

*فكاير عبد القادر، **الصراع الجزائري الإسباني في الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن السادس عشر**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2000-2001

*كرطالي أمين، **الفقهاء والحياة السياسية في المغرب الأوسط خلال القرنين (9-10هـ /15-16م)**، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم والحضارة الاسلامية جامعة وهران، 2013-2014

*مفيدة بن يوسف، **الجالية الأندلسية بالجزائر وتأثيراتها الحضارية على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني -القرنين السادس عشر والسابع عشر (16-17)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة الجزائر -2- 2010/2011

*هند فاضل جمعة السامرائي، **أثر علماء المغرب في الحياة العلمية ببلاد الأندلس في عهدي المرابطين والموحدين(484-668هـ/1091-1268م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب قسم التاريخ، جامعة بغداد1437هـ-2016م

سادسا: المراجع باللغة الأجنبية

*Garcia A Mercedes, **los Moriscoss**, Ed national, Madrid, 1975

*Georges Marcais, **La Berberie Musulmane et Orient en Moyen âge**, Edition ontaingne,Paris1946

*Rachid Bourrouiba, **L'art Religieux Musulman En Algérie**, S.N.E.D ,Algérie

الفهرس

فهرس المحتوى

الملخص

تبحث هذه الدراسة في هجرة الأندلسيين لبلاد المغرب الأوسط في الفترة الممتدة ما بين القرنين السادس إلى العاشر الهجريين الثاني عشر إلى السادس عشر الميلاديين، وتسلط الضوء على المعانات التي كابدها المهاجرون عبر كل المراحل، والمناطق التي استقروا بها، وإبراز إسهاماتهم الحضارية والمجالات التي كان لهم فيها التأثير الأكبر (سياسيا وثقافيا واقتصاديا واجتماعيا وفنيا) بكل من حاضرتي بجاية وتلمسان.

الكلمات المفتاحية: الأندلسيون– الهجرة – المغرب الأوسط – بجاية – تلمسان – الإسهامات الحضارية.

Abstract

This study investigate on the Andalusians migration to the middle Maghreb from the 6th to 10th hijri centuries période and 12th to 16th grégorien centuries période, which is focused on the suffering of the immigrants during these decades in all these régions where they were stalled, and highlited their civilization's participation, and their big effect in different fields (politic, culture, economy, sociology, art) in the both civilizations of Bejaïa and Tlemcen.

Keywords:

Andalusians, migration, middle Maghreb, Bejaia, Tlemcen, civilization's participation.